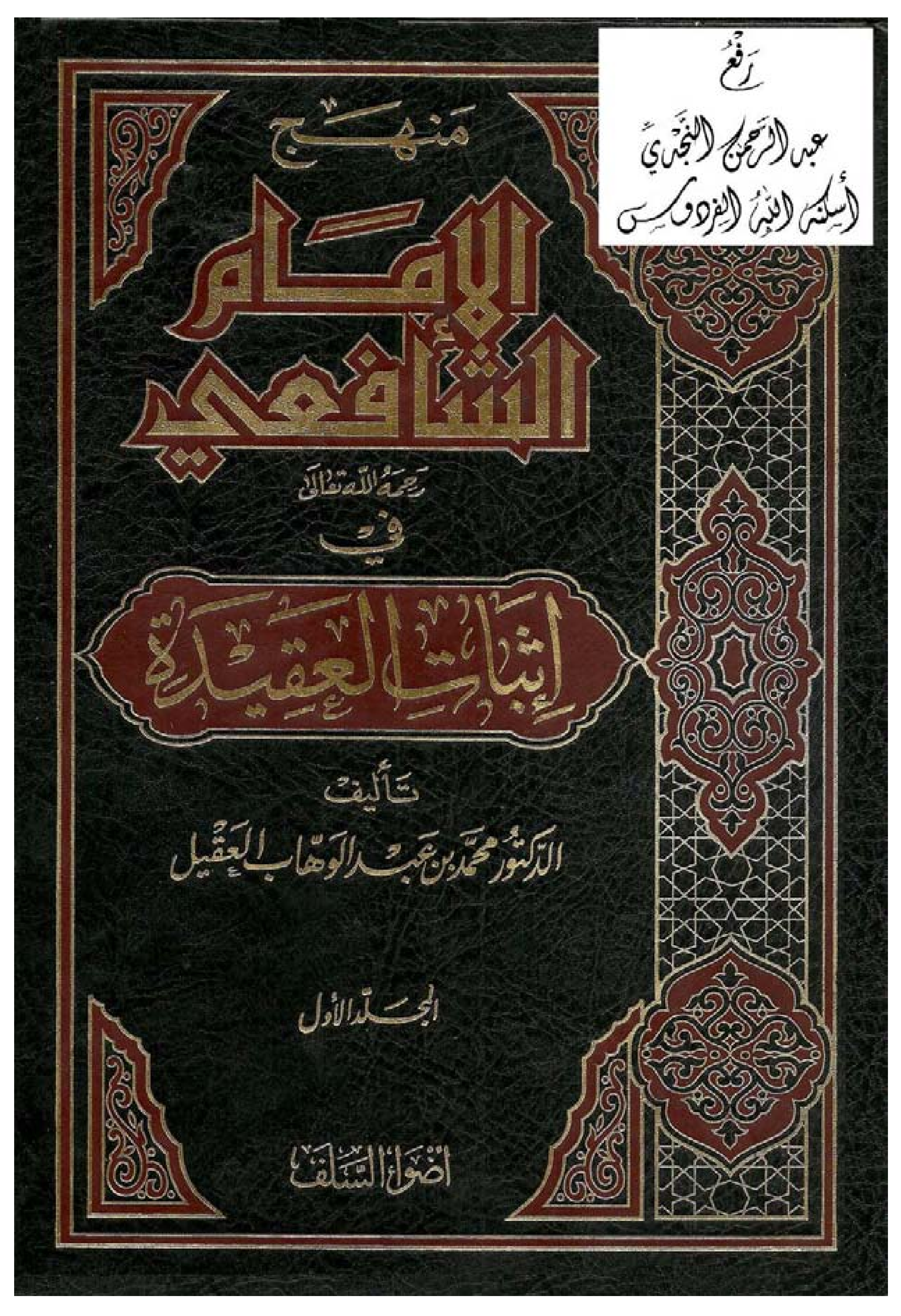

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
منهج
الإمام الشافعي
رحمه الله تعالى
في
إثبات العقيدة
تأليف
الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل
المجلد الأول
أضواء السلف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

منهج الإمام الشافعي

رحمه الله تعالى

في

إثبات العقيدة

تأليف

الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل

المجلد الأول

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٤٥-٢٣٢١٠ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي .
مصر : مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية ـ ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤
باقي الدول : دار ابن حزم ـ بيروت ـ ت ٧٠١٩٧٤

مقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آية ١٠٢ من سورة آل عمران.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ الآية ١ من سورة النساء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الآيتان ٧٠/ ٧١ من سورة الأحزاب.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. يقول الله تبارك وتعالى مذكرا عباده بعظم منته عليهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية ١٧ الحجرات.

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ومن منته سبحانه وتعالى على هذه الأمة وفضله عليها بعثته نبيًّا محمدًا ﷺ وإرساله لهذه الأمة يقول سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آية ١٦٤ آل عمران] ففتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وهدى به من بعد الضلالة وأعز به من بعد الذلة وأغنى به من بعد العَيْلَة وألف به من بعد النفرة والفرقة.

فقام بأمر ربه خير قيام، وبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. ودخل الناس في دين الله أفواجا. فصلى الله عليه وسلم وجزاه الله عنا أفضل ما جزى به نبياً عن أمته.

ولما أكمل الله دينه الذى ارتضاه لهذه الأمة أنزل الله على نبيه ﷺ ممتنا عليه وعلى أمته قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [الآية ٣ من سورة المائدة].

نزلت[١] هذه الآية في يوم عظيم من أيام المسلمين وقد اجتمع فيه المسلمون أعظم اجتماع حدث في الإسلام فقد توافد الناس من كل فج للحج مع النبي ﷺ فوافق الوقوف بعرفة يوم عيد الأسبوع الجمعة فسمعها الصحابة رضوان الله عليهم غضة طرية من في النبي ﷺ فعرفوا عظم منة الله عليهم بهذا الدين وأن الله تبارك وتعالى قد أكمله لهم واصطفاهم لحمل لوائه ونشره فشمروا عن ساعد الجد وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس مقتدين في كل ذلك برسول الله ﷺ وهذا أيضا من نعمة الله ومنته على هذه الآمة فقد حملوا رضى الله عنهم راية الجهاد والدعوة وبلغوا دين الله على بصيرة حتى عم الإسلام أرجاء المعمورة وأنارت بالإسلام

---

(١) انظر صحيح البخاري رقم (٤٥، ٤٤٠٧، ٤٦٠٦، ٧٢٦٨) ومسلم في التفسير (رقم/ ٣٠١٧) والترمذي رقم (٣٠٤٣) والنسائي (رقم (٣٠٠٢، ٥٠٢٧).

مشارقُ الأرض ومـغاربُها فحفـظ الله بهم الإسلام مـصداقا لقوله تـعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الآية ٩ من سورة الحجر].

وهذه أيضا منة أخرى على هذه الأمة.

ثم تتابع السلف رحمهم الله على طريق الصحابة رضى الله عنهم داعين إلى هذا الدين مجاهـدين في سبيل الله مدافعين عن الحـق وأهله وميسرين للناس السبل لسمـاع الحق وكلما لقت طائفة منهم ربها أخلـفهم الله بطائفة فكانوا خير خلف لخير سلف.

وفى ذلك يقول النـبي ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة عـلى رأس كل مائة سنة من يجدد(*) لها دينها»(١).

فالحمـد لله الذى جعـل في كل زمان فترة مـن الرسل، بقايـا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبـرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصـرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيـل لأبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه.

فما أحسن أثـرهم على الناس وأقبح أثـر الناس عليهم ينـفون عن كتاب الله تحريـف الغالين وانتحـال المبطلين وتأويـل الجاهلين الذين عـقدوا ألوية البدع وأطلـقوا عقال الفتـنة فهم مختـلفون في الكتـاب مخالفون للـكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن الضالين(٢).

(*) يجدد: أي يبين السنة من البـدعة ويكثر العلم ويعز أهله وينصر السنة وينصـر أهلها ويقمع البدعة ويكسر أهـلها باللسان أو تـصنيف الكتب أو التـدريس أو غير ذلك وهذا لايكـون إلا عند اندراس الدين. (عون المعبود ١١/ ٣٨٥)، (مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٩٧).

(١) رواه أبوداود في المـلاحم رقم ٤٢٩١ والحاكم فـي مستدركه ٤/ ٥٢٢ وصـححه الألبانـي. انظر: الصحيحة رقم ٥٩٩.

(٢) من خطبة الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية.

وكان من هؤلاء العلماء الربانيين الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - وهو علم من أعلام الإسلام جدد الله به دينه وحفظ به شريعته ورزقه الله قوة في الفقه والفهم فأصل الأصول وقعد القواعد ففرح به العوام بل والعلماء ومازال الناس حتى يومنا هذا يأخذون من علمه ويتابعونه في أصوله وفروعه.

وقد أثنى العلماء عليه ووصفوه بكل جميل. بل لقد أنقذ الله به الناس بعد أن كانوا عالة في الفقه على أهل الرأي فأعادهم إلى الكتاب والسنة وحثهم على التمسك بهما وحذرهم من الرأي وأهله وملأ كتبه بالمسائل المبنية على الكتاب والسنة والقياس الصحيح ورد على من خالفهما حتى ولو كان أقرب الناس إليه فإن الحق أحب إليه من كل أحد.

وفى مدحه والثناء عليه يقول الإمام أحمد - رحمه الله (فكان في المائة الأولى عمر بن عبدالعزيز وفي المائة الثانية الشافعي.........

قال: أبوعبدالله: وإنى لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتى)[١].

وقد نقل من ترجم للإمام الشافعي رحمه الله كثيرا من ثناء الأئمة عليه وتعظيمهم له ومتابعتهم لأقواله في المسائل المشكلات ثقة منهم بعلمه وعقله وقصده.

ومن فضل الله علي أن جعلنى أدرس شخصية هذا الإمام في هذا البحث المتواضع وأجمع ما استطعت من أقواله رحمه الله في العقيدة مع إيضاح منهجه في إثباتها.

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٥٥ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٣.

سبب اختيار الموضوع:

هذا البحث مقدم إلى قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراة) وقد رغبت أن أكتب في هذا الموضوع للأسباب الآتية:

الأول: أن الأمام الشافعي رحمه الله أحد الأئمة الأربعة المقتدى بهم في الإسلام والمعتمد على أقوالهم وفقههم بين الأنام فجمعُ معتقده وبيانُ منهجه مهمٌ في معرفة عقيدة السلف ومنهجهم في إثباتها.

الثاني: أن في إظهار عقيدة الإمام الشافعي إقامة للحجة على كل من ينتحل مذهبه ويخالفه في العقيدة فإن أحدهما لامحالة يضلل صاحبه أويبدعه أو يكفره.

فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر - والله - شرعا وطبعا. فمن قال: أنا شافعي الشرع - الفروع والفقه - أشعري الاعتقاد قلنا له هذا من الأضداد لابل من الارتداد إذ لم يكن الشافعي أشعرى الاعتقاد بل سلفي أثري متبع غير مبتدع(١).

الثالث: الرد على كثير من متأخري الشافعية الذين يؤلفون المختصرات في العقائد وينسبونها إلى الإمام الشافعي وهذا ظلم منهم وعدوان وقد غلب مذهب الأشاعرة اليوم على أتباع المذهب الشافعي.

الرابع: زعم كثير من الخلف أن العقيدة السلفية عقيدة خاصة بالإمام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب رحمهم الله ففي جمع عقيدة الإمام الشافعي رد عليهم وبيان لسوء قصدهم لأن عقائد الأئمة ومنهم الشافعي واحدة في المنهج والنتيجة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٦).

وليس المراد بالارتداد الرِّدّة عن الدين بل المراد المخالفة بعد المتابعة قال في اللسان (٣/ ١٧٣): الرد صرف الشيء ورجعه وقد ارتد وارتد عنه تحول.

الخامس: أن هذا الموضـوع لم أسبق إلـيه حسب عـلمي (بهـذا التفصـيل) ووجوده في المكتبة السلفية مهم جدا.

لهذا كـله وللفائـدة الحاصلة لي إن شـاء الله من جمـع أقوال الإمام ودراستها ومقارنتها بمذهب السلف رأيت أن أكتب في هذا الموضوع.

خطة البحث

يحتوي هذا البحث على:

- مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

- المقدمة وتتضمن سبب اختياري للموضوع.

الباب الأول: حياة الإمام الشخصية والعلمية وفيه فصلان.

الفصل الأول: ترجمة موجزة لـلإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وفـيه ثمانية مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: رحلاته في طلب العلم.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه.

المبحث السادس: ثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: كتبه ومؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

الفصل الثاني: أصول الشافعي في إثبات العقيدة وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: منهج السلف في إثبات العقيدة.

المبحث الثاني: منهج المتكلمين في إثبات العقيدة.

المبحث الثالث: أصول الشافعي في إثبات العقيدة.

الباب الثاني: عقيدته في الإيمان ومنهجه في إثباته وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: حقيقة الإيمان ودخول الأعمال في مسماه.

الفصل الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الثالث: الاستثناء فيه والفرق بينه وبين الإسلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان

الفصل الرابع: حكم مرتكب الكبيرة وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: حكم الكبائر دون الشرك.

المبحث الثاني: حكم تارك الصلاة من غير جحود لوجوبها.

المبحث الثالث: حكم السحر والساحر.

الباب الثالث: عقيدته في التوحيد ومنهجه في إثباته وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: توحيد الألوهية وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول: تعريف التوحيد.

المبحث الثاني: الحكمة من خلق الجن والإنس.

المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالقبور.

المبحث الرابع: الحلف بغير الله.

المبحث الخامس: التطير.

المبحث السادس: الاستسقاء بالأنواء.

المبحث السابع: بعض الألفاظ التي تقدح في كمال التوحيد.

المبحث الثامن: الشفاعة.

المبحث التاسع: الرقى.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية. وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: طريقة السلف في الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثاني: طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثالث: طريقة الشافعي في الاستدلال على وجود الله.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات. وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مجمل عقيدة الإمام الشافعي في الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: مفصل عقيدته في أسماء الله.

المبحث الثالث: مفصل عقيدته في صفات الله.

الباب الرابع: بقية المعتقد ومنهجه في إثباته. وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: الإيمان بالأنبياء. وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: معنى الإيمان بالأنبياء.

المبحث الثاني: حالة الناس قبل بعثة النبي ﷺ وحاجتهم إلى بعثته.

المبحث الثالث: فضائل نبينا محمد ﷺ.

الفصل الثاني: الإيمان باليوم الآخر وما يلحق به، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: فتنة القبر.

المبحث الثاني: حكم إهداء ثواب الأعمال للميت.

المبحث الثالث: البعث والحساب والجنة والنار.

الفصل الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر. وفيه مبحثان.

المبحث الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: مراتب القضاء والقدر.

الفصل الرابع: عقيدته في الصحابة.

الباب الخامس: تبرئة الإمام مما نسب إليه من مخالفة منهج السلف وموقفه من الفرق وفيه فصلان.

الفصل الأول: رسالة الفقه الأكبر المنسوبة للإمام الشافعي. وفيه مبحثان.

المبحث الأول: عرض لمحتويات هذه الرسالة.

المبحث الثاني: الحكم على صحة هذه النسبة.

الفصل الثاني: موقفه من الفرق وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: القدرية والمعتزلة.

المبحث الثاني: الرافضة.

المبحث الثالث: الصوفية.

الخاتمة.

الفهارس.

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

منهجي في هذا البحث.

قسمت هذا البحث إلى أبواب وفصول ومباحث ومسائل. أبدأ المسألة بذكر مذهب السلف في هذه المسألة مع ذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة إن احتاج الأمر إلى ذلك ثم اتبع ذلك بقول الشافعي رحمه الله في المسألة وذكر أدلته إن وجدت وقد أذكر ملخصا لقوله إن احتاج الأمر إلى ذلك.

عزوت الآيات إلى موضعها من القرآن.

خرجت الأحاديث من مصادرها وأكتفي بعزوها إلى الصحيحين أو إلى أحدهما إن وجدت فيه أو إلى الكتب الأربعة إن وجدت فيها ولا أزيد على ذلك إلا إذا خرج الحديث عنها فإني أذكر من خرجه على قدر الطاقة.

قمت بالحكم على الأحاديث إذا لم تكن في الصحيحين وذلك بذكر أقوال العلماء في ذلك.

ترجمت بعض الأعلام الذين رأيت لترجمتهم فائدة في البحث.

شرحت بعض الكلمات المحتاجة إلى توضيح.

عرفت البلدان الوارد ذكرها في البحث.

إذا أطلقت شيخ الإسلام فهو الشيخ ابن تيمية وإذا قلت أخرجه البيهقي في المناقب فالمراد به مناقب الشافعي للبيهقي.

وضعت فهارس توضيحية للبحث.

وفي الختام

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على تسهيله هذا البحث وإعانتي عليه.

ثم أشكر بعد شكر الله الجامعة الإسلامية ممثلة في رئاستها وكلياتها وجميع منسوبيها وأسال الله أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه.

كما أشكر فضيلة الشيخ حماد الأنصاري المشرف الأول على هذا البحث(*).

وفضيلة الشيخ عبدالكريم مراد الأثري المشرف الثاني على البحث.

وفضيلة الشيخ الدكتور على بن عبدالرحمن الحذيفي المشرف الثالث على هذا البحث الذي بذل لي كل ما يستطيع من أجل اتمام البحث فجزاه الله عني خيرا.

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي وفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن ربيع المدخلي علي قبولهما مناقشة هذا البحث المتواضع فجزاهما الله عني خيرا ويسر الله لهما أمر دنياهما وآخرتهما.

ثم أشكر كل من أعانني على إتمام البحث من الإخوان والأصدقاء والأهل وعلى رأسهم والدي الحبيب الذي كان لى نعم العون بعد الله في ذلك وفي توجيهى هذه الوجهة وما ذلك إلا لحبه للعلم وأهله فجزاه الله عني خيرا وجعلني وعملي في ميزان حسناته.

(*) طبع هذا البحث بعد وفاة فقيد العلم المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله رحمة واسعة.

وإني في ختام هذه المقدمة لأعتذر لكل من قرأ هذه الرسالة عن التقصير الواضح في هذا البحث وذلك لقلة البضاعة وعدم الخبرة في ذلك ولست أقول كما قال القائل.

وإنـــي وإن كـنــت الأخـيــر زمـانــه
لآت بمـا لــم تـسـتــطـعــه الأوائـل

ولكني أقول كما قال الآخر

يــانــاظــرا فــيــه ســد الخــلــلا
فـجــل مــن لاعـسـيـب فــيــه وعــلا

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الباب الأول

حياته الشخصية والعلمية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: ترجمة مختصرة للإمام الشافعي رحمه الله.

الفصل الثاني: أصول الشافعي في إثبات العقيدة مقارنة بمنهج السلف ومنهج المتكلمين.



الفصل الأول

ترجمة موجزة للإمام الشافعي رحمه الله

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: رحلاته في طلب العلم.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه.

المبحث السادس: ثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: كتبه. ومؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.



المبحث الأول: اسمه ونسبه

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب أبوعبدالله القرشي الشافعي المكي. نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه.

فالمطلب هو أخو هاشم والد عبدالمطلب جد النبي ﷺ فهو إذًا يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي الجد الثالث للنبي ﷺ.

قال النووي رحمه الله: الشافعي رضي الله عنه قرشي مطلبي بإجماع أهل النقل من جميع الطوائف وأمه أزدية(١).

وينسب إلى جده شافع بن السائب صحابي صغير لقي النبي ﷺ وهو شاب مترعرع.

ويروى أن النبي ﷺ كان ذات يوم في فسطاط إذ جاءه السائب بن عبيد ومعه ابنه ـ يعني شافع بن السائب ـ فنظر النبي ﷺ إليه فقال «من سعادة المرء أن يشبه أباه»(٢).

والسائب بن عبيد كان يشبه النبي ﷺ وكان يوم بدر صاحب راية بني هاشم مع المشركين فأسر ففدا نفسه ثم أسلم فقيل له، لم لم تسلم قبل أن تفتدي فقال: ما كنت أحرم المؤمنين طمعا لهم فيَّ(٢).

وروى الحاكم في مناقب الشافعي بسنده أن السائب هذا اشتكى فقال عمر: اذهبوا بنا نعوده فإنه من مصاصة (*) قريش وقد قال النبي ﷺ حيث

---

* انظر مصادر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥.

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤ القسم الأول.

(٢) الإصابة ٢/ ١١ وتوالي التأسيس ٣٧ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم/ ٥٣٠١).

(*) مصاصة الشيء خالصه وفلان مصاصة قومه أي أخلصهم نسبًا. فمعنى قول عمر رضى الله عنه أن السائب من أخلص قريش نسبًا. وانظر في معنى المصاصة. . اللسان (٧/ ٩١).

أتي به وبعمه العباس: (هذا أخي وأنا أخوه)[١].

لقبه:

يلقب رحمه الله بناصر الحديث وذلك لما اشتهر عنه من نصرته للحديث وحرصه على اتباعه[٢] وسيأتي تفصيل هذا إن شاء الله تعالى في منهجه في إثبات العقيدة.

(١) مناقب البيهقي ١/ ٧٩ - ٨٠ الإصابة ٢/ ١٠ - ١١ وتوالي التأسيس ٣٧، تاريخ بغداد (٢/ ٥٨).
(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٧٢ توالي التأسيس ٤٠.

المبحث الثاني: مولده ونشأته

اتفــق المؤرخون علــى أنه ولد عام ١٥٠هـــ وهو العــام الذي توفي فــيه الإمام أبوحنيفة رحمه الله(١).

قال الحاكم: لا أعلم خـلافا أنه ولد سنة خمسين ومائـة وهو العام الذي مات فيه أبوحنيفة ففيه إشارة إلى أنه يخلفه في فنه وقد قيل إنه ولد في اليوم الذى مات فيه ـ يـعنى أباحنيفة ـ وزيـفوه وليس بواه فقد أخرجـه أبوالحسن محمد بن الحسين بن إبـراهيم في مناقب الشافعي بسند جـيد إلى الربيع بن سليمان قال: ولد الشافعي يوم مات أبوحنـيفة لكن هذا اللفظ يقبل التأويل فهم يطلقون اليوم ويريدون مطلق الزمان.

وكانت وفاة الإمام أبي حنـيفة في سنة خمسين ومائة علـى الصحيح وقد قيل إنه مات سنــة إحدى وخمسين وقيل سنة ثلاث وخـمسين ولـم أقف في شيء من الـتواريخ على تعـيين شهره ولـم يختـلف الرواة كما تـقدم في أن الشافعي ولد سنة خمسين ومائة ولـم يعيـنوا الشهر أيضا فهذا مما يبعد حمل قول الربيع على ظاهره. والله أعلم(٢).

مكان ولادته..

اختلفت الروايات فــي مكان ولادته فأشهرها أنه ولد بغزة وقـيل بعسقلان وقيل باليمن.

فعند ابن أبــى حاتم عن عمرو بن سواد قال: قال لي الـشافعي، ولدت بعسقلان فلما أتى علي سنتان حملتني أمي إلى مكة(٣).

---

(١) انظر: مصادر ترجمته.
(٢) توالي التأسيس ٥٢.
(٣) آداب الشافعي ٢٢ ـ ٢٣.

وذكره البيهقي بسنده عن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم قال: سمعت الشافعي يقول: ولدت بغزة وحملتني أمي إلى عسقلان(١).

وعند ابن أبي حاتم رواية أخرى في مكان ولادته فروى بسنده إلى ابن أخي عبدالله بن وهب قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يقول ولدت باليمن فخافت أمي على الضيعة وقالت الْحَقْ بأهلك فتكون مثلهم فإني أخاف أن تغلب على نسبك فجهزتني أمي إلى مكة فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر(٢).

وقد جمع البيهقي رحمه الله بين هذه الروايات فقال بعد ذكره لرواية ابن أخي عبدالله بن وهب كذا ورد في هذه الرواية باليمن والأول ـ أصح ـ أي مولده بغزة ـ ثم قال: ويحتمل أن يكون أراد موضعًا يسكنه بعض بطون اليمن في غزة.

قال: والذي يدل عليه سائر الروايات من ولادته بغزة ثم حمله إلى عسقلان ثم إلى مكة. والله أعلم(٣).

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

إنه لا مخالفة بين الأقوال لأن عسقلان هي الأصل في قديم الزمان وهي وغزة متقاربتان وعسقلان هي المدينة فحيث قال الشافعي غزة أراد القرية وحيث قال عسقلان أراد المدينة.

قال: والذي يجمع بين الأقوال أنه ولد بغزة عسقلان ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز ودخلت به إلى قومها وهم من أهل اليمن لأنها

---

(١) مناقب البيهقي ٢/ ٧١.

(٢) آداب الشافعي ٢١ ـ ٢٢.

(٣) المناقب ١/ ٧٥.

كانت أزدية فنزلت عندهم فلما بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته إلى مكة(١).

وبهذا الجمع يذهب اللبس في اختلاف الروايات، والله أعلم.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشافعي رحمه الله في غزة يتيمًا بعد أن مات أبوه فيها فاجتمع عليه الفقر واليتم والبعد عن الأهل لكن كل هذه الأمور لم تضره بعد أن وفقه الله للسير في الطريق الصحيح.

فبعد أن قدمت به أمه أرض الحجاز وهي مكة على أكثر الروايات أو قريبا منها أقبل على حفظ القرآن فيقال إنه أتَمَّهُ وهو ابنُ سبع.

قال رحمه الله: كنت يتيما في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم وكان المعلم قد رضي منى أن أخلفه إذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة وكانت دارنا في شعب الخيف فكنت أكتب في العظم فإذا كثر طرحته في جرة عظيمة(٢).

وقال رحمه الله:

قدمت مكة وأنا ابن عشر أوشبهها فصرت إلى نسيب لي فرآني أطلب العلم فقال لي: لاتعجل بهذا وأقبل على ما ينفعك ـ يعنى التكسب ـ قال فجعلت لذتي في العلم وطلبه حتى رزق الله منه مارزق(٣).

وقال: (لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة فأذهب إلى الديوان فاستوهب منهم الظهور فأكتب فيها)(٤). وواظب على طلب العلم

---

(١) توالي التأسيس ٥١ ـ ٥٢ بتصرف.

(٢) توالي التأسيس ٥٤.

(٣) توالي التأسيس ٥٣.

(٤) المصدر السابق ٥٣ ـ ٥٤ (الظهور جمع ظَهر وهو خلاف البطن ولعله يعني ما يلقيه الديوان من الجلد بعد أخذ باطنه). وانظر اللسان ٤/ ٥٥.

فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ثمان عشرة أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي وعنى بالشعر واللغة وحفظ شعر الهذليين وأقام عندهم نحو من عشر سنين وقيل عشرين سنة فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وهمته وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي وروى عن خلق كثير وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ(١).

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٣.

المبحث الثالث: رحلاته في طلب العلم

بعد أن حفظ القرآن الكريم بمكة حبب إليه الشعر واللغة فكان يختلف إلى هذيل لحفظ أشعارهم ولغاتهم والظاهر أنه حفظ في بداية عمره من شعرهم الشيء الكثير فقد أخرج الأبري من طريق الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول: كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الكلمة فأحفظها. قال: وخرجت من مكة يعنى بعد أن بلغ قال: فلزمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها وآخذ لغتها وكانت أفصح العرب[1]. وأخرج الحاكم من طريق مصعب الزبيري قال: قرأ الشافعي أشعار هذيل حفظا ثم قال لي: لاتخبر بهذا أحدا وكان يسمر مع أبي من أول الليل إلى الصباح يتذاكران وكان أول أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب ثم أخذ في الفقه والسبب في ذلك أنه كان يسير على دابة له فتمثل ببيت شعر فقال له كاتب كان لوالد مصعب بن عبدالله الزبيري: مثلك يذهب بمروءته في هذا أين أنت من الفقه فهزه ذلك وقصد مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة فلازمه ثم قدم المدينة على مالك[2].

ويروى أن الذي أشار عليه بتعلم الفقه هو شيخه مسلم بن خالد الزنجي فقد أخرج البيهقي من طريق أبي بكر الحميدي قال: قال الشافعي خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد فقال: يافتى من أين أنت قلت من أهل مكة قال: وأين منزلك بها قلت: بشعب الخيف قال: من أي قبيلة أنت قلت: من ولد عبدمناف قال: بخ بخ لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة ألا جعلت فهمك هذا في الفقه فكان أحسن بك[3].

---

(1) توالي التأسيس ٥٥.

(2) مناقب البيهقي ١/ ٩٦، والحلية ١/ ٧٠ وتوالي التأسيس ٥٤.

(3) مناقب البيهقي ١/ ٩٧.

وأيًا كان السبب فإن هذه النصوص تدل على أن الشافعي رحمه الله بعد أن حفظ القرآن رحل إلى هذيل ومنازلها في أطراف مكة ثم بعد أن حفظ أشعارهم ولغتهم حول همته إلى الفقه وتتلمذ على مفتي مكة مسلم بن خالد الزنجي فلما أتقن ما عنده رحل رحلته الأولى إلى المدينة.

رحلته إلى المدينة ولقاؤه بالإمام مالك:

قبل أن يرحل الإمام الشافعي رحمه الله إلى الإمام مالك استعد لذلك اللقاء فحفظ الموطأ عن ظهر قلب وجاء في بعض الروايات أنه حفظه وهو ابن عشر سنين وفي بعضها أنه حفظه وهو ابن ثلاث عشرة سنة[1].

ويحكي الشافعي قصة ذهابه إلى مالك فيقول:

خرجت من مكة فلزمت هُذَيلا في البادية أتعلم كلامها وآخذ بلغتها وكانت أفصح العرب فأقمت معهم مدة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر أيام الناس فمر بي رجل من الزهريين فقال لي: يا أبا عبدالله عز علي أن لاتكون في العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة. قلت: من بقي ممن يقصد؟ فقال: مالك بن أنس سيد المسلمين قال: فوقع ذلك في قلبي وعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة وحفظته ثم دخلت على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس فقدمت المدينة فبلغت الكتاب. فلما قرأ والي المدينة الكتاب قال:

يابني إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون علي من المشي إلى باب مالك فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه: فقلت: إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر فقال: هيهات. ليت أني إن ركبت أنا ومن معي وأصابنا تراب العقيق يَقضِي حاجتنا. فواعدته العصر وقصدناه فتقدم

---

(١) توالي التأسيس ٥٤.

رجل وقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إنني بالباب فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت إن مولاي يقول: إن كانت مسألة فارفعها إلي في رقعة حتى يخرج إليك الجواب.

وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف.

فقال لها: قولي له إن معي كتاب والي مكة في مهم فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي فوضعته فإذا بمالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطيلس فدفع إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى قوله: إن هذا الرجل شريف من أمره وحاله فتحدثه. فرمى الكتاب من يده وقال: ياسبحان الله قد صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل قال فرأيت الوالي وهو يهابه أن يكلمه فتقدمت إليه فقلت أصلحك الله إني رجل مطلبي من حالي وقصتي فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي ما اسمك؟ فقلت محمد قال: يامحمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن.

فقلت نعم وكرامة.

فقال إذا كان غدا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ.

فقلت: إني أقرأه ظاهرا.

قال فغدوت إليه وابتدأت فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي.

يقول يافتى زد حتى قرأته عليه في أيام يسيرة.

ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك بن أنس رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن[1].

والظاهر أن بقاءه في المدينة لم يكن متصلا بل كان يعود إلى مكة لزيارة أمه وكان في عودته يسمع بعض أشعار الهذليين ويسمع من علماء مكة.

---

(١) المناقب للبيهقي ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣. والرازي ٩ ـ ١٠ ومختصرها في الحلية ٩/ ٦٩ وتوالي التأسيس ٥٣ ـ ٥٦.

والذي تدل عليه الروايات أن الإمام الشافعي خرج إلى المدينة وعمره ثلاث عشرة سنة أي حوالي سنة ثلاث وستين ومائة وصار يتردد بينها وبين مكة وبين هذيل وإن كانت أكثر إقامته بالمدينة عند الإمام مالك إلى أن توفي الإمام مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة فعاد بعد ذلك بعد أن حصل من علم الإمام مالك الشيء الكثير وبدأ صيته يرتفع وعرف أمره بالعلم وعمره تسع وعشرون سنة تقريبا وكان في هذه الفترة قد تتلمذ على سفيان ابن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي وإبراهيم بن أبي يحيى ومالك بن أنس بالمدينة وقد سمع وأخذ من غيرهم كما قال مصعب الزبيري (فما ترك - أي الشافعي شيئا عند مالك بن أنس إلا الأقل ولاعند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه)[١].

رحلته إلى اليمن

بعد رجوعه إلى مكة من المدينة اشتغل بالعلم وكان الفقر يمنعه من تحصيل كتب العلم وكانت نفسه تتطلع إلى تحصيل مزيد من العلم وهذا شأن العلماء الذين رزقهم الله حلاوة العلم لايشبعون منه كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا»[٢].

وهنا تاقت نفسه وتطلعت إلى علم أهل اليمن وكان بقي من أصحاب ابن جريج[٣] هشام بن يوسف ومطرف بن مازن[٤] وهما من كبار أصحاب

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٣.

(٢) الحديث رواه الدارمى ١/ ٩٦ والحاكم في المستدرك ١/ ٩٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم أجد له علة ووافقه الذهبي.
واخرجه ابن أبي خيثمة في العلم رقم ١٤١ واسناده صحيح انظر: المشكاة ١/ ٩٦.

(٣) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي العلامة الحافظ شيخ الحرم أبوخالد ت ١٥٠هـ أو بعدها السير ٦/ ٣٢٥..

(٤) انظر شيوخ الشافعي في المباحث التالية.

ابن جريج وكان ابن جريج أخـذ العلم عن عطاء[١] ولكنه لضيق ذات اليد لايستطيع السفر إلى اليمن وكان قد سمع أن بها علوما شتى كعلوم الفراسة ونحوها فتشوق للسفر إليها وعرف هذا من كان يخالطه من خاصته.

ولذلك لما ولي بـعض الطالبين اليمن مـشت أمه إلى بني عمه لـيكلموه ليصحبه معه إلى اليمن فوافق ولم يكـن عندها ما تعطيه فرهنت دارها بستة عشر دينارا وأعطته إياها.

يقول الشافعي رحمه الله عن ذهابه إلى اليمن.

فتحملت بها معه فلما قدمنا اليمن استعملني على عمل فَحُمِدْتُ فيه فزاد في عمـلي وقدم العمال مـكة في رجب فأثـنوا علي وصار لي بـذلك ذكر فقدمت مـن اليمن فلقيـت ابن أبي يحيى وقد كنـت أجالسه فسلمـت عليه فوبخنـي وقال: تجالسوننا وتصـنعون فإذا شرع لأحدكم شـيء دخل فيه أو نحو هذا من الكلام. قال فـتركته. ثم لقيت سفيان بن عيينـة فسلمت عليه فرحب بي وقال: قد بلغني ولايتك فمـا أحسن ما انتشر عنك وما أديت كل الذي لله تعالى عليك ولا تعد. قال: فـجاءت موعظة سفيان إياي أبلغ مما صنع ابن أبي يحيى.

ثم ذكر رجوعه إلى اليمن وذكر بعض أعماله وحرصه على إشاعة العدل وحرصه على طلب العلم حتى شاع ذكره بين الناس وربما حسده لذلك أهل الدنيا أوخافوا من ميل الناس له أن يحدث انقسام في الدولة[٢] ولذلك كتب بعض قواد هارون الـرشيد إلى هارون كتابا يـخوفونه فيه من شأن الـعلويين وأن عندهم رجلاً يقال لـه محمد بن إدريس يعمل بلسانه مـالايعمل المقاتل بسيفه فإن كانت لك بالحجاز حاجة فاحملهم منها.

---

(١) عطاء بن أبي رباح القرشي المكي ثقة فقيه فاضل ت١١٤، التقريب ٤٥٩١.

(٢) وقد جرت بين العلويين والعـباسيين محن كثيرة ولذلك خاف عامل اليمـن من اشتهار عالم علوي يستغله طلاب الرياسة من العلويين في جمع الناس إليهم ضد العباسيين.

فحمل مقيدا إلى العراق مع بعض العلويين[١].

هذه قصة ذهابه لليمن مختصرة وهى تدل على أنه كان يرجع في مدة إقامته باليمن إلى مكة وهذا سبب اعتقاد بعض الكتاب أن رحلته لليمن كانت رحلات عدة وهو حق بالنسبة لكثرة قدومه إلى مكة ولكنها من حيث الأصل رحلة واحدة لطلب العلم ولكن والي اليمن وهو من الطالبيين لما رأى حاجته استعمله في بعض الأعمال ليساعده على طلب العلم فلما اشتهر حسن تدبيره زاده في العمل والشافعي مع عمله لم يترك طريقا إلى العلم إلا سلكه فلما اشتهر أمره وقع له ما وقع من المحنة.

محنته:

لما وصل الكتاب إلى الرشيد بشأن العلويين ومعهم الشافعي كتب الرشيد إلى والي اليمن بحمل العلويين فحملوا وحمل معهم الشافعي مكبلاً بالحديد والله أعلم بما قاساه في الطريق إلى العراق من عذاب ولكن لطف الله ولاشك بعباده المؤمنين يظهر جليا في مثل هذه المواقف عند التجاء العبد لربه جل وعلا.

فلما وصل الركب المعذب إلى العراق أدخل على هارون الرشيد وقد وردت ـ عدة روايات في لقائه بهارون الرشيد وكلها متقاربة المعنى إلا واحدة وهي رواية مكذوبة زعم فيها واضعها أن محمد بن الحسن[٢] وأبا يوسف[٣] رغبا هارون بقتل الشافعي ويرد عليها بأن الشافعي لما دخل العراق حوالي سنة ١٨٤ كان أبويوسف قد مات ولايمكن أن يرغباه وهما من هما في

---

(١) المناقب للبيهقي ١/ ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) ستأتي له ترجمة في شيوخ الشافعي إن شاء الله.

(٣) أبويوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي القاضي صاحب أبي حنيفة قال الذهبي: «هو الإمام المجتهد العلامة المحدث ولد ١١٣ ت يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنين وثمانين ومائة». السير ٨/ ٥٣٥.

العلم والفضل والورع ولا يمكن أن يرغبا الرشيد بقتل رجل اشتهر عندهما بالعلم ولكنها روايات ملفقة يلفقها كما هو معلوم متعصبة المذاهب للنيل من علماء المذهب الآخر وكأن المذهب الآخر على غير دين الإسلام وهذا ما جره التعصب المذهبي على الأمة الإسلامية والناظر في كتب المذاهب يرى العجب العجاب من أمثال هذه القصص مما يدل على ضرورة الرجوع للكتاب والسنة ونبذ التعصب وإلا فلن يجتمع شمل الأمة مرة أخرى وليس هذا مكان بيان هذه المسألة المهمة ولكنها كلمة لابد منها بهذه المناسبة[١].

ومما يدل على كذب هذه الرواية أنه جاء في بعض الروايات أن محمد بن الحسن كان يدافع عن الشافعي عند الرشيد ولذلك لما نجا الله الشافعي لازمه ـ وأخذ العلم عنه[٢].

ولنترك الشافعي يحكى لنا قصة دخوله على هارون الرشيد.

قال: فأدخلنا على هارون الرشيد عشرة عشرة وقد مضى أكثر الليل فجعل يقيم منا واحدا واحدا فيتكلم من وراء الستر فيأمر بضرب عنقه حتى انتهى ذلك إلي فقلت يا أمير المؤمنين عبدك وخادمك محمد بن إدريس الشافعي فقال: اضرب عنقه فقلت يا أمير المؤمنين أقول وتسمع ويدك الباسطة وسلطانك المنيع ولايفوتك مني ما تريد. قال: قل.

قلت: يا أمير المؤمنين كأنك اتهمتني بالإنحراف عنك والميل إلى هؤلاء ـ القوم وسأضرب لك مثلك ومثلهم معي:

ما يقول أمير المؤمنين في رجل له أبناء عم.

أحدهما خلطه بنفسه وأشركه في نسبه وزعم أنه مثله وأن ماله حرام عليه إلا بإذنه وأن ابنته حرام عليه إلا بتزويجه وأنه يرى له عليه كما يرى له عليه لنفسه.

---

(١) انظر: توالي التأسيس ١٣٠ ـ ١٣٢ وانظر كتاب بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباس.

(٢) انظر: مناقب البيهقي ١/ ١٥٨.

والآخر زعم أنه دونه وأنه في النسب أعلى منه وأنه عبده وأن ابنته أمته وأنها تحل له بغير إذنه وأن ماله له. فلمن تراه يتولى يا أمير المؤمنين فهذا أنت وهؤلاء قال فاستعادني القول ثلاث مرات كل ذلك أرد عليه بمعنى واحد بألفاظ مختلفة قال احبسوه[١].

وجاء في بعض الروايات عند ابن عبدالبرقال: «دخل الشافعي ومن معه من العلويين على الرشيد وكان دخولهم واحدا واحدا يكلم أحدهم وهم يسمعون من خلف الستر..

قال الشافعي إلى أن بقي حدث علوي من أهل المدينة وأنا فقال للعلوي أأنت الخارج علينا والزاعم أني لا أصلح للخلافة فقال العلوي: أعوذ بالله أن أدعي ذلك أو أقوله قال فأمر بضرب عنقه فقال له العلوي إن كان لابد من قتلي فأنظرني أكتب إلى أمي بالمدينة فهى عجوز لم تعلم بخبري فأمر بقتله فقتل.

ثم قدمت: ومحمد بن الحسن جالس معه فقال لي مثل ما قال للفتى فقلت يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي وإنما دخلت في القوم بغيا علي وإنما أنا رجل من بني المطلب بن عبدمناف بن قصي ولي مع ذلك حظ من العلم والفقه والقاضي يعرف ذلك أنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف. فقال لي أنت محمد بن إدريس قلت نعم يا أمير المؤمنين قال: ماذكرك لي محمد بن الحسن. ثم عطف على محمد بن الحسن فقال يامحمد: مايقول هذا هو كما يقوله قال: بلى وله من العلم محل كبير وليس الذي رفع عليه من شأنه.

(١) مناقب البيهقي ١/ ١١٢.

قال فخذه إليك حتى أنظر في أمره(١).

وقال ابن كثير: فحمل ـ الشافعي ـ على بغل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة فاجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد وأحسن القول فيه محمد بن الحسن وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه وأنزله محمد بن الحسن عنده وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة أو سنتين وأكرمه محمد بن الحسن وكتب الشافعي عنه وقر بعير(٢).

هذا ملخص لروايات دخوله على هاورن وهي تدل على ثبوت اتهامه بهذه التهمه ونجاته منها وحسن كلام محمد بن الحسن فيه وعفو أمير المؤمنين عنه ومنحه بعض المال(*).

(ملازمته لمحمد بن الحسن في العراق بعد نجاته من المحنة)

بعد أن سلم الله الشافعي من هذه التهمة لازم محمد بن الحسن وأخذ عنه فقه العراق وحديثه وكتب كتبه وسمعها عليه حتى قال: حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ليس عليه إلا سماعي.

وكان معظمًا لمحمد بن الحسن تمام التعظيم مع ما يجري بينهما من مناظرات وخلافات مشهورة بين المذهبين فالشافعي رحمه الله على مذهب أهل الحديث ومحمد بن الحسن رحمه الله على مذهب أهل الرأي ومعلوم ما بين المذهبين من اختلاف.

ومع هذا يقول الشافعي عن محمد بن الحسن (ما رأيت سمينا عاقلا إلا محمد بن الحسن)(٣).

---

(١) الإنتقاء ٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٣.

(٣) مناقب البيهقي ١/ ١٥٩.

(*) ونأخذ من هذه القصة أن السلف رحمهم الله كانوا يسمعون لولاة أمورهم وإن ظُلموا وإن سُجنوا ولم يكونوا يرون الخروج عليهم ولا غيبتهم ولا تتبع زلاتهم فهذا الإمام الشافعي رحمه الله مع ما فعل به لم نسمع منه كلمة واحدة في ذم إمامه. وانظر للزيادة السنة للخلال ١/ ٧٣ وانظر ما وقع للإمام أحمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن.

وقال (ما رأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهة في وجهه إلا محمد بن الحسن)(١).

ولكنه مع حبه له وتعظيمه لم يترك الرد عليه إذا خالف الدليل ولذلك كان يعقد المناظرات مع تلاميذ محمد بن الحسن إذا قام من الحلقة وكان بذلك يجل محمد بن الحسن من أن يناظره ولما طلب محمد بن الحسن مناظرته ناظره وقد قامت بينهما عدة مناظرات منها ما هو بحضرة الخليفة هارون الرشيد ومنها ما هو في حلقة محمد بن الحسن، ومع جمعه لكتب محمد بن الحسن فإنه لم يكن يقبل منها إلا ما وافق الدليل ورد على ما خالف الدليل يقول رحمه الله في ذلك (أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين دينارا ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثًا يعني ردا عليها)(٢).

وهذا هو شأن سلف الأمة في الحرص على متابعة الدليل ولو خالف ذلك قول الشيخ. وبهذا ارتفعت الأمة وانتشرت السنة، لذلك كان من أهم أسباب الإنتكاس تعصب المتعالمين لمذاهبهم ولو خالفت الدليل الصحيح الصريح فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تأخر فأُحْيِيَتْ البدع وأُمِيتَتْ السنن فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رجوعه إلى مكة

بعد أن حصل الشافعي ما استطاع من علم العراق وكان قبل ذلك قد حصل من علم الحجاز شعر أن الوقت حان لنشر ما عنده من علم فقرر العودة إلى مكة بعد أن ذاع ذكره واشتهر أمره وعلا قدره وبدأ يلقي دروسه في الحرم المكي الذي سبق أن دار فيه طالبا للعلم من علمائه.

---

(١) مناقب البيهقي ١/١٥٩..

(٢) آداب الشافعي ٣٣ ـ ٣٤.

وفى موسم الحج كان يرد إلى مكة آلاف الناس من كل مكان لأداء فريضة الحج فكانوا يسمعون عن فتى قرشي قد بهر الناس علمه وفقهه فكانوا يحرصون على السماع منه فشاع بذلك ذكره في البلاد.

والتقى به في هذه المدة كثير من العلماء وكانوا يعجبون بسعة اطلاعه واستحضاره للدليل وحرصه على متابعة السنة وعظم فقهه واستنباطه وكانوا يعجبون من أصوله التي أصلها وقواعده التي قعدها وكلها مأخوذة من الكتاب والسنة وأكثرها لم يسمع به من قبل ومن أشهر من سمع منه هذه المرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي وفد حاجا إلى مكة ودخل المسجد الحرام للالتقاء بكبار العلماء والمحدثين وكان أشهرهم سفيان بن عيينة شيخ الإمام الشافعي لكنه وجد شيئا في حلقة الشافعي لم يجده عند غيره لذلك بدأ الإمام بالاقتراب من حلقة الإمام الشافعي فرأى فيه شيئا جديداً غير رواية الأحاديث رأى فيه فقها وفهما ثاقبين وقواعد لم يكن سمعها من قبل فبدأ بحضور حلقته وترك من أجل ذلك حلقات كبار المشايخ قال محمد بن الفضل الفراء: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل، فنزلت في مكان واحد معه فخرج باكرا وخرجت معه فدرت المسجد فلم أره في مجلس ابن عيينة ولاغيره حتى وجدته جالسا مع أعرابي(*) فقلت: يا أبا عبدالله تركت ابن عيينة وجئت إلى هذا.

فقال لي: اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده ما رأيت أحدًا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى قلت:

من هذا قال: محمد بن إدريس(١).

(*) شبه الشافعي رحمه الله بالأعرابى لأن الشافعي والله أعلم كان يلبس لباسهم لإقامته بينهم أو لفصاحته وحفظه كلامهم. والله أعلم.

(١) توالي التأسيس ٥٦.

وعن إسحاق بن راهوية قال: كنت مع أحـمد بمكة فقال لي: تعال حتى أريك رجلا لم ترعيناك مثله. فأراني الشافعي(١).

وعن الحميدي قال: كان أحمد بن حنبل قـد أقام عندنا بمكة على سفيان ابن عيينة فقال لي ذات يوم ههنا رجل مـن قريش له بيان ومعرفة فقلت له: فمن هو؟ قال محمـد بن إدريس الشافعي وكان أحمد بن حنـبل قد جالسه بالعراق فلم يزل بـي حتى اجترني إليه... فجلسنا إليـه ودارت مسائل فلما قمنا قال لي أحمد بن حنبل: كيف رأيت؟ فجعلت أتتبع ما كان أخطأ فيه. وكان ذلك مني بالقرشية (يعني من الحـسد) فقال لي أحمد بن حنبل: فأنت لاترضى أن يكـون رجل من قريش تكـون له هذه المعرفة وهـذا البيان ـ أو نحو هذا الـقول ـ تمر مائة مسألة يـخطىء خمسا أو عشرا. اتـرك ما أخطأ وخذ ما أصاب)(٢).

واستمر الإمام الشافعي في دروسه فـي الحرم المكي مدة من الزمن تقرب من تسع سنوات حتى خرج بعدها إلى العراق.

رحلته الثانية إلى العراق.

رحل الشافعي مرة ثانية إلى العـراق سنة ١٩٥ هـ ولكن رحلته هذه المرة تختلف عن رحلته الأولى فرحلته هذه المرة مختارا وقد سبقه إلى بغداد هذه المره شهرة وذكر بثهـما كبار المحدثين والفقهاء كأحمـد بن حنبل، وإسحاق ابن راهوية وعبدالرحمن بن مهدي وكتـب الله له القبول هناك وأقبل الناس على ماعنده وتركوا ما عندهم.

فقد روى البيهقي بسنده عن أبي ثور قال:

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٠.

(٢) آداب الشافعي ٤٤.

لما ورد الشافعي رضي الله عنه العراق جاءني حسين الكرابيسي وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه فقم بنا نسخر به.

فقام وذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول: قال الله عزوجل وقال رسول الله ﷺ حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه) وهناك التقى به أحمد بن حنبل وكان قد التقى به قبل ذلك بالمدينة وأخذ عنه وأثنى عليه وقال: كانت أقضيتنا أصحاب الحديث في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع حتى رأينا الشافعي وكان أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث.

وعن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان أصحاب الحديث رقودا حتى أيقظهم الشافعي رضي الله عنه.

وقال إبراهيم الحربي رحمه الله تعالى: قدم الشافعي بغداد وفي المسجد الجامع الغربي عشرون حلقة لأصحاب الرأي فلما كان في الجمعة الثانية لم يثبت منها إلا ثلاث حلقات أو أربع حلقات، ولم تكن إقامته في العراق مستمرة بل كان يتردد بينها وبين مكة قال الحسن بن محمد الزعفراني: قدم علينا الشافعي سنة خمس وتسعين ومائة فأقام عندنا سنتين ثم خرج إلى مكة ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام عندنا أشهرا ثم خرج إلى مصر[١].

رحلته إلى مصر

بعد عودة الشافعي إلى العراق حدثت أمور في عاصمة الخلافة جعلته يفكر بالهجره النهائية عنها ولعل أعظم ما حدث تسلط علماء الكلام على الخليفة المأمون فانتشرت البدعة وماتت السنة وأصبح يسمع عن خوض المأمون في المباحث الكلامية وكان الشافعي رحمه الله خبيراً بعلم الكلام

(١) مناقب البيهقي ١/ ٢٢٠.
توالى التأسيس ٧٢.

وأهله وعليمـا بما تحويه قلوبهم من حقـد على علماء السنة ومن كـره للسنة وأهلها عرف أن عاقـبة الأمر خطيرة وهذا ماحدث بالفعـل فقد أدنى المأمون علماء الـكلام وقربهم وجعـلهم كتابه وجلـساءه حتى عظم شـأنهم وحدث بسببهم ماحدث من أمور عظام شغلت العالم الإسلامي وجرت له الويلات واستبيحت بسبب ذلك دماء العلـماء وزجّ بأكثرهم في السجون وكان أعظم ما حدث فتنة القول بخلق القرآن، ومازال المسلمون يعانون من علم الكلام وأهله الشيء الكثير.

هذه أعظم الأسـباب التي جعلت الإمام الـشافعي رحمه اللـه يرغب في الخروج من العراق ويـرحل إلى بلد لم تصلـه هذه الفلسفات فاخـتار مصر واختياره لها ـ والله أعلم ـ لأن مذهب الإمـام مالك قد اشتهر بها وهو من أهل الحديث وأهل الحديث أبعد الناس عن الكلام والبدع(١).

وكانت نفسه تتوق إلى مصر رغماً عـنها وكان لايدري حقيقة هذه الرغبة ولكنه استـسلم أخيراً لقضاء اللـه وفَرَّ بدينه من العراق ومـا بها وخرج إلى مصر وفي ذلك يقول:

لقد أصـبحت نفـسي تتوق إلـى مصر
ومـن دونهـا أرض المـهامـة والـقفـر
فـوالـله لا أدري ألـلـفـوز والغـنـى
أسـاق إليـها أم أسـاق إلى الـقبـر(٢)

وحين قدم الشافعـي رحمه الله مصر ذهب الى جامـع عمرو بن العاص وتحدث به لأول مرة أحبه الناس وتعلقوا به(٣).

(١) انظر: مناقب البيهقي ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥
(٢) ديوان الشافعي ٤٧.
(٣) مناقب البيهقي ١/ ٤٦٣.

قال هارون بن سعيد الأيلي (ما رأيت مثل الشافعي قدم علينا مصر فقيل قدم رجل من قريش فجئناه وهو يصلي فما رأينا أحسن صلاة منه ولا أحسن وجها منه فلما تكلم ما رأينا أحسن كلاما منه فافتتنا به)(١).

وهناك برز للناس علم الشافعي وسعة اطلاعه واستفاد هو من رحلاته وعمد إلى كتبه التي كتبها من قبل يراجعها ويصحح ما أخطأ فيه ورجع عن كثير من أقواله وأظهر مذهبه الجديد وأعاد تأليف كتبه ولازمه كثير من العلماء الذين أثر فيهم علم الشافعي ومنهجه وحرصه على متابعة السنة بعد أن كانوا يتعصبون لمذهب واحد وهو مذهب الإمام مالك أو مذهب أبي حنيفة(٢).

وفاته

مكث الشافعي آخر عمره مشتغلا بنشر العلم والتصنيف في مصر حتى أضر ذلك بجسده فأصيب بالبواسير التي كانت تسبب له خروج الدم ولكن حبه للعلم جعله يؤثر طلبه ونشره والتصنيف فيه على نفسه واستمر هكذا حتى وافته منية الموت في آخر شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ رحمه الله رحمة واسعة.(٣)

وقال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت ياأستاذ؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنية شاربا، وعلى الله واردا، ولسوء عملي ملاقيا، فوالله ما أدري أروحي إلى الجنة فأهنيها؟ أم إلى النار فأعزيها؟

ثم رمى بطرفه إلى السماء واستعبر وأنشد:

(١) المناقب للبيهقي ٢/ ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٣٨

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٩١

إلـيك إلـه الخـلق ارفـع رغـبتـي ... وإن كنـتُ ياذا المن والجـود مجـرما
ولما قـسى قلبـي وضاقت مذاهـبي ... جعـلت الرجـا مني لعـفوك سلـما
تـعاظـمـني ذنـبـي فـلمـا قـرنتـه ... بعـفوك ربـي كان عـفوك أعـظمـا
ومازلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجـود وتـعـفـو مـنـة وتـكـرمـا
فلـولاك لم يصـمد لإبـليس عـابد ... فـكيـف وقد أغـوى صفـيك آدمـا
فإن تـعف عني تـعف عن متـمرد ... ظـلـوم غشـوم مـايـزايـل ماثـمـا
وإن تـنتـقم مـني فـلسـت بآيـس ... ولو أدخلت نـفسي بجرمي جـهنما
فجـرمي عظـيم من قـديم وحادث ... وعفوك ياذا العفـو أعلى وأجسما[1]

فرحم الله الإمام الشافعي رحمة واسعة.

---

(١) مناقب البيهقي ٢/ ٢٩٣-٢٩٤.
وانظر آداب الشافعي ٧٧.
ديوان الشافعي ٧٨.

المبحث الرابع: شيوخه

أخذ الشافعي رحمه الله العلم عن كثير من علماء زمانه في أماكن مختلفة فمنهم المكي والمدني والكوفي والبصري واليمني والشامي والمصري وقد ذكرهم البيهقي وابن كثير والمزي وابن حجر.

قال ابن كثير:

وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وهمته.

وأخذ عنه علم الحجازيين بعد. أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي[*].

وقد ذكر الحافظ المزي بعض مشايخه في تهذيب الكمال[**].

وقال البيهقي

ذكر الشيوخ الذين حدث عنهم الإمام أبوعبدالله: محمد بن إدريس الشافعي- رحمه الله-

فمنهم من أهل مكة

سفيان بن عيينة[١].

وعبدالرحمن بن أبى بكر بن عبدالله بن أبي مليكة[٢]...

وإسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين المقري[٣].

(*) البداية والنهاية(١٠/ ٢٦٣).

(**) تهذيب الكمال(٣/ ١١٦١).

(١) سفيان بن عيينة أبومحمد الكوفي ثقة حافظ فقيه إمام حجة ت١٩٨ التقريب ٢٤٥.

(٢) عبدالرحمن بن أبى بكر بن عبدالله بن أبي ملكية المدني ضعيف التقريب ٣٣٧.

(٣) إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين أبواسحاق المخزومي مولاهم المكي المعروف بالقسط مقريء مكة=

ومسلم بن خالد الزنجي[١] وغيرهم.

ومن أهل المدينة

مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي[٢].

وإبراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف[٣].

وعبدالعزيز بن محمد الداراوردي[٤].

ومحمد بن إسماعيل بن أبى فديك[٥] وغيرهم.

ومن سائر البلدان.

هشام بن يوسف الصنعاني[٦]

ومطرف بن مازن الصنعاني[٧]

= ولد سنة مائة قرأ على ابن كثير وأقرأ الناس زمانا وكان ثقة ضابطا قرأ عليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت١٧٠ غاية النهاية١/ ١٦٥.

(١) مسلم بن خالد المخزومي مولاهم المكي المعروف بالزنجي فقيه صدوق كثير الأوهام من الثامنة ت١٧٩ أو بعدها التقريب ٥٢٩ رقم ٦٦٢٥.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحى أبوعبدالله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقنين وكبير المتثبتين حتى قال البخاري أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر من السابعة مات سنة ١٧٩هـ وكان مولده سنة٩٣هـ وقال الواقدي بلغ تسعين سنة التقريب ٥١٦-رقم ٦٤٢٥.

(٣) إبراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري أبوإسحاق المدني نزيل بغداد ثقة حجة تكلم فيه بلاقادح من الثامنة ت١٦٥ التقريب ٨٩.

(٤) عبدالعزيز بن محمد بن عبيد الداراوردي أبومحمد الجهني مولاهم المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطيء قال النسائي حديثه عن عبيد الله العمري منكر من الثامنة ت١٨٦ع التقريب ٣٥٨.

(٥) محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك بالفاء مصغرا الديلي مولاهم المدني أبو إسماعيل صدوق من صغار الثامنة ت٢٠٠ هـ ع التقريب ٤٦٨.

(٦) هشام بن يوسف الصنعاني أبوعبدالرحمن القاضي ثقة من التاسعة مات سنة-١٩٧خ ٤ التقريب رقم ٧٣٠٩.

(٧) مطرف بن مازن الصنعاني القاضي اختلف فيه قال يحيى بن معين كذاب وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن عدى لم أر له حديثا منكرا ويرى ابن حجر أن غاية أمره التدليس . اللسان٦/ ٤٩.

ووكيع بن الجراح[١]

ومحمد بن الحسن الشيباني[٢] وغيرهم كثير.

لقاء الإمام أحمد بالإمام الشافعي واستفادة كل منهما من صاحبه

روى البيهقي بسنده عن أبي إسماعيل الترمذي قال: سمعت أحمد بن حنبل وذكر الشافعي فقال: لقد كان يذب عن الآثار[٣].

وبسنده عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي قال لنا الشافعي إذا صح عندكم الحديث عن النبيﷺ فقولوا حتى أذهب إليه[٤].

وبسنده عن أحمد بن أبي عثمان قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول كان أحسن أمر الشافعي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله[٤].

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي بضم الراء وهمزة ثم مهملة أبوسفيان الكوفي ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة مات آخر سنة ست أو سبع وتسعين ومائة وله سبعون سنة ع التقريب ٥٨١.

(٢) محمد بن الحسن الشيباني العلامة فقيه العراق أبوعبدالله الشيباني الكوفي صاحب أبى حنيفة ولد بواسط ونشأ بالكوفة وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه وتمم علي القاضي أبي يوسف أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا قال الشافعي كتبت عنه وقر بختي وما ناظرت سمينا أذكى منه ولو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت لفصاحته. ت١٨٩هـ السير ٩/ ١٣٤. (والبختي اسم للإبل الخراسانية) الوسيط(٤١)والوقر: الحمل.

وقد ذهب البيهقي إلى أنه ماكتب عنه إلا للرد عليه وأنه كان يناظر أصحابه فلما بلغ محمد بن الحسن ذلك طلب منه مناظرته فناظره ومناظراته معه مشهورة وروي عنه أنه كتب عنه ووضع على كل مسألة حديثا يعنى في الرد عليه مناقب البيهقي١/ ١٦٢.

ووافقه على ذلك شيخ الإسلام قال رحمه الله في معرض الرد علي الرافضى قال الرافضي: وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن والجواب: أن هذا ليس كذلك بل جالسه وعرف طريقته وناظره وأول من أظهر الخلاف لمحمد بن الحسن ورد عليه الشافعي منهاج السنة ٧/ ٥٣٢.

(٣) المناقب للبيهقي١/ ٤٧١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٧٦.

ولذلك كان رحمه الله يقول- لولا أصحاب الحديث لكنا بُياع (فول)[١]

وعن عبدالرحمن بن أبي حاتم قال سمعت أبي يقول: أحمد بن حنبل أكبر من الشافعي تعلم الشافعي أشياء من معرفة الحديث من أحمد بن حنبل[٢] وقال عبدالله بن أحمد قال لي أبي قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني إن شاء أن يكون كوفيا أو بصريا أو شاميا حتى أذهب إليه إن كان صحيحا[٣].

وقال شيخ الإسلام.

وكذلك أحمد بن حنبل لم يقرأ على الشافعي لكن جالسه كما جالس الشافعي محمد بن الحسن واستفاد كل منهما من صاحبه.

وكان الشافعي وأحمد ينفقان في أصولهما أكثر من اتفاق الشافعي ومحمد بن الحسن وكان الشافعي أسن من أحمد ببضع عشرة سنة وكان الشافعي قدم بغداد أولاً سنة بضع وثمانين فى حياة محمد بن الحسن بعد موت أبي يوسف ثم قدمها ثانية سنة بضع وتسعين وفي هذه المرة اجتمع بأحمد[٤] .

(١) المصدر السابق١/ ٤٧٧.

(٢) طبقات أبي يعلى١/ ٢٨٠-٢٨١.

(٣) المصدر السابق١/ ٢٨٢.

(٤) منهاج السنة ٧/ ٥٣٣.

المبحث الخامس: تلاميذه

ذكر البيهقي بعض من تتلمذ- على الشافعي رحمه الله وذكرهم كذلك المزي وابن حجر، والمنتفعون من علم الشافعي رحمه الله غيرهم كثير لايحصي عددهم إلا الله فإن كل البلاد التي دخلها ونشر فيها علمه تتلمذ على يديه الكثير.

ونذكرهنا أشهر تلاميذه.

١- الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل الإمام المحدث الفقيه الكبير بقية الأعلام أبومحمد المرادي مولاهم المصري المؤذن صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط ومستملي مشايخ وقته مولده سنة أربع وسبعين ومائة.

روي أن الشافعي قال له: لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك وقال: (الربيع راوية كتبي)ت٢٧٠هـ[1].

٢ - أبوإبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري الإمام العلامة فقيه الملة علم الزهاد تلميذ الشافعي ولد سنة ١٧٥هـ.

وامتلأت البلاد بمختصره في الفقه وشرحه عدة من الكبار بحيث يقال: كانت البكر يكون فى جهازها نسخة لمختصر المزني.

قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي.

قال الذهبي قال: عمروبن تميم المكي سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي قال: سمعت المزني يقول: لايصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله

---

(١) السير ١٢/ ٥٨٧.

تعالى علـى العرش بصفـاته. قلت له: مثـل أي شيء؟ قال: سميع بـصير عليم. ت سنة ٢٦٤[١].

٣ - أبوعبـدالله محمد بن عـبدالله بن عبدالحـكم بن أعين بن لـيث الإمام شيخ الإسـلام أبوعبدالله المـصري الفقيـه ولد ١٨٢ وكان عالـم الديار المصرية في عصره مع المزني.

وقد نظر الشافعي إلى محمد بـن عبدالله بن عبد الحكم وقد ركب دابته فأتبعه بصره، وقال: وددت أن لي ولدًا مـثله، وعليَّ ألف دينار لا أجد قضاءها ويروى أنه وقع خلاف بينه وبين البـويطي بسبب خلافة الشافعي في مجلسه فترك المذهب ورجع لمذهب مالك[٢].

٤ - أبويـعقوب يوسـف بن يحيـى المصري الـبويطي الإمـام العلامة سـيد الفقهاء صاحب الإمام الشافعي لازمه مدة وتخرج به وفاق الأقران. كان إمامـا في العـلم قـدوة في العـمل زاهدا ربـانيا مـتهـجدا دائم الـذكر والعكوف على الفقه.

قال الشافعي: (لـيس في أصحابي أحد أعلم من البويـطي). امتحن في فتنة القول بخلق القرآن وصبر. ومات في سجنه- رحمه الله.

قال الربـيع بن سليـمان: كان البويـطي أبدا يحـرك شفتيه بـذكر الله وما أبصرتُ أحدًا أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي ولقد رأيته على بغل في عنقه غل وفي رجليه قيد وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رِطلا وهو يقول: إنما خلـق الله الخلق بـ(كن) فإذا كانت مخلوقةً، فـكأن مخلوقاً

(١) السير ١٢/ ٤٩٢.

(٢) المصدر السابق١٢/ ٤٩٩.

خُلق بمخلوق. ولئن أُدخِلتُ عليه لأصدقنه يعني ـ الواثق ـ ولأموتن فى حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم.

مات رحمه الله في قيده مسجونا بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين(١).

وتتلمذ عليه غير هؤلاء كثيرون اكتفيت بهؤلاء لشهرتهم(٢).

---

(١) السير ١٢/٥٨.

(٢) مناقب البيهقي ٢/٣٢٤-٣٢٥.
تهذيب الكمال ٣/١١٦١خ.

المبحث السادس: كتبه

ذكر العلماء كتبا كثيرة نسبوها للإمام الشافعي ومن هذه الكتب[١].

١ - كتاب الأم

وهو كتاب كبير يقع في أربعة مجلدات ويشتمل على مائة وثمانية وعشرين كتابا وقال ابن حجر وعدة كتب الأم مائة ونيف وأربعون كتابا ـ والله أعلم ـ بدأه بكتاب الطهارات ثم الصلوات وهكذا ورتبه على أبواب الفقه وقد اختصره المزني ومختصره مطبوع معه وقد زعم بعض الناس أن هذا الكتاب ليس للشافعي وإنما هو من تأليف البويطي وتصرف به الربيع ابن سليمان المرادي وقد رد هذا محقق كتاب مناقب الشافعي للبيهقي[٢] كما رده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لكتاب الرسالة[٣].

وأول من قال ذلك أبوطالب المكي في قوت القلوب[٤].

وتبعه على ذلك أبوحامد الغزالي[٥].

ثم ألفت رسالة حديثة في هذا المعنى.

وقد طبع مع هذا الكتاب عدة كتب:

١ - كتاب جماع العلم وهو انتصار للسنة والعمل بها.

٢- كتاب إبطال الاستحسان، رد به على فقهاء الأحناف.

٣ - كتاب اختلاف مالك والشافعي.

٤ - كتاب الرد على محمد بن الحسن[٦].

---

(١) توالي التأسيس ١٥٥.

(٢) مقدمة المناقب ١/ ٣٣ومابعدها.

(٣) مقدمة الرسالة٩.

(٤) قوت القلوب٢/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٥) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٥.

(٦) وكتاب الأم كتاب مشهور متداول مطبوع عدة طبعات.

٢ - كتاب الرسالة الجديدة

وهو كتاب مطبوع حققه الشيخ أحمد شاكر وهو من رواية الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى.

وهو كتاب يقع في مجلد واحد كبير.

وقد تكلم الإمام الشافعي في هذا الكتاب عن القرآن وبيانه وعن السنة ومقامها بالنسبة للقرآن وأقام الأدلة على حجية السنة كما تكلم عن الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة وعلل الأحاديث والإحتجاج بخبر الواحد ومايجوز فيه الخلاف ومالايجوز.

كما ذكر الحجة فى تثبيت خبر الواحد وتكلم عن الإجماع ومن يقبل منهم الإجماع وتكلم عن القياس وأقسامه وشروطه كما تكلم عن الإجتهاد والإستحسان وغير ذلك.

وقد وضع لهذا الكتاب مقدمة عظيمة تدل على حسن اعتقاده رحمه الله يقول فيها:

الحمدلله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

والحمدلله الذي لايؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها.

ولايبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق مايصفه به خلقه.

أحمده حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعزجلاله.

وأستعينه استعانة من لاحول له ولاقوة إلا به وأستهديه بهداه الذي لايضل من أنعم به عليه واستغفره لما أزلفت وأخرت استغفار من يقر بعبوديته ويعلم

أنه لايغفر ذنبه ولاينجيه منه إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله اهـ.

وقد قدم الشيخ أحمد شاكر لهذا الكتاب مقدمة عظيمة بَيَّنَ القيمة العلمية للكتاب ورد على من شكك فى نسبته للإمام الشافعي وبين فيه سبب تأليف هذا الكتاب.

وقد نسبت إليه رحمه الله عدة كتب مثل كتاب المسند والسنن والرد على البراهمة ومحنة الشافعي. وأحكام القرآن وغيرها وبعضها مفقود وبعضها من جمع بعض الشافعية[1].

---

(١) انظر: للزيادة في معرفة مؤلفات الشافعي- رحمه الله -.
مناقب البيهقي ١/٢٤٦-٢٤٥.
توالي التأسيس ١٤٧-١٥٧.
معجم الأدباء ١٧/ ٣٢٤-٣٢٧.
الفهرست لابن النديم ٢٩٥، ٢٩٦

الفصل الثاني

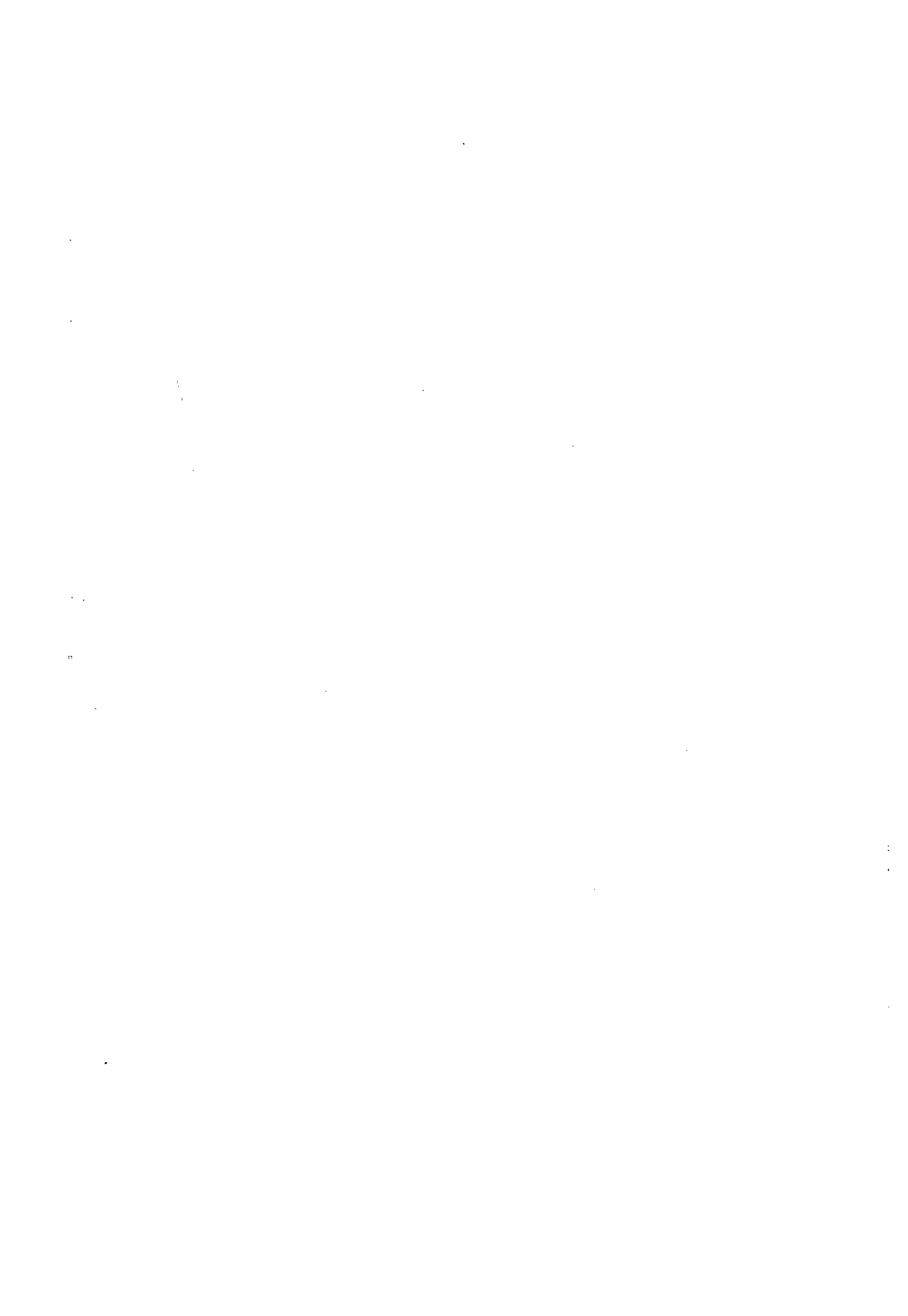
أصول الشافعي في إثبات العقيدة
مقارنة بمنهج السلف
ومنهج المتكلمين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج السلف في إثبات العقيدة.

المبحث الثاني: منهج المتكلمين.

المبحث الثالث: أصول الشافعي في إثبات العقيدة.



المبحث الأول: منهج السلف في إثبات العقيدة

أبدأ هذا المبحث بتعريف كلمة السلف في اللغة والإصلاح وبيان مايراد بها عند الإطلاق.

السلف لغة:

قال صاحب اللسان: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُفاً وسُلُوفا: تقدم قال: والسلف أيضا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل..

قال: ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح[١].

وأما في الإصطلاح: فقد اختلف العلماء في ذلك.

فبعضهم قصر التعريف على فترة زمنية دون النظر إلى الصفات الموجبة لهذ التسمية.

قال القلشاني: السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبيﷺ الحافظون لسنته اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه ورضيهم أئمة الأمة وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده وأفرغوا في نصح الأمة ونفعهم وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم قد أثنى الله عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٣].

---

(١) اللسان ٩/١٥٨-١٥٩.

(٢) الاية ٢٩ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٨ من سورة الحشر.

وذكر تعالى فيها المهاجرين والأنصار ثم مدح اتباعهم ورضي ذلك من الذين جاءوا من بعدهم وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١].

فيجب اتباعهم فيما نقلوه واقتفاء آثارهم فيما عملوه والإستغفار لهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، والسلف هم المتقدمون وسلف الرجل أبواه المتقدمان[٣] وقال أبوالحسن[٤] في شرحه للرسالة عند قوله(اتباع السلف الصالح) وهم الصحابة في أقوالهم وأفعالهم وفيما تأولوه واستنبطوه عن اجتهادهم.

وقال العدوي في حاشيته:

قصره على الصحابة لما قال ابن ناجي السلف الصالح وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة ولايشاركهم غيرهم فيه.

وقال غيرهم إن التحديد الزمني وحده لايكفي في ذلك بل لابد من إضافة وصف آخر حتى يتحقق الوصف. وفي هذا يقول الشيخ محمد أحمد خفاجي: وليس هذا التحديد الزمني كافيا في ذلك بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحها فمن خالف رأيه

---

(١) الآية ١١٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحشر.

(٣)تحرير المقالة ٣٦ مخطوط في الجامعة الإسلامية رقم(٦٠٤).

(٤) علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي أحد شراح رسالة ابن أبى زيد القيراواني توفي سنة ٩٣٩هـ(نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ص٢١٢). انظر حاشية العدوي على الشرح السابق١/١٠٦.

الكتاب والسنة فليس بسلفي وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين(١).

ويقول ابن حجر القطري: وعلى ذلك فالمراد بمذهب السلف ماكان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن دون من رمي ببدعة أوشهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة(٢).

فالسلف إذن مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم المذكورين في حديث رسول الله ﷺ (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»(٣) والسلفي اليوم هو من التزم بعقائد وفقه وأصول هؤلاء الأئمة وسار على نهجهم وهديهم وأخذ طريقهم كله والتزم به وقام ولاؤه وبراؤه عليه وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان وأما من أخذ ببعض طريقهم وترك البعض الآخر فليس سلفيا وإن تسمى بذلك وادعاه(٤).

وقد ظهر هذا الإصطلاح واشتهر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية وحاول الجميع الإنتساب إلى السلف وأعلن أن

---

(١) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ٢١.

(٢) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية لابن حجر القطري.

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٣/ ١٣٣٥،

ومسلم في فضائل الصحابة ٤/ ١٩٦٣.

(٤) انظر التفسير والمفسرون للمغراوي ١/ ١٧-٢٠ وفضل علم السلف على الخلف والصفات الإلهية في الكتاب والسنة ٥٧، قواعد المنهج السلفي ٣٥، ومحاضرات في السلفية ١٠-١٢.

ماهو عليه هو ماكان عليه السلف الصالح فإذًا لابد أن تظهر- والحالة هذه- أسس وقواعد واضحة وثابتة للإتجاه السلفي حتى لايلتبس الأمر على كل من يريد الإقتداء بهم وينسج على منوالهم ثم إن هذه الأسس تميز الصادقين من غيرهم من أدعياء الإنتساب للسلف الصالح(١).

ويمكن إيجاز هذه القواعد بمايلى:

القاعدة الأولى:

الأخذ بظاهر الكتاب والسنة في كل قضية من قضايا العقيدة وذلك لأن الله تبارك وتعالى تكفل لنا إن نحن تمسكنا بهما أن لانضل ولانشقى كما قال تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(٢).

قال ابن عباس رضى الله عنهما(تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بمافيه أن لايضل في الدنيا ولايشقى في الآخرة)(٣) وقالﷺ (تركت فيكم ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي)(٤).

ومن أعظم مايتمسك بالكتاب والسنة من أجل فهمه أمور العقيدة وذلك لأن العقول لاتستطيع معرفة ذلك بالتفصيل إلا عن طريق الوحي فمتى ماتمسك المسلم بالوحي فقد اعتصم بحبل الله المتين وهدي إلى سواء السبيل ويدخل تحت هذه القاعدة عدة أمور منها:

---

(١) انظر: الصفات الإلهية ٥٧-٥٨.
وقواعد المنهج السلفي ٣٥.

(٢) الآيتان ١٢٣-١٢٤ من سورة طه.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠٧/٥ إلى الفريابى وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبدبن حميد ومحمد بن نصروابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٩٣/١ بروايتين عن ابن عباس وأبـي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٩٣٤.

الأمر الأول

تقديم النقل على العقل

والمراد بالنقل الأدلة والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة والمراد بالعقل الأدلة العقلية التي ابتدعها علماء الكلام واتخذوها دينا وأخضعوا النصوص الشرعية لها.

وليس معنى هذا أن السلف يعطلون عقولهم بل المراد أنهم لايسلكون في تقرير العقيدة مسلك أهل الكلام في الإستدلال بالعقل وحده في الأمور التي لايستطيعها ويردون النصوص الشرعية التي تعارض دليلهم العقلي ولذلك يقولون إذا تعارض الدليل النقلي مع الدليل العقلى قدمنا الدليل العقلي لأن دلالة النقل ظنية ودلالة العقل قطعية بل إن أهل السنة ينفون التعارض بين النقل والعقل ولذلك يقول ابن أبي العز الحنفي إن الشريعة لاتأتي بما تحيله العقول ولكنها قد تأتي بما تحار فيه العقول[١].

وقال الإمام أبوالمظفر السمعاني: (واعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لايوجب شيئا على أحد ولايرفع شيئا عنه ولاحظ له في تحليل ولاتحريم ولاتحسين ولاتقبيح ولولم يرد السمع ماوجب على أحد شيء ولادخلوا في ثواب ولاعقاب[٢](*).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٩.

(٢) الحجة في بيان المحجة١/ ٣١٥.

(*) يقصد ـ والله أعلم ـ الحسن والقبح الذي يبني عليهما الثواب والعقاب.

قال ابن القيم: والحق الذي لايجد التناقض إليه سبيل: أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضارة ولكن لايترتب عليها ثواب ولاعقاب إلا بالأمر والنهي . . . والفواحش كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع.ا هـ.

مدارج السالكين (١/ ١٢٧)وانظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٠) ومابعدها.

وقال: ـ يعني السمعاني ـ أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الإتباع والمعقول تبع ولوكان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء ولبطل معنى الأمر والنهي ولقال من شاء ماشاء)[١].

وقال شيخ الإسلام- رحمه الله.

ومن طريقتهم ـ يعني أهل الكتاب والسنة ـ: أنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمدﷺ على هدي كل أحد ويتبعون آثاره ﷺ باطنا وظاهرا[٢].

وقال رحمه الله:

ماتنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والإختلاف فماكان من معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه وماكان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه ولايتبعون الظن وماتهوى الأنفس فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم)[٣].

وقال رحمه الله:

ومما ينبغي أن يعلم: أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبيﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره وماأريد بذلك من جهة النبيﷺ لم يحتج في ذلك إلى الإستدلال بأقوال أهل اللغة ولاغيرهم وكان من أعظم ماأنعم الله به عليهم اعتصامهم

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣١٥.

(٢) مجموع الفتاوى٣/ ١٥٧.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٣٤٧.

بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لايقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لابرأيه ولاذوقه ولامعقوله ولاقياسه ولاوجده..

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به ولهذا لايوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولابذوق ووجد ومكاشفة ولاقال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول: يجب تقديم العقل. والنقل- يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين- إما أن يفوض وإما أن يؤول.

ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها فإن سنة النبي ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه(١).

وقد بنى شيخ الإسلام رحمه الله كتابه درء تعارض العقل والنقل على هذه القاعدة وبين أن النقل الصحيح والعقل السليم الصريح لايتعارضان أبدًا.

الأمر الثاني: الإيمان بظواهر النصوص من غير إشغال العقل بما لاطائل تحته من تأويلات علماء الكلام والتأويل يطلق على ثلاثة معان:

المعنى الأول: التأويل الذي هو بمعنى التفسير والبيان وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير الطبري وغيره.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٧-٢٩بتصرف.

المعنى الثاني: التأويل الذي بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾(*).

المعنى الثالث:

صرف اللفظ من المعنى القريب إلى معنى بعيد يحتمله النص لقرينة دلت عليه وهذ حق وله شروط لصحته فإن فقد منها شرط فهو باطل... ثم إن أهل الكلام لم يتقيدوا بالشروط بل أخلوا بها والله أعلم. وهو ما اصطلح عليه علماؤهم بقولهم:

وكل نص أوهم التشبيها .·. أوله أوفوض ورم تنزيها[1]

وهو كما هو ظاهر في عقائدهم صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لدليل يقترن به وهو الذي يرفضه أتباع السلف الصالح قديما وحديثا لأنه يؤدي إلى تحريف ورد كلام الله عزوجل وكلام رسوله ﷺ[2].

وفي هذا يقول العلامة الصنعاني:

الأصل الأول: أنه قد علم من ضرورة الدين: أن كل مافي القرآن فهو حق لاباطل وصدق لاكذب وهدى لاضلالة وعلم لاجهالة ويقين لاشك فيه فهذا الأصل أصل لايتم إسلام أحد ولاإيمانه إلا بالإقرار به وهذا مجمع عليه لاخلاف فيه[3].

وقال ابن كثير: وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[4].

(*) الآية ٥٣ من سورة الأعراف.

(١) جوهرة التوحيد. رقم(٤٠).

(٢) انظر: ابن تيمية وقضية التأويل١٥١-١٥٧.

(٣) تطهير الإعتقاد ص٥.

(٤) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا. وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لايشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولارسوله تشبيه.

فمن أثبت لله تعالى ماوردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى»[١].

الأمر الثالث: عدم التفريق بين الكتاب والسنة

من أعظم مايميز السلف عن غيرهم من المبتدعة تعظيمهم لسنة النبي ﷺ فالسنة عندهم قرينة للقرآن في العقائد والتشريع فهي مبيِّنة وشارحة ومفسرة لماجاء في كتاب الله لذلك يأخذ أهل السنة والجماعة بظاهر هذه الأحاديث ولايؤولون شيئا منها ويردونه بحجج واهية كقول أهل الكلام إنها أخبار آحاد لاتفيد علمًا.

قال الإمام أحمد رحمه الله في أحاديث الصفات (نؤمن بها ونصدق بها ولانرد شيئا منها إذا كانت بأسانيد صحاح)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠ وانظر للفائدة أضواء البيان ١/ ٢٣٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ٧٧٧.

وقال في أحاديث الرؤية(أحاديث صحاح نـؤمن بها ونقر وكلما روي عن النبيﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر)[١].

وقال ابن عيينة فـي أحاديث الرؤية أيضا(حق نرويها على مـاسمعناها ممن نثق به ونرضى به)[٢].

وسئـل محمد بـن الحسن عن بـعض أحاديث الـصفات فقـال (إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولانفسرها)[٣].

وقال أبوعبيد في بعض أحاديث الصفات(هذه الأحاديث عندنا حق يرويها الثقات بعضهم عن بعض)[٤].

القاعدة الثانية:

تعظيم قول الصحابة رضى الله عنهم والأخذ بفهمهم وبما ورد عنهم وقد دلت الـنصوص الشـرعية عـلى أن الصحـابة رضى الله عـنهم أفضـل أمة النبيﷺ وأعظمها إيمانا وعلما وفهما وأتقاها لله وأحقها بالإتباع.

قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[٦].

والأحاديث في فضلهم رضي الله عنهم كثيرة جدا.

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة ٨٨٩ وانظر: السنة لعبد الله١/ ٢٢٩.
(٢) المصدر السابق رقم ٨٧٧.
(٣) شرح أصول اعتقاد السنة رقم ٧٤١.
(٤) المصدر السابق ٩٢٨.
(٥) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.
(٦) الآية ٩ من سورة الفتح.

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد أحدهم ولانصيفه)[(١)] ولذلك أمرنا النبيﷺ عند الإختلاف بالإقتداء بهم فقال: (إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[(٢)].

فلثناء الله عليهم وأمر النبي بالإقتداء بهم ولأنهم شاهدوا التنزيل وعرفوا مراد الله ومراد رسوله وعرفوا أسباب النزول لهذا كله بنى السلف منهجهم على طريقة الصحابة رضي الله عنهم، ومما يدل على دقة فهم السلف للنصوص وأن العلم والخير والسلامة والحكمة في متابعتهم مايلى:

١ - خلو زمانهم من البدع والأهواء والجدل والمراء وإقبالهم على العلم والعمل.

٢ - أنه في بداية الإسلام لما طالبهم النبي بقول لا إله إلا الله رفض بعضهم ذلك وحملوا السيف في وجه النبيﷺ لأنهم فهموا منها الكفر بجميع الآلهة دون الله وتسفيه أحلامهم وأحلام آبائهم والبراءة من الشرك وأهله ولو كان أقرب قريب وهذا أمر لايريدونه ولما شرح الله صدورهم للإسلام وتمكن الإيمان في قلوبهم ورسخ فيها رسوخ الجبال الشوامخ حملوا سيوفهم لنشر هذا الدين ضد كل من عاداه ولو كان أقرب قريب وأحب حبيب وهذا يدل على أن إيمانهم كان عن فهم قوي لحقيقة الإسلام وعقائده.

---

(١) مسلم ٤/١٩٦٧ رقم ٢٥٤٠.

(٢) رواه أبوداود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٨١٦ وابن ماجة رقم ٤٣ وأحمد ٤/١٢٦ والدرامي ١/٤٤ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.
وقال الترمذي يعد ذكره لهذا الحديث: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي ٤/ ١٥٠.

٣ - قول ابن عمر رضى الله عنهما ليحيى بن يعمر: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ماقَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر). وساق حديث جبريل المشهور[١] فلولا معرفة ابن عمر لأهمية الإيمان بالقضاء والقدر وأنه ركن من أركان الإيمان لما تبرأ ممن أنكره وهو يظهر الإسلام.

٤ - قصة صبيغ بن عسل المرادي الذي كان يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وأعدَّ لَهُ عراجين النخل فلما دخل عليه ضربه بتلك العراجين حتى أدمى رأسه ثم أركبه على قتب ونفاه وعزم على الناس ألا يجالسوه فكان بين الخلق كالبعير الأجرب كلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه[٢].

إلى غير ذلك من الوجوه الدالة على استقامة طريقتهم ودقة فهمهم وكونهم أسلم الأمة اعتقادا وأعلمها بالله ودينه وأحكمها منهجا[٣].

القاعدة الثالثة:

حفظ العقول عن تكلف البحث فيما لاتطيقه من أمور العقيدة وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطى العقول قدرة محدودة فهى لاتستطيع أن تتجاوزها وقد أدرك السلف رحمهم الله ذلك فكفوا عن الخوض في الأمور المغيبة وسلموا للنصوص التي حدثتهم عن ذلك وآمنوا بها، فدور العقل في العقيدة المغيبة السلفية هو دور الرضا والإطمئنان والتقدير لعظمة الله تعالى

(١) مسلم جـ١ حديث رقم(١).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ١١٣٦.

(٣) انظر: للزيادة المصدر السابق جـ١/١٧-٢٠.

والتفكر في مخلوقاته العظيمة المبثوثة في هذا الكون الفسيح والتأمل بما أودع الله فيه من الآيات ونصَبَ فيه من العبر وليس معنى هذا إلقاء العقل جانبا كماهو في المفهوم الكنسي والصوفي لأن البحث العقلي ليس مذموما على الإطلاق بل يذم إذا اكتفي به عن الأدلة الشرعية أوقدّم عليها أو عورض به نصوص الدين.

كما أنه لادخل للعقل في مجال الغيب- السمعيات- من أمور العقيدة.

أما أبحاث العقيدة التي يستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته والبعث والجزاء فقد طالب القرآن العقل البشري أن يهتدي إليها فهي أدلة تدعم النصوص وتزيد في تثبيت الإعتقاد ولهذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى الآيات الكثيرات التي تحث العقل البشري على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر..

إن العقل إذا لم ينطلق من وحي النصوص المعصومة فإنه سرعان مايخطىء لأن العقل مخلوق من مخلوقات الله فهل يطلب من العين أن تبصر مايبعد عنها آلاف الأميال وهل يطلب من الأذن أن تسمع مايدور بين الطيور من مناجاة في قمم الجبال وهل يطلب من اليد أن تحمل جبلا وكذلك الشأن نفسه بالنسبة للعقل[1].

القاعدة الرابعة:

التحذير من البدع وأهلها وهجرهم وعدم تكثير سوادهم والجلوس معهم والتحذير من نقل شبههم وعرضها على المسلمين وهم بهذا يحققون قول الله

---

(١) انظر: علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين ٢٣-٢٦.
وشرح أصول اعتقاد أهل السنة١/ ٥٦.

عز وجل: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(١).

وقوله ﷺ(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) (٢)وروى البغوي في شرح السنة عن سفيان الثوري أنه قال(من سمع بدعة فلايحكها لجلسائه لايلقيها في قلوبهم)(٣) والتحذير من البدع أمر مشهور ثابت في الكتاب والسنة ولكن الذي يخفى على الناس حكم مجالسة المبتدعة والذي عليه أهل السنة والجماعة أنه لايجوز مجالسة المبتدعة ومن اشتهر من أهل الأهواء كما قال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آيتنا فأعرض عنهم﴾(٤)،

وقال تعالى: ﴿ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾(٥).

ولذلك لما جاء رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: وقال: ياأبابكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول بيده: ولانصف كلمة(٦).

قال البغوي رحمه الله: وهذا الهجران والتبري والمعاداة في أهل البدع والمخالفين في الأصول أما الاختلاف في الفروع بين العلماء فاختلاف رحمه. أراد الله أن لايكون على المؤمنين حرج في الدين فذلك لايوجب الهجران والقطيعة لأن هذا الاختلاف كان بين أصحاب رسول الله ﷺ مع كونهم إخواناً مؤتلفين رحماء بينهم وتمسك بقول كل فريق منهم طائفة من أهل العلم بعدهم وكل في طلب الحق وسلوك سبيل الرشد

---

(١) الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١١٥٣٧ عن ابن عباس بسند واه وله شواهد من حديث ابن مسعود والبراء عند أحمد وغيره يتقوى بها انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٧٢٨.

(٣) شرح السنة ١/٢٢٧.

(٤) الآية ٦٨ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ٢٨ من سورة الكهف.

(٦) شرح السنة ١/٢٢٧.

مشتركون[١]اهـ.

وهذا والله أعلم بشرط ألا يرد الدليل الصحيح ويتعصب لمذهبه فيكون راداً لكلام الله ورسوله[٢].

القاعدة الخامسة:

الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم.

وقد أوجب الله ذلك على المسلمين في كتابه فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

إلى قوله﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]،

وقال تعالى﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾[٤].

وقال ﷺ(لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[٥] وقالﷺ(لاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا)[٦].

والآيات والأحاديث في ذم التفرق والدعوة إلى الإجتماع كثيرة، والسلف الصالح رحمهم الله تدبروا الأمر الذي جمع الناس في أول الإسلام وعرفوا أنه لن تجتمع الأمة بعد أن افترقت إلا بما اجتمعت عليه أول الأمر فلذلك دأبوا على دعوة الناس لتحقيق مايجتمعون به ونبذ كل مايسبب الفرقة والإختلاف.

---

(١) شرح السنة ١/٢٢٩-٢٣٠.

(٢) لعل البغوي رحمه الله يشير إلى ماينسب إلى النبيﷺ (إختلاف أمتي رحمة) وهو لاأصل له وهو مخالف لما دلت عليه النصوص من أن الفرقة نقمة وأن الاجتماع نعمة، امتن الله بها على هذه الأمة، وانظر «الضعيفة» (١/٧٦).

(٣) الآيات ١٠٣-١٠٥ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٥) البخارى مع الفتح ١/٣١٧ ومسلم ١/٨٢.

(٦) مسلم ٤/١٩٨٣.

قال تعالى : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] .

وهذا أمر اختص به السلف ومن سار على نهجهم أما من عداهم فإن ولاءهم وبراءهم قائمان على حظوظ النفس ومصالحها وهذا أمر يختلف من فرقة إلى أخرى فكل فرقة تحرص على مصلحتها وإن تسبب هذا في فساد الأمة وتفرقها وهذا لا شك أمر يفرق الأمة ويشتتها بخلاف المنهج السلفي الذي يجمع الناس على كتاب الله وسنة رسولهﷺ بغض النظر عن المصالح الشخصية[٢] .

(١) الآية ٦٣ من سورة الأنفال.

(٢) راجع منهج السلف في العقيدة وأثره في وحده المسلمين للشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي.

المبحث الثاني: منهج المتكلمين في إثبات العقيدة

تعريف علم الكلام:

بعد أن عرفنا من هم السلف وذكرنا منهجهم في إثبات العقيدة نذكر المذهب الثاني المقابل للسلف وهو مذهب الخلف ومذهب السلف كما سبق بيانه قائم على الأدلة النقلية من الكتاب والسنة والأدلة العقلية تبع لذلك.

أمامذهب الخلف فهو قائم على الأدلة العقلية وهو مايسمونه بعلم الكلام وقد اختلفت عبارات أهله في تعريفه وذلك والله أعلم ناتج عن اختلاف فرقهم وقرب أهلها وبعدهم عن الأدلة السمعية.

ولنذكر الآن بعض تعريفاتهم لهذا العلم:

يقول ابن خلدون: «وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة)[1].

وهذا تقييد واضح يخرج به العلم الآخر الذي يبحث في العقائد بالأدلة الشرعية وهو مذهب السلف.

ولكن قارىء هذا التعريف يطرح سؤالا عن هؤلاء السلف الذين يدافع علم الكلام عن عقائدهم؟

هل هم الفلاسفة أم تلاميذهم من متمسلمة الفلاسفة أم هم الجهمية أم المعتزلة أم الأشاعرة أم الماتريديه أم غيرهم أعني سلف الأمة الذين ملأ هؤلاء المتكلمة كتبهم بالرد عليهم والطعن فيهم وتسميتهم بكل اسم قبيح كالحشوية والمجسمة والمشبهة ونحو هذه الألفاظ التي هم أحق الناس بها وأهلها.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٥٨.

والوصف المناسب الذي يمكن أن تصف به هذا العلم هو أنه علم يتوصل به إلى إثبات عقائد أهله والدفاع عنها ورد الشبه بطريقة الجدل وهو مايسمى بالأدلة العقلية.

فيدخل تحت هذا جميع فرق المتكلمة حتى من أدخل بعض السمعيات في علم الكلام لأن سبب دخوله تحت هذا التعريف هو المنهج الذي انتهجه في إثبات عقيدته والدفاع عنها[١].

ولكي يظهر الفرق بين هؤلاء المتكلمة وبين السلف أذكر هنا أصولهم التي ساروا عليها في إثبات عقائدهم.

الأصل الأول: تقديم العقل على النقل

وهذا الأصل هو أعظم أصولهم وبقية أصولهم مبنية عليه ولأجله ردوا كثيرا من العقائد الثابتة في الكتاب والسنة بحجة مخالفتها للعقل.

ويجب أن يعلم أن العقل عندهم هو هذه الآراء والأفكار التي ورثوها عن الفلاسفة التائهين وترجموها في كتبهم وزعموا أنها قطعية وأن ماعداها ظني.

وليس المراد بالعقل هو تدبر العقل السليم الفطري فإن ذلك لاتعارض بينه وبين الشرع أبدًا بل كل ماجاء به النقل فإن العقل يقبله ويدل عليه وقد سبق بيان ذلك في منهج أهل السنة والجماعة.

فهذه الأفكار التي سموها عقليات هي أصل الدين عندهم وهي التي تثبت وتنفي. والسمع معروض عليها فإن وافقها قبل وإن عارضها رد. على خلاف بينهم في طريقة الرد قال السمعاني(فقد جعلوا عقولهم دعاة إلى الله ووضعوها موضع الرسل فيما بينهم ولو قال قائل: لاإله إلا الله، عقلي رسول اللهلم يكن مستنكرا عند المتكلمين من جهة المعنى)[٢] وهذا يتضح لنا جليا عند قرائتنا للقانون الكلي الذي وضعه لهم الرازي في ذلك حيث يقول:

(١) شرح الطحاوية ١١٧-١١٨ بيان تلبيس الجهمية١/ ٢٤٢.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣١٧.

إعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لايخلو الحال من أحد أمور ثلاثة:

١ - إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

٢ - وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

٣ - وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل.

لأنه لايمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ.

ولوجوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة.

فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الثلاثة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقليه إما أن يقال إنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوزنا التأويل على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق)أ.هـ[1].

---

(١) أساس التقديس ١٦٨-١٧٣.

فهذا هو القانون الكلي الذي بنى عليه أهل الكلام عقائدهم وهو يوضح قيمة الكتاب والسنة عند هؤلاء وأن تأويلهم لها من باب التبرع والإحسان وإلافلا قيمة لها في إثبات العقيدة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا القانون في أول كتابه الذي الفه في الرد عليهم وهو المسمى بدرء تعارض العقل والنقل وأبطله ونقضه نقضاً مفصلاً[١].

ولهذا يصرحون في كتبهم أن دلالة النقل وهو الكتاب والسنة ظنية ولاتفيد اليقين وأما دلالة العقل فهي قطعية لذلك إذا تعارضا سقطت دلالة النقل[٢].

ولهذا أعرضوا أوكادوا عن إيراد الأدلة النقلية في كتب عقائدهم وملؤوها بكلام الفلاسفة والحكماء بزعمهم بل صرح بعضهم أن التمسك بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر- والعياذ بالله-

قال السنوسي(ت٨٨٥) في شرح الكبرى:

وأما من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ماسواهما فالرد عليه أن حجيتهما لاتعرف إلا بالنظر العقلي وأيضا فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع.

ويقول: أصول الكفر ستة ذكر خمسة ثم قال:

سادسا: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية[٣]اهـ.

ولاندري ماالفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب إذا كان العقل يستقل بمعرفة العقيدة على وجه التفصيل فكأن الله أنزله عندهم حتى يرد ويؤول.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل١/ ٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٥٣-٥٤.

(٣) شرح الكبرى للسنوسي ٥٠٢.

وهذه القاعدة التي ساروا عليها في الأصول ساروا عليها أيضا في الفروع فأوجبوا تقليد أحد الأئمة الأربعة ومنعوا مخالفتهم حتى لوخالف قولهم ظواهر الكتاب والسنة وأقوال الصحابة لأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر(١).

ولهذا أعملوا ألسنتهم بكل جرأة في رد أحاديث النبيﷺ بحجة أنها أخبار آحاد لاتقوم بها حجة في باب العقيدة.

وردوا الصفات الواردة في السنة كصفة النزول والضحك والغضب ونحوها من الصفات وسوف أبين إن شاء الله مكانة خبر الآحاد وحجيته في العقيدة عند بيان موقف الإمام الشافعي رحمه الله من أخبار الآحاد في المبحث التالي(٢).

الأصل الثاني

تأويل النصوص

والمراد بالتأويل هنا هو التحريف المفضي إلي صرف اللفظ عن ظاهره وقد سبق بيان أنواع التأويل، وتأويل المتكلمين هو صرف اللفظ عن ظاهره إلي معنى آخر غير مراد ليوافق أصولهم الكلامية ومن هذا تأويلهم لصفات الله عزوجل وتأويل بعضهم لعذاب القبر ونعيمه وللجنة ومافيها وللنار ومافيها وفي هذا يقول صاحب الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها . . . أوله أوفوض ورم تنزيها(٣)

فمعنى أوله أي حرفه فمثلا استوى قل استولى أو استوى له ملكه أونحو هذ التأويلات.

---

(١) انظر: هذا القول والرّد عليه في رسالة ابن حجر القطري تنزيه السنة والقرآن وأضواء البيان ٧/٤٢٨.

(٢)انظر الإعتصام للشاطبي١/٣٠٩.

(٣) الجوهرة رقم (٤٠).

والمراد بالتفويض التوقف عن الإثبات والنفي بحجة أن آيات الصفات من المتشابه التي تحار فيها العقول.

وليس هـذا هو مذهب السلف بل مذهب السلف إثبات الصفة على مايليق بالله عزوجل وتفويض العلم بالكيفية.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-

فقولهم رضى الله عنهم- أمروها كما جاءت - رد على المعطلة وقولهم- بلا كيف - رد علي الممثلة.

وأيضا فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ماهى عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لايوصف بمادلت عليه حقيقة وحينئذ فلاتكون قد أمرت كما جاءت ولايقال حينئذ بلاكيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[١].

موقف أهل السنة والجماعة من علم الكلام:

وقف أهل السنة والجماعة من بدعة الكلام موقفا عظيما فقد أنكروا هذه البدعة وردوا عليها في كل مناسبة يذكرون فيها بل أفرد بعضهم المؤلفات في الرد عليهم بل هجروهم وأمروا تلاميذهم بهجرهم.

قال الإمام أبوحنيفة-رحمه الله-

إنى وجدت أهل الكلام؛ قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لايبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولاتقوى[٢].

(١) مجموع الفتاوى ٥/٣٩،٤١،٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٩.

وقال رحمه الله: وسئل عما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام فقال: عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعه[١].

وقال تلميذه القاضي أبويوسف لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل زنديق أورمي بالزندقة.

وقال: من طلب العلم بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيميا أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب[٢].

وقال الإمام مالك-رحمه الله ـ:

أهل الكلام بئس القوم لايُسلم عليهم واعتزالهم أحب إلي[٣].

وقال الإمام أحمد:

لايفلح صاحب كلام أبدا. علماء الكلام زنادقة[٤].

وقال ابن الجوزي: ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزًا ولكنهم رأوا أنه لايشفي غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه[٥].

والسلفُ لم يكْرَهوه لمجرد كونه اصطلاحاً جديداً علي معان صحيحة كالاصطلاح على ألفاظ لعلومٍ صحيحة ولاكرهوا أيضاً الدِّلالة على الحق، والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أموركاذبة مخالفة للحق. ومن ذلك:

(١) صون المنطق والكلام ٣٢.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية٧٥.
(٣) الإنتقاء ٣٤.
(٤) تلبيس إبليس ١١٢.
(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

مخالفتهم للكتاب والسنة ومافيه من علوم صحيحة، فقد وعَّروا الطريق إلى تحصيلها وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلَّة نفعها فهي:

لحمُ جَمَل غَثٍّ على رأس جَبَل وَعر، لاسهلُ فَيُرْتَقَي، ولاسمين فينتقى وأحسنُ ماعندهم فهو في القرآن أصحُّ تقريراً، وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلا التكلُّفُ والتطويلُ والتعقيد: كماقيل:

لولاَ التَّنَافَسُ في الدُّنيا لَمَا وُضعتْ . . كُتُبُ التَّنَاظُر لاالمغنى ولاَ الغُمَدُ[١]

يُحلِّلُون بَزِعْمٍ مِنْهُمُ عقَداً . . وبالذي وَضَعوهُ زَادتِ العُقَدُ

فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشبه والشكوك والفاضل الذكي يَعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك.

ومن المحال أن لايحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصل من كلام هؤلاء المتحيِّرين[٢].

وقال الذهبي- رحمه الله-:

بل قَلَّ من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأدَّاه اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الأوائل ـ من أهل الكلام ـ فإن علم الكلام مولد من علماء الحكماء الدهرية فمن رام الجمع بين علم الأنبياء - عليهم السلام- وبين علم الفلاسفة بذكائه لابد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء[٣].

وقال محمد بن عبدالقوي في منظومة الآداب:

---

(١) المغني في علم الكلام تأليف القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمدانى شيخ المعتزلة وكتاب العمد. . في علم الكلام من تأليفه أيضاً.

(٢) انظر الطحاوية ١/ ٢٣٨.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٤.

وإياك عن آراء كل مزخرف .·. مقالته كالسم في ضمنها الردى
فقد مات خير الناس والدين كامل .·. غنى عن التبيين من كل ملحد
فطالب دين الحق بالرأي ضائع .·. ومن خاض في علم الكلام فماهدى
كفي بهم نقصا تناقض قولهم .·. وكل يقول الحق عندي فقلِّد
فمن قلد الآراء ضل عن الهدى .·. ومن قلد المعصوم في الدين يهتدى
فما الدين إلاالاتباع لما أتى .·. عن الله والهادى البشير محمد[١]

وقال ابن أبى العز الحنفي - رحمه الله-

وذكر الأصحاب في الفتاوى- الأحناف-

أنه لو أوصى لعلماء بلده لايدخل المتكلمون ولو أوصى إنسان أن يوقف من كتب العلم فأفتى السلف أن يباع مافيها من كتب الكلام. ذكر ذلك بمعناه في الفتاوى الظهيرية فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير اتباع ماجاء به الرسول ولقد أحسن القائل.

أيها المغتدي ليطلب علما .·. كل علم عبدلعلم الرسول
تطلب الفرع كى تصحح أصلا .·. كيف أغفلت علم أصل الأصول

ونبيناﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والآخروية على أتم الوجوه كما قالﷺ (وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء) [٢]. ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا قليل البركة بخلاف كلام المتقدمين فإنه قليل كثير البركة لاكما يقوله ضلال

---

(١) مجموعه القصائد المفيدة ٣٤٢.

(٢) انظر ابن ماجه المقدمة رقم١.

المتكلمين وجهلتهم إن طريقة القوم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالا منهم بغيره والمتأخرون تفرغوا لذلك فهم أفقه.

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة قَدْر السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم وتالله ما امتازعنهم المتأخرون إلا بالتكلف والإشتغال بالأطراف التى كانت همة القوم مراعاة أصولها وضبط قواعدها وشد معاقدها وهممهم مستمرة إلى المطالب العالية في كل شيء فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر وقد جعل الله لكل شيء قدرا.

قال: والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحا جديدا على معان صحيحة كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة ولاكرهوا أيضاً الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق ومن ذلك مخالفتها الكتاب والسنة ولهذا لاتجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ماعند عوام المؤمنين فضلا عن علمائهم.

ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل كثر المراء والجدال وانتشر القيل والقال وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح مايضيق عنه المجال.[1] اهـ.

وهذا ـ والله أعلم ـ سبب رواج علم الكلام وانتشاره وهو أن علماءه خلطوا فيه بعض السمعيات وزعموا أنهم بذلك يدافعون عن عقيدة التوحيد ضد المخالفين فبما فيه من حق راج مافيه من باطل.

---

(١) شرح العقيده الطحاوية ٧٦-٧٧ بتصرف.
وانظر الصواعق المرسلة ١/١٥٧ ـ ١٧٠.

وفى ذلك يـقول ابن القـيم رحمه الله: الـوجه السادس والخـمسون: أن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقليـاتهم التي هي في الحقيقة جهليات إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة تحتمل معاني متعددة ويكون مافيـها من الإشتبـاه في المعنى والإجمـال في اللفظ يـوجب تناولهـا بحق وباطل فبـما فيها من الحق يقـبل من لم يحط بهـا علما مافيها مـن الباطل لأجل الإشتباه والإلتبـاس ثم يعارضون بما فيها من الباطـل نصوص الأنبياء وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع كلها[1]. اهـ.

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/ ٩٢٥-٩٢٦.

المبحث الثالث: أصول الشافعي في إثبات العقيدة

الأصل الأول:

الإلتزام بالكتاب والسنة وتقديمها على العقل.

الأخذ بظاهر الكتاب، والسنة أول أصل من أصول أهل السنة والجماعة وذلك لأنهما المصدران الوحيدان لتلقي العقيدة الإسلامية ولايجوز للمسلم أن يستبدل بهما غيرهما فما أثبتاه وجب أن يثبته المسلم ومانفياه وجب على المسلم نفيه ولاهدى ولاصلاح إلابالتمسك بهما.

يقول الله عزوجل﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١).

وهذا شأن المؤمنين بالله ورسوله ولذلك نفى الله الإيمان عمن أبى وتكبر عن متابعة النبيﷺ فقال سبحانه﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

وأمر الله المؤمنين عند التنازع بأن يردوا ماتنازعوا فيه إليهما فإن فيهما حلاً لكل ماتنازع فيه الناس فقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾(٣).

قال عطاء رحمه الله في تفسير هذه الآية: (إلى الله إلى كتاب الله جل وعلا وإلى الرسول إلى سنة رسول اللهﷺ)(٤).

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) رواه الآجري في الشريعة ٥٣ وانظر نحوه في الدر المنثور ٢/ ٥٧٩ عن مجاهد.

وعلى هذا درج السلف- رحمهم الله ورضي عنهم - آمنوا بالله وبما جاء عن الله وآمنوا برسول الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ وتكلموا فيما يستطيعونه وشرع الله لهم الكلام فيه. وسكتوا عمالايستطيعونه ولم يشرعه الله سبحانه وتعالى لهم. ولذلك لم يسمع في تلك القرون المفضلة جدل بين أهل السنة في العقائد ولم يرو عنهم تردد في شيء من أبواب العقائد وهذا نتيجة حتيمة لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال سبحانه﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(١).

وقال سبحانه﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾(٢).

وقد سبق بيان منهج السلف رحمهم الله في إثبات العقيدة.

والشافعي رحمه الله أحد أئمة السلف ذهب في ذلك مذهب السلف الصالح فهو يرى أن الكتاب والسنة هما مصدر التشريع وإليها يرجع المفتي ولذلك تراه عند إثبات مفردات العقيدة يبدأ بذكر النصوص الواردة في ذلك من الكتاب والسنة ويحتج بما جاء بهما على المخالف ولم نسمع أنه تعرض رحمه الله إلى تأويلها وإلى ردها بشيء من حجج أهل الكلام وفي ذلك يقول رحمه الله في معرض رده على من قال بالإستحسان.

(وكل ماوصفت مع ماأنا ذاكر وساكت عنه اكتفاء بما ذكرت منه عمّا لم أذكر من حكم الله ثم حكم رسوله ﷺ ثم حكم المسلمين دليل على أن لايجوز لمن أستأهل أن يكون حاكما أو مفتيا أن يحكم ولا أن يفتي إلا من جهة خبر لازم وذلك الكتاب ثم السنة أو ماقاله أهل العلم لايختلفون فيه أو قياس على بعض هذا ولا يجوز له أن يحكم ولا يفتي بالإستحسان إذ لم يكن الإستحسان واجبا ولا في واحد من هذه المعاني فإن قال قائل فما يدل على أن لايجوز أن يستحسن إذا لم يدخل الإستحسان في هذه المعانى مع

(١) الآية ١٢٣ من سورة طه.

(٢) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

ماذكرت في كتابك هذا، قيل: قال الله عزوجل﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(١)، «فلم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى الذي لايؤمر ولاينهى ومن أفتى أوحكم بمالم يؤمر به فقد أجاز لنفسه أن يكون في معاني السدى وقد أعلمه الله أنه لم يتركه سدى ورأى أن قال أقول بما شئت وادعي مانزل القرآن بخلافه في هذا(٢).

ثم ذكر الآدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة وأنه لايجوز لأحد مخالفتهما فقال: قال الله عزوجل لنبيه عليه الصلاة والسلام﴿اتبع ماأوحي إليك من ربك﴾(٣).

وقال﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم ﴾(٤).

ثم جاء قوم فسألوه عن أصحاب الكهف وغيرهم فقال أعلمكم غدا يعني أسأل جبريل ثم أعلمكم فأنزل الله عزوجل﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾(٥)(٦).

وجاءته امرأة أوس بن الصامت تشكو إليه أوساً فلم يجبها حتى أنزل الله عزوجل﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(٧).

وجاء العجلاني يقذف امرأته قال لم ينزل فيكما وانتظر الوحى فلما نزل دعاهما فلاعن بينهما كما أمره الله عزوجل(٨) وقال لنبيه﴿وأن احكم بينهم بما

---

(١) الآية ٣٦ من سورة القيامة وانظر: الدر المنثور ٨/ ٣٦٣.

(٢) الأم ٧/ ٢٩٨.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الأنعام.

(٤) الآية ٤٩ من سورة المائدة.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري١٤/ ١٩١-٢٩١ وابن كثير ٣/ ٧٠.

(٦) الآيتان ٢٣-٢٤ من سورة الكهف.

(٧) الآية ١ من سورة المجادلة وانظر في سبب نزولها الدرالمنثور ٨/ ٧٠.

(٨) رواه البخاري ٩/ ٤٤٦ مع الفتح ومسلم ٢/ ١١٢٩.

أنزل الله﴾ (١) وقال عز وجل﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾(٢).

وليس يؤمر أحد أن يحكم بحق إلا وقد علم الحق ولايكون الحق معلوما إلا عن الله نصا أودلالة من الله فقد جعل الله الحق في كتابه ثم سنة نبيه ﷺ فليس تنزل بأحد نازلة إلا والكتاب يدل عليها نصا أو جملة ثم يبين المراد مما أنزل نصا. ا ـ هـ.

وذكر الأمثلة له ومانزل جملة وفصلته السنة النبوية وبين أن من قبل عن رسول الله فقد قبل عن الله وأطال النفس في هذا الموضوع(٣).

فهذا الكلام يدل على أنه يرى أن الله ماترك لنا شيئا مما أراده منا إلا ودلنا عليه في كتابه أوسنة نبيه ﷺ وأن الله ذكر في كتابه كل ماينفع المسلمين فلاخير إلا دل عليه ولاشر إلا حذر منه وماسكت عنه فليس لأحد أن يوجبه على أحد ومن ذلك أمور العقيدة بل هي أولى مايذكره الله سبحانه وتعالى ويدل عليه لأنها مما لاتستقل العقول بمعرفتها على التفصيل فلذلك لم يترك الله سبحانه وتعالى أمراً مما يجب اعتقاده إلا وذكره لنا في كتابه أوذكره رسوله ﷺ. ولما دخل الشافعي- رحمه الله- بغداد دخل عليه أبوثور وحسين الكرابيسي وكانا يختلفان إلى أصحاب الرأي وإنما دخلا عليه للسخرية به فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول: قال: الله عزوجل وقال: رسول الله ﷺ قال أبوثور: حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه(٤).

واشتهر عنه أنه كان يقول(آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله)(٥).

(١) الآية ٤٩ من سورة المائدة.

(٢) آية ٢٦ من سورة ص.

(٣) الأم ٧/ ٢٩٨.

(٤) المناقب للبيهقي ١/ ٢٢١.

(٥) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٢,٦/ ٣٥٤.

وقال رحمه الله: (الناس غاية لاتدرك فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه ودع ماسواه ولاتعانه)(١). ومعلوم أنه لاصلاح إلا بمتابعة الكتاب والسنة وهو سائر على هذا الأصل في إثبات جميع معتقده.

وقال رحمه الله في مسألة من مسائل الإيمان: (مايحتج عليهم - يعني على أهل الارجاء - أحج من قوله عزوجل **﴿وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة﴾**(٢).

وسأله سائل: عن الدليل على أن محمداًرسول الله فقال القرآن المنزل وإجماع المسلمين عليه والآيات التي لاتليق بأحد غيره(٣).

وقال في إثبات القدر:

قال الله عزوجل: **﴿وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العلمين﴾**(٤) فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لاتكون إلا أن يشاء والمشيئة إرادة الله عزوجل)(٥).

وسيأتي زيادة أمثلة على هذا عند ذكر عقيدته تفصيلا إن شاء الله.

والمهم أنه رحمه الله يبدأ بإيراد الآيات الواردة في المسألة ثم يعقب بذكر ماورد من الأحاديث فيها فإن لم يكن ثم آية اكتفى بالأحاديث الواردة.

وهو رحمه الله يأخذ بالآية والحديث على ظاهرهما من غير تكلف لصرفها عن ظاهرها كما هي عادة علماء الكلام، وليس هذا جهلاً من الشافعي بمعاني القرآن والحديث وبدلالتهما اللغوية فقد ثبت أن الشافعي رحمه الله حجة في اللغة.

---

(١) المناقب ١/ ٤٧٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤٠٠.

(٤) التكوير آية (٢٩).

(٥) المصدر السابق ١/ ٤١٢ وسيأتي.

قال أبوالجارود المكي(كان يقال: إن محمد بن إدريس لغة وحده يحتج به كما يحتج بالبطن من العرب)(١).

وروى البيهقي بسنده عن الجاحظ أنـه قال:(نظرت في كتب الشافعي فإذا هو در منظوم إلى در)(٢).

وبسنده إلـى محمد بن عبـدالله الفقيه قال: سـألت أباعمر غلام ثـعلب الذي لم ترعـيناى مثله عن حروف أخـذت على الشافعي رحـمه الله فقال لي:(كلام الشافـعي صحيح سمعت أباالـعباس ثعلبا يقـول: يأخذون على الشافعي وهومن بيت اللغة يجب أن يؤخذ عنه)(٣).

والروايات عن العلماء في إمامة الشافعي رحمه الله في اللغة كثيرة جدا.

وأهل الكلام أنفسهـم يعترفون بذلك، ويذكرونه في كتـبهم ويردون على من زعم خلاف ذلك(٤).

فلماذا لم يلجأ-رحمه الله- مع ذلك إلى التأويل لوكان سائغا؟

والجواب أن تأويـل أهل الكلام بـاطل لايشهـد له شيء من الـنصوص ولايجوز في الـلغة وهذا الشافـعي وهو من أئمة المـسلمين في علـوم شتى ومنها اللغة لم يذكر أنه أول صفة واحـدة وما ذاك إلا لسلامة منهجه وتمسكه بظاهر الكتاب والسنة وهو غير متعارض مع العقل واللغة بل كان رحمه الله يرى أنـه لايجوز مـعارضة الـكتاب والـسنـة ولابكلـمة واحدة وفـي ذلك يقول(لايقال للأصل لم ولاكيف)(٥).

(١) المناقب للبيهقي ٢/ ٤٩ ورد الإنتقاد ٦٣.
(٢) المناقب ٢/ ٥١.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٥١, ٥٢ ورد الإنتقاد ٦٤.
(٤) انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ورد الإنتقاد للبيهقي.
(٥) المناقب للبيهقي ٢/ ٣٠ وسير أعلام النبلاء جـ ١٠/ ٢٠.

ويبين أن قـدرة العقل محـدودة لاتعلم إلا ماعلـمها الله فلذلـك لايجوز للإنسان أن يعمـل عقله فيما لايستطـيعه بل يجب عليه الوقـوف عند النص وفي ذلك يقول رحمـه الله(كما أن للعين حداً تقف عنده كذلـك للعقل حد يقف عنده)(١).

مكانة السنة عند الإمام الشافعي وردّه على من أنكر حجيتها:

يرى الإمام الشافعي رحمه الله أن السنة مثـل القرآن في التشريع فما ثبت في السنة كالـذي ثبت في القرآن وماحرم في السنة كـالذي حرم في القرآن والسبب في ذلك أنهما جميعا من الله يقول رحمه الله:

فليست تنزل بأحد من أهل ديـن الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①﴾(٢)،

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)،

وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٤)،

---

(١) آداب الشافعي ٢٧١.
(٢) الآية ١ من سورة إبراهيم.
(٣) الآية ٤٤ من سورة النحل.
(٤) الآية ٨٩ من السورة نفسها.

وقـــال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١)(٢).

ثم بين رحمه الله أن سنة النبيﷺ هي الحكمة التي قرنها الله مع كتابه في آيات كثيرة كقوله تعالى﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال- رحمه الله: (كل ماسن رسول الله مما ليس فيه كتاب وفيما كتبنا في كتابنا هذا- الرسالة- من ذكرما منَّ الله بـه على العباد من تعلم الكتاب والحكمة دليل على أن الحكمة سنة رسول الله).

ثمَ بين منزلة السنة من القرآن، وأنها شارحة له ومبـينة لمراد الله فيه وأنها قد تستقل ببعض الأحكام وإن لم يرد لها أصل في الكتاب فقال:

مع ماذكرنا مما افترض الله على خلقـه من طاعة رسوله وبين من موضعه الذى وضعه الله به من دينه الدليل على أن البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه.

منها: ماأتى الـكتاب على غاية البيان فـيه فلم يُحتجْ مع التنـزيل فيه إلى غيره.

ومنهـا: ماأتى على غايـة البيان في فرضـه، وافترض طاعة رسولـه فبين رسول الله عن الله: كيـف فرضه وعلى من فرضـه ومتى يزول بعضـه ويثبت ويجب.

---

(١)الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٢) الرسالة ٢٠.

(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

ومنها: مابينه عن سنة نبيه بلا نص كتاب.

وكل شيء منها بيان في كتاب الله.

فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه قبل عن رسول الله سَنَنَهُ بفرض الله طاعة رسوله على خلقه وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته(١).

ثم ذكر الأدلة على حجية السنة فقال:

وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به.

فقال تبارك وتعالى﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾(٢)(٣).

(١) الرسالة ٣٢-٣٣.

(٢) الآية ١٧١ من سورة النساء.

(٣) علق الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله- على استدلال الإمام الشافعي بهذه الآية في هذا الموضع فقال:
والعصمة لله ولكتابه ولأنبيائه وقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه كما قال بعض السلف فإن الشافعي- رضي الله عنه- ذكرهذه الآية محتجابها على أن الله قرن الإيمان برسوله محمدﷺ مع الإيمان به، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن، منها قوله تعالى في الآية(١٣٦) من سورة النساء: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ** ﴾ ومنها قوله تعالى في الآية (١٥٨) من سورة الأعراف: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾. ومنها قوله تعالى في الآية(٨) من سورة التغابن: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا** ﴾.
ولكن الآية التي ذكرها الشافعي هنا ليست في موضع الدلالة على مايريد، لأن الأمر فيها بالإيمان بالله وبرسله كافة. ووجه الخطأ من الشافعي أنه ذكر الآية بلفظ «فآمنوا بالله ورسوله» بإفراد لفظ الرسول، وهكذا كتبت في أصل الربيع، وطبعت في الطبعات الثلاث من الرسالة، وهو خلاف التلاوة، وقد خيّل إليّ باديء ذي بدء أن تكون هناك قراءة بالإفراد، وإن كانت- إذا وجدت- لاتفيد =

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾(١).

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ماسواه تبعٌ له الإيمان بالله ثم برسوله فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله: لم يقع عليه إسم كمال الإيمان أبدًا حتى يؤمن برسوله معه وهكذا سن رسول الله في كل من امتحنه للإيمان. . .) ا ـ هـ.

ومثل لذلك بحديث الجارية لما سألها رسول الله ﷺ أين الله فقالت في السماء فقال ومن أنا قالت أنت رسول الله قال: فأعتقها)(٢) ثم قال: فعرض الله على الناس اتباع وصية وسنن رسوله فقال في كتابه﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ

=في الاحتجاج لمايريد، لأن سياق الكلام في شأن عيسى عليه السلام، فلوكان اللفظ «ورسوله» لكان المراد به عيسى، ولكنى لم أجد أية قراءة في هذا الحرف من الآية بالإفراد: لا في القراءات العشر، ولافي غيرها من الأربع، ولا فى القراءات الأخرى التي يسمونها«القراءات الشاذة».

ومن عجب أن يبقى هذا الخطأ في الرسالة، وقد مضى على تأليفها أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة، وكانت في أيدى العلماء هذه القرون الطوال، وليس هو من خطأ في الكتابة من الناسخين، بل هو خطأ علمي، انتقل فيه ذهن المؤلف الإمام، من آية إلى آية أخرى حين التأليف: ثم لاينبه عليه أحد، أولا يلتفت إليه أحد، وقد مكث أصل الربيع من الرسالة بين يدي عشرات من العلماء الكبار، والأئمة الحفاظ، نحواً من أربعة قرون، إلى مابعد سنة ٦٥٠: يتناولونه بينهم قراءة وإقراء ونسخاً ومقابلة، كما هو ثابت في السماعات الكثيرة المسجلة مع الأصل، وفيها سماعات لعلماء أعلام، ورجال من الرجالات الأفذاذ: وكلهم دخل عليه هذا الخطأ، وفاته أن يتدبر موضعه فيصححه، ومرد ذلك كله-فيما نرى والله أعلم:- إلى الثقة ثم إلى التقليد، فما كان ليخطر ببال واحد منهم أن الشافعي، وهو إمام الأئمة، وحجة هذه الأمة:- يخطيء في تلاوة آية من القرآن، ثم يخطيء في وجه الاستدلال بها، والموضوع أصله من بديهيات الإسلام، وحجج القرآن فيه متوافرة، وآياته متلوة محفوظة. ولذلك لم يكلف واحد منهم نفسه عناء المراجعة، ولم يفكر في صدر الآية التي أتى بها الشافعي للاحتجاج تقليدا له وثقة به حتى يرى إن كان موضعها، موضع الكلام في شأن نبينا ﷺ أو في شأن غيره من الرسل عليهم السلام. الرسالة ٧٣-٧٥

(١) الآية ٦٢ من سورة النور.

(٢) مسلم ١/١٥١ وسيأتي في توحيد الأسماء والصفات.

فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

وقال جل ثناؤه ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٢)،

وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

وقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾(٥).

وقال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾(٦).

وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً﴾(٧).

---

(١) الآية ١٢٩ من سورة البقرة.
(٢) الآية ١٥١ من سورة البقرة.
(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ٢ من سورة الجمعة.
(٥) الآية ٢٣١ سورة البقرة.
(٦) الآية ١١٣ من سورة النساء.
(٧) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.

فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعتُ مَنْ أَرْضَى مِنْ أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله وهذا يشبه ماقال ـ والله أعلم ـ.

لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة وذكر الله مَنَّهُ على خلقه بتعليم الكتاب والحكمة فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يقال: الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ماأراد: دليلا على خاصه وعامه ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله[1] ا ـ هـ.

ثم بدأ بذكر بعض أنواع الأدلة على حجية السنة:ـ

فمنها أن الله فرض طاعة رسول الله مقرونة بطاعته ومذكورة وحدها وذكر الآيات الدالة على هذا النوع ومنها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه﴾[2]،

وقال﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[3]،

وقال﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[4]،

(١) الرسالة ٧٨-٧٩.

(٢) الآية ٢٠ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾(١).

ومن الآيات التي تدل على وجوب طاعة النبيﷺ:

قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢)،

وقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٣)،

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤).

وقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٥)،

وقال: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾(٦).

---

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء.
(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.
(٣) الآية ٨٠ من سورة النساء.
(٤) الآية ٦٥ من السورة نفسها.
(٥) الآية ٦٣ من سورة النور.
(٦) الآيات ٤٨-٥٢ من السورة نفسها.

قال الشافعي: فأعلم الله الناس في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكم بينهم دعاء إلى حكم الله لأن الحاكم بينهم رسول الله وإذا سلموا لحكم رسول الله فإنما سلموا لحكمه بفرض الله وأنه أعلمهم أن حكمه حكمُه على معنى افتراضه حكمه أى حكم رسول الله ﷺ فإن الله هو الذي فرضه وماسبق في علمه جل ثناؤه من إسعاده بعصمته وتوفيقه وماشهد له به من هدايته واتباعه أمره.

فأحكم فرضه بإلزام خلقه طاعة رسوله وإعلامهم أنها طاعتُه فجمع لهم أن أعلمهم أن الفرض عليهم اتباع أمره وأمررسوله وأن طاعة رسوله طاعته ثم أعلمهم أنه فرض على رسوله اتباع أمره جل ثناؤه(١).

ثم ذكر نوعا آخر من الأدلة على وجوب طاعة النبى ﷺ، وعلى حجية السنة.

فقال: باب ماأبان الله لخلقه من فرضه على رسوله اتباع ماأوحى إليه وماشهد له به من اتباع ماأمر به ومن هداه وأنه هاد لمن اتبعه(٢).

قال: قال الله جل ثناؤه لنبيه **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ②﴾**(٣)،

وقال: **﴿اتبع ماأوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾**(٤)،

وقال: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ⑱﴾**(٥)،

---

(١) الرسالة ٨٤-٨٥.
(٢) المصدر السابق ٨٥.
(٣) الآيتان ١, ٢ من سورة الأحزاب.
(٤) الآية ١٠٦ من سورة الأنعام.
(٥) الآية ١٨ من سورة الجاثية.

فأعلم الله رسولــه مَنَّهُ عليه بما سبق فـي علمه من عصمته إيـاه من خلقه فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١).

وشهد له جل ثـناؤه باستمساكه بمـا أمره به والهُدَى في نفســه وهداية من اتبعه

فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)،

وقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣)،

فأبان الله أنه قد فرض على نبيه اتباع أمـره وشهد له بالبلاغ عنه وشهد به لنفــسه ونحن نشــهد له به تقربـا إلى الله بالإيمان به وتـوسلاً إليه بتـصديق كلماته(٤).

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٣) الآية ١١٣ من سورة النساء.

(٤) هذا نـوع من أنواع التـوسل المشروع وهـو التوسل إلـى الله بالعمـل الصالح ولاشـك أن الإيمان بالنبيﷺ وتـصديقه فيما أخبر من أوجـب الواجبات على الإنسان، بل هـو ركن من أركان الإيمان الذى لايؤمـن عبد إلابتحقـيقه وهو مع شـهادة لا إله إلا الله الركن الأول من أركـان الإسلام وهو أعظم الأعمال الصالحة فالتقرب إلى الله بالإيمان بـه أمرشرعي مطلوب ويلاحظ خلو عبارات الإمام الشافعي وكلامـه من التوسل البدعي وهو التـوسل بالذوات وبجاه الذوات فهو هنـا لـم يقل أتوسل إلى الله بالنـبيﷺ لأنه لادليل عليـه، والشافعي رحمه الله متـبع وليس بمبتدع بـل توسل إلى الله بالإيمان بنبيهﷺ وهو توسـل شرعي انظر في موضوع التوسل: التوصل إلى حقـيقة التوسل لمحمد نسيب الدين الرفاعي.

قال الشافعي: وفي شهادته له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم صراط الله والشهادة بتأدية رسالته واتباع أمره وفيما وصفتُ من فرضه طاعته وتأكيده إياها في الآية ذكرتُ ماأقام الله به الحجة على خلقه بالتسليم لحكم رسول الله ﷺ واتباع أمره(١).

قال: وماسن رسول الله فيما ليس لله فيه حكم فحكم الله سَنَّهُ وكذلك أخبرنا الله في قوله﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ﴾(٢).

وقد سن رسول الله مع كتاب الله وسن فيما ليس فيه بعينه نصٌ كتاب. وكل ماسن فقد ألزمنا الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعَتَهُ وفي العُنُود(*)عن اتباعها معصيتَه التي لم يعذر بها خلقا ولم يجعل له من اتباع سُنَن رسول الله مخرَجا لما وصفتُ(٣).

ثم ذكر الدليل من السنة على حجية الحديث النبوي فروى بسنده إلى أبى رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لاأدري ماوجدنا في كتاب الله اتبعناه)الحديث(٤)ا ـ هـ.

فهذه النصوص وغيرها مما هو متناثر في كتبه وكتب غيره ممن روى عنه تدلنا على تعظيم الإمام الشافعي رحمه الله للسنة وأنه يعتبرها كالقرآن في التشريع سواء في الأصول أوفي الفروع وسيأتى من كلامه رحمه الله مايدل على ذلك وأنه لايستجيز مخالفتها إلى غيرها في الفروع فضلا عن الأصول وفى هذا رد على أهل الكلام الذين إن عملوا بالسنة في الفروع لم يعملوا- بها في الأصول.

---

(١) الرسالة ٨٨.
(٢) الآيتان ٥٢, ٥٣ من سورة الشورى.
(٣) الرسالة ٨٨-٨٩.
(٤) الحديث رواه الإمام أحمد ٤/ ١٣٠-١٣١-١٣٢.
والدارمي ١/ ١٤٤ وأبوداود ٤/ ٣٢٨.
والترمذي ٢/ ١١١ وحسنه وابن ماجة ١/ ٥ وصححه أحمد شاكر في الرسالة(٩١).
(*) العنود: بضم العين المهملة: العنود والطغيان أو الميل والانحراف وهو مصدر سماعي.

ومن كلامه رحمه الله في ذلك مارواه البيهقى بسنده عن سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي: ماتقول في حديث الرؤية فقال لى يابن أسد أقض عليّ حييتُ أو متّ إن كلّ حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني)(١).

وبإسناده إلى الحميدى قال: سأل رجل الشافعي بمصر عن مسألة فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ كذا فقال الرجل. أتقول بهذا؟.

قال: أرأيت في وسطي زنارا(*) أتراني خرجت من الكنيسة أقول قال النبي ﷺ وتقول لي أتقول بهذا؟. أروي عن رسول الله ﷺ ولاأقول به(٢).

وفي رواية للربيع قال: سمعت الشافعي يقول: وسأله رجل عن مسألة فقال روي عن النبي ﷺ أنه قال: كذا وكذا.

فقال له السائل: ياأباعبد الله أتقول بهذا؟

فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال ويحك. أي أرض تقلني وأي سماء تظلني؟ إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئا فلم أقل به.

نعم على الرأس والعينين على الرأس والعينين، قال: وسمعت الشافعي يقول:

مامن أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه فمهما قلت من قول أوأصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ماقلت، فالقول ماقال رسول الله ﷺ وهو قولي(٣).

قال: وجعل يردد هذا الكلام.

---

(١) المناقب ١/ ٤٢١ وسيأتي.

(٢) المناقب ١/ ٤٧٤ والحلية ٩/ ١٠٦ وتوالي التأسيس ٦٣ ومفتاح الجنة ٥٤.

(٣) المناقب ١/ ٤٧٥ والحلية ٩/ ١٠٦.

(*) يشير بذلك إلى لباس القسس من النصاري يعني أنا لست منهم حتى أرد حديث رسول الله ﷺ. فليتنبه لهذا الحكم العجيب من زعم تقليد الإمام الشافعي وهو لا يعظم أحاديث النبي ﷺ ويحاول ردها تقليدًا بالتأويل ونحوه.

وفي لفظ: (متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا ولم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب)(١).

وفى لفظ رواه الزعفراني(سمعت الشافعي يقول لمن قال له أتأخذ بهذا الحديث: تراني في بيعة ترانى في كنيسة ترى عليَّ زي الكفار هو ذا تراني في مسجد المسلمين علي زي المسلمين مستقبل قبلتهم أروي حديثا عن النبي ﷺ ثم لا أقول به)(٢).

ومن تعظيمه للحديث أنه كان يسأل الإمام أحمد رحمه الله عن الحديث الصحيح فيقول: (إذا أصح عندكم الحديث عن النبي ﷺ فقولوا حتى أذهب إليه)(٣).

وفي لفظ آخر قال الشافعي: (أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني إن شاء يكون كوفيا أو بصريا أوشاميا حتى أذهب إليه إن كان صحيحا)(٤).

ولهذا قال للربيع(كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ماقلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي)(٥).

وقد اشتهر ذلك عنه حتى سمي(ناصر السنة)(٦).

وقال عنه الإمام أحمد رحمه الله(مارأيت أتبع للأثر من الشافعي)(٧).

---

(١) آداب الشافعي ٦٧ والمناقب ١/ ٤٧٤ والحلية ٩/ ١٠٦.

(٢) طبقات السبكي ٢/ ١٣٨.

(٣) المناقب للبيهقي ١/ ٤٧٦ والحلية ٩/ ١٠٦.

(٤) المناقب ١/ ٥٢٨ والحلية ٩/ ١١٠.

(٥) المناقب ١/ ٤٧٣ وتوالي التأسيس ٩٣.

(٦) المناقب ١/ ٤٧٢ والحلية ٩/ ١٧.

(٧) المناقب ١/ ٤٧١ الحلية ٩/ ٢٠٢.

وقال: (لقد كان يذب عن الآثار)(١).

وقال: (كان أحسن أمر الشافعي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده، قال به وترك قوله)(٢).

ومن تعظيمه للحديث أنه كان يعظم أهل الحديث ورواته وفي ذلك يقول: (لولا أصحاب الحديث لكنا بياع فول)(٣).

وقال: (كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبيﷺ)(٤).

ولهذا ملأ الشافعي رحمه الله كتبه بالدفاع عن سنة النبيﷺ والرد على من منع الإستدلال بها وأقام على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع وقد سبق بعض كلامه في ذلك وسأذكر إن شاء ماتيسر من رده على من أنكر حجية السنة في المبحث التالي.

رد الإمام الشافعى رحمه الله على من أنكر حجية السنة:

قال الشافعي رحمه الله: لم أسمع أحدًا- نسبه الناس أونسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله عزّ وجلّ اتباع أمررسول الله ﷺ والتسليم لحكمه بأن الله عزوجل لم يجعل لأحد إلا اتباعه وأنه لايلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما. وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول اللهﷺ: واحد لايختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول اللهﷺ.

إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى.

---

(١) المناقب ١/ ٤٧١ توالي التأسيس ٥٧.

(٢) المناقب ١/ ٤٧٦ وتوالي التأسيس ٦٣.

(٣) المناقب ١/ ٤٧٧.

(٤) المناقب ١/ ٤٧٧ والحلية ٩/ ١٠٩.

قال: ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر عن رسول الله ﷺ تفرقا متباينا[١].

فتفرق غيرهم ممن نسبته العامة إلى الفقه فيه تفرقا[٢].

أما بعضهم فقد أكثر من التقليد[٣] والتخفيف من النظر والغفلة والإستعجال بالرياسة.

وسأمثل لك من قول كل فرقة عرفتها مثالا يدل على ماوراءه إن شاء الله تعالى. ا ـ هـ.

ثم قسم الطوائف المنكرة للسنة إلى ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولى:

هي التي أنكرت السنة جملة وتفصيلا، ورفضت أن تكون السنة أصلا من أصول التشريع الإسلامي بحجة أن القرآن الكريم قد اشتمل على كل شيء وأنه لايمكن الإطمئنان إلى الأحاديث التي يرويها الرواة وهم بشر يجوز عليهم الخطأ والنسيان.

الطائفة الثانية:

هي التي رفضت الحديث إن زاد على القرآن وقالت لا نقبل من الأحاديث إلا ماكان بيانا للقرآن.

الطائفة الثالثة:

هي التي رفضت الحديث المعروف بحديث الآحاد مهما كانت درجة رواته من العدالة والضبط ولا تقبل من الحديث إلا ماتواتر عن النبي ﷺ

(١) يلاحظ أن علماء الكلام ينكرون السنة منذ أول أمرهم ولازالوا على ذلك على اختلاف فرقهم.
(٢) سيذكر الشافعي إن شاء الله بعض الأمثلة في الرد عليهم.
(٣) كان الشافعي رحمه الله يكره التقليد وسوف أذكر بعض أقواله إن شاء الله في مبحث خاص عن موقفه من التقليد.

وهذه الطائفة سوف أذكر رد الإمام الشافعي عليها في بيان موقفه من خبر الآحاد إن شاء الله.

أما الطائفة الأولى: وهي التي تنكر السنة مطلقا، ولاترى العمل إلا بالقرآن فقد نقل أقوالها وحجج أصحابها بالتفصيل وأكتفي بذكر بعض رده عليهم: حيث قال الشافعي: ـ قال المنكر: ـ

فاذكر شيئا إن حضرك.

قلت- الشافعي- قال الله عزوجل ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

قال: فقد علمنا أن الكتاب كتاب الله فما الحكمة؟

قلت: سنة رسول الله ﷺ.

قال: أفيحتمل أن يكون يعلمهم الكتاب جملة والحكمة خاصة وهي أحكامه.

قلت: تعني بأن يبين لهم عن الله عزوعلا مثل مابين لهم في جملة الفرائض من الصلاة والزكاة والحج وغيرها فيكون الله قد أحكم فرائض من فرائضه بكتابه وبين كيف هي على لسان نبيه ﷺ.

قال: إنه ليحتمل ذلك.

قلت: فإن ذهبت هذا المذهب فهي في معنى الأول، مثله الذي لاتصل إليه إلا بخبر عن رسول الله ﷺ. (يعني أن السنة شارحة للقرآن).

---

(١) الآية(٢) من سورة الجمعة.

قال: فإن ذهبت مذهب تكرير الكلام. (يعنى أن الحكمة هى القرآن وليست السنة).

قلت: وأيهم أولى به إذا ذكر الكتاب والحكمة أن يكونا شيئين أو شيئا واحداً.

قال: يحتمل أن يكون كما وصفت كتابا وسنة، فيكونا شيئين ويحتمل أن يكونا شيئا واحدا.

قلت: فأظهرهما أولاهما في القرآن دلالة على ماقلنا وخلاف ماذهبت إليه.

قال: وأين هي؟

قال: قول الله عزوجل ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾(١).

فأخبر أنه يتلى في بيوتهن شيئان.

قال: فهذا القرآن يتلى فكيف تتلى الحكمة.

قلت: إنما معنى التلاوة أن ينطق بالقرآن والسنة كما ينطق بها.

قال: فهذا مبين في أن الحكمة غير القرآن من الأولى. ا ـ هـ.

ثم شرع في بيان نوع آخر من الأدلة على حجية السنة.

فقال الشافعي (افترض الله علينا اتباع نبيه ﷺ.)

قال: وأين؟

قلت: قال الله عزوجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

وقال عزّ وجلّ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٣)،

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٣) الآية ٨٠ من سورة النساء.

وقـال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

قال: مـامن شيء أولى بـنا أن نقـوله في الحـكمة من أنـها سنـة رسول الله ﷺ. ولو كان بعض ماقـال أصحابنا: إن الله أمر بالتسلـيم لحكم رسول الله ﷺ وحكمته إنما هو مما أنزله لكان من لم يسلم له أن ينسب إلى التسليم لحكم رسول الله ﷺ(٢).

قلت: لقد فرض الله عزوجل علينا اتباع أمره فقال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٣).

قال: إنه لبين فـي التنزيل أن علينـا فرضا أن نأخذ الذي أمرنا بـه وننتهي عما نهانا رسول الله ﷺ.

قلت: والفرض علينا وعلى من هو قبلنا ومن بعدنا واحد.

قال نعم.

قلت: فإن كان ذلك علينا فرضـاً في اتباع أمر رسول الله ﷺ: أنحيط أنه إذا فرض علينا شيئا فقد دلنا على الأمر الذي يُؤْخَذُ به فرضه.

قال: نعم.

---

(١) الآية ٦٣ سورة النور.

(٢) علق الشيخ أحمد شاكر على ذلك بقوله:

يعنى: لكان من لم يسلم للحديث ويأخذ بـه يجوز أن يطلق عليه أنه سلم لحكم رسول الله لأنه اتبع القرآن واتبع الحكمة وهي بعض مانزل في القرآن في فهم هذا القائل. أماعلى معنى أن الحكمة هي السنة فإنه لايجوز أن ينسب إلى التسليم لحكم رسول الله لأنه لم يأخذ بالحديث.

- جماع العلم(٢٠) حاشية.

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر.

قلت: فهل تجد السبيل إلى تأدية فرض الله عزوجل في اتباع أوامر رسول الله ﷺ أوأحد قبلك أوبعدك ممن لم يشاهد رسول الله ﷺ إلا بالخبر عن رسول الله ﷺ.

وإنَّ في أنْ لاآخذَ ذلك إلا بالخبر لما دلني على أن الله أوجب عليَّ أن أقبل عن رسول الله ﷺ. ا ـ هـ.

ثم احتج الإمام عليه بناسخ القرآن ومنسوخه فقال:

وقلت له أيضا: يلزمك في ناسخ القرآن ومنسوخه.

قال: فاذكر منه شيئا.

قلت: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾(١).

وقال في الفرائض: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾(٢).

فزعمنا بالخبر عن رسول الله ﷺ أن آية الفرائض نسخت الوصية للوالدين والأقربين فلو كنّا ممن لايقبل الخبر، فقال قائل: الوصيةُ نسخت الفرائضَ هل نجد الحجة عليه إلا بخبر عن رسول الله ﷺ(٣)؟! ا ـ هـ.

ويمكن تلخيص رد الشافعي- رحمه الله- بما يلي:

١ - أن الله فرض علينا اتباع رسول الله ﷺ وأن نأتمر بأمره وننتهي عما نهى عنه.

---

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١١ من سورة النساء.

(٣) جماع العلم ٢١-٢٣.

٢- لاسبيل لنا إلى إطاعة أمر الله في ذلك إلا بالعمل بما ورد عن رسول اللهﷺ مع سلامة الصدور عن شبه الرد ومع التسليم لأمره وحكمهﷺ .

٣ - أن المسلم بحاجة لسنة النبيﷺ لتوضيح بعض ماأجمل في القرآن وقد مثل الشافعي رحمه الله لذلك بآية المواريث وآية الوصية.

ـ رد الإمام الشافعي- رحمه الله- على الطائفة الثانية:

قالت الطائفة الثانية بأن الخبر لايقبل عن رسول اللهﷺ إلا إذا كان له أصل في القرآن.

فقال الشافعي رحمه الله:

فقد بان لك في أحكام الله تعالى في كتابه فرض الله طاعة رسوله والموضع الذي وضعه الله عزوجل به من الإبانة عنه: ماأنزل خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا.

قال(المنكر): نعم.

ومازلت أقول بخلاف هذا حتى بان لي خطأ من ذهب هذا المذهب.

ولقد ذهب فيه أناس مذهبين.

أحد الفريقين لايقبل خبرا وفي كتاب الله البيان.

قلت: فما لَزِمَه؟

قال: أفضى به عظيم إلى عظيم من الأمر فقال: من جاء بما يقع عليه اسم صلاة وأقل مايقع عليه اسم زكاة فقد أدى ماعليه لاوقت في ذلك ولوصلى ركعتين في كل يوم أو قال في كل أيام.

---

(١) جماع العلم ٢٧-٢٨.

وقال: مالم يكن فيه كتاب الله فليس على أحد فيه فرض[١].

وقال غيره: ماكان فيه قرآن يقبل فيه الخبر فقال بقريب من قوله فيما ليس فيه قرآن فدخل عليه مادخل على الأول أو قريب منه.

ودخل عليه أن صار إلى قبول الخبر بعد رده.

وصار إلى أنه لايعرف ناسخا ولامنسوخا ولاخاصا ولاعاما والخطأ ومذهب الضلال في هذين المذهبين واضح لست أقول بواحد منهما[٢]. ا ـ هـ.

ومايرد به على الطائفة الأولى يمكن أن يرد به على الطائفة الثانية.

وقد يستدل أصحاب هذه الطائفة بحديث يروونه وفيه: (ماجاءكم عنى فأعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وماخالفه فلم أقله)[٣].

ورد عليهم الشافعي فقال: ماروى هذا أحد يَثْبُتُ حديثه في شيء صغر ولاكبر وقال أيضا: وهذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لانقبل مثل هذه الرواية في شيء.

قال: فهل عن النبيﷺ رواية بماقلتم، فقلت له: نعم.

فذكر حديث أبي رافع أن النبيﷺ قال: (لاألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لاأدري ماوجدنا في كتاب الله اتبعناه)[٤].

قال: فقد ضيق رسول الله(ﷺ) على الناس أن يردوا أمره بفرض الله عليهم اتباع أمره[٥].

---

(١) جماع العلم ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الرسالة ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) حديث موضوع- انظر: كشف الخفا ١/ ٨٦ وانظر الرسالة ٢٢٤.

(٤) سبق تخريجه. ص٩٥.

(٥) الرسالة ٢٢٤-٢٢٦.

هذه حكاية أقوال الطائفتين والرد عليهما أما الطائفة الثالثة وهي التي تنكر أخبار الآحاد فسوف أفرد لها مبحثاً مستقلا إن شاء الله.

قول الإمام الشافعي رحمه الله في خبر الواحد.

تعريف خبر الآحاد:

قسم علماء الحديث والأصول حديث النبيﷺ إلى قسمين

(١) متواتر.

(٢) وآحاد.

والمتواتر: مارواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وأسندوه إلى شيء محسوس.

والآحاد: هو مافقد شروط المتواتر أو أحدهما[١].

وهو من حيث القبول والرد على أقسام فمنه المقبول ومنه المردود على حسب حال رواته من حيث العدالة وعدمها وغير ذلك من شروط قبول الرواية.

وقد ذكر الشافعي- رحمه الله- هذا التقسيم وسماه علم عامة وعلم خاصة.

فقال: قال لي قائل: ماالعلم وما يجب على الناس في العلم فقلت له العلم علمان: علم عامة لايسع بالغًا غير مغلوب على عقله جهْلُه.

قال: ومثل ماذا؟

قلت مثل الصلوات الخمس وأن لله على الناس صوم شهر رمضان وحجَّ البيت إذا استطاعوه وزكاة في أموالهم وأنه حرم الزنا والقتل والسرقة والخمر

(١) انظر: شرح ابن حجر لنخبة الفكر ٤-٨ والإحكام للآمدي ٢/ ٣١ وعبارة الآمدي: «والأقرب في ذلك أن يقال خبر الآحاد ما كان من الأخبار غير منته إلى حد التواتر».

وماكان في معنى هذا مما كُلِّفَ العبادُ أن يعقلوه ويعملوه ويُعطُوه من أنفسهم وأموالهم وأن يكفوا عنه ماحرم عليهم منه.

وهذا الصنف موجود نصًا في كتاب الله وموجودٌ عاما عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم يحكونه عن رسول الله ﷺ ولايتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم.

وهذا العلم العام الذي لايمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولايجوز فيه التنازع.

قال فما الوجه الثاني؟

قلت له:ماينوبُ العباد من فروع الفرائض ومايخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ولافي أكثره نص سنة وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة لاأخبار العامة وماكان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسا[١]. ا ـ هـ.

وقال في موضع آخر.

العلم من وجوه: منه إحاطة في الظاهر والباطن.

ومنه حق في الظاهر

فالإحاطة منه ماكان نص حكم لله أوسنة لرسول الله نقلها العامة عن العامة.

فهذان السبيلان اللذان يشهد بهما فيما أحل أنه حلال وفيما حرم أنه حرام وهذا الذي لايسع أحدًا عندنا جهله ولاالشك فيه.

وعلم الخاصة سنة من خبر الخاصة يعرفها العلماء[٢]. ا ـ هـ.

---

(١) الرسالة ٣٥٧- ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق ٤٧٨.

وله غير ذلك كلام كثير أذكر بعضـه إن شاء الله عند ذكر أدلته التى احتج بها على وجوب العمل بخبر الآحاد.

ـ شروط صحة الحديث وقبوله عند الإمام الشافعي:

قال- رحمه الله- فقال لي قائل احدد لي أقل ماتقوم به الحجة على أهل العلم حتـى يثبت عليهم خبر الخـاصة فقلت خبر الواحد عـن الواحد حتى ينتهي به للنبي أومن انتهى به إليه دونه.

ولاتقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أمورًا.

منها أن يـكون من حدث به ثقة في ديـنه، معروفا بالصدق فـي حديثه، عاقلا ما يـحدث به، عالما بما يحيـل معاني الحديث من اللـفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كماسمع لايحدث به على المعنى، لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيـل معناه لم يدر لَعلَّه يحيل الحلال إلى الحرام وإذا أدَّاه بحروفه فلم يبق وجه يُخَـافُ فيه إحالتُهُ الحديثَ، حافظا إنْ حدَّث به من حفظه حافظا لكتابه إن حدّث من كتابه.

إذا شَرِكَ [(١)] أهلَ الحفظ في الحـديث وافق حديثهم، بَرِيًّـا من أن يكون مدلِّسـا يُحَدِّثُ عمن لَـقِيَ مالم يسـمع منه، ويحـدث عن النبي مـايحدث الثقـاتُ خلافَهُ عن الـنبي ويكـون هكذا مَن فـوقهَ ممن حدثـه حتى يُنْـتَهَى بالحديـث موصولا إلى النـبي أو إلى من انْتُـهي به إليه دونَـه لأن كلَّ واحد منهم مثبت لمـن حدثه ومثبت على من حدث عنه فلا يُسْـتَغْنَى في كل واحد منهم عما وصفتُ[(٢)]. ا ـ هـ.

---

(١) وهي من باب فرح: «أي صار شريكا، والمصدر شَرِكٌ بوزن كَتِفٌ».

(٢) قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله معلقاً على كلام الشافعي هذا: وانظر: في معنى هذا الباب من كلام الشافعى ماقاله في كتاب «اختلاف الحديث» بحاشية الجزء السابع من «الأم» ٢-٣٨ وماقاله فـي كتـاب «جـماع العـلم»، قال: «ومن فَقَه كـلام الـشافعى فـي هـذا الباب وجـد أنـه جَمَعَ كل=

وهذه الشروط التي وصفها الإمام الشافعي رحمه الله هي أصل الشروط التى وضعها علماء المصطلح وهي:

١- اتصال السند.

٢- عدالة الرواة.

٣- أن يكون الراوي ضابطاً.

٤- سلامته من الشذوذ وهو مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه.

٥- سلامته من العلة القادحة[١].

وهذه الشروط كلها ذكرها الإمام الشافعى رحمه الله في كلامه السابق وإن لم يرتبها كما رتبها علماء الحديث بعده مما يدل على عظم فهمه لعلم الحديث ولذلك فقد ملأكتبه بالأدلة على حجية السنة والرد على من أنكر حجيتها أو احتج ببعضها وأنكر حجية البعض الآخر.

مايفيد خبر الواحد:

اختلف العلماء في مايفيده خبر الآحاد هل يفيد العلم أم يفيد الظن على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أنه يفيد العلم مطلقا سواء احتفت به قرائن أم لاوهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد ونسبه بعضهم إليه دون ذكر للرواية الأخرى ولعله الصحيح عن الإمام أحمد رحمه الله فقد اشتهر عنه القطع بأحاديث الرؤية والعلم بمدلولها وذلك يحتمل أنها عنده من المتواتر المعنوي لكثرتها ويحتمل أنه يقطع بالآحاد.

= القواعد الصحيحة لعلوم الحديث(المصطلح) وأنه أول من أبان: عنها إبانة واضحة وأقوى من نصر الحديث واحتجّ لوجوب العمل به وتصدّى للرد على مخالفيه وقد صدق أهل مكة وبرّوا، إذ سَمَّوْه «ناصر الحديث» رضى الله عنه. الرسالة ٣٦٩.

(١) انظر: في شروط الحديث اختصار علوم الحديث(١٠).

تدريب الراوي ٢٢

لمحات في أصول الحديث(١١).

والصحيح المشهور عنه القطع بثبوت الحديث متى توفرت فيه شروط الصحة.

قال المروذي(*) قلت لأبي عبدالله: هاهنا إنسان يقول: إن الخبر يوجب عملا ولايوجب علما. فعابه وقال: لاأدري ماهذا.

فإنكاره لهذا القول صريح في أنه يسوي بين العلم والعمل. وقد رجح ابن القيم- رحمه الله- هذه الرواية وضعف الرواية الثانية وأثبت أن مذهب الإمام أن الحديث إذا توفرت فيه شروط الصحة أفاد العلم والعمل[١].

وروي هذا القول عن الإمام مالك[٢] وهو قول ابن حزم[٣].

والحسين الكرابيسى[٤] من أصحاب الإمام الشافعي وهو قول جمهور السلف وأكثر الفقهاء[٥].

القول الثاني:

أنه يفيد الظن مطلقا سواء احتفت به القرائن أم لا وهذا مذهب الأصوليين غالبا وتابعهم عليه بعض متأخري أهل الحديث كالنووي[٦].

القول الثالث:

أن خبر الآحاد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن وهو قول جماعة من أصحاب المذاهب وأهل الأصول واختاره الآمدي[٧].

(*) أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبدالعزيز أبوبكر المروذي المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وقد روى عنه مسائل كثيرة ت٢٧٥ هـ طبقات الحنابلة ١/ ٥٦.

(١) مختصر الصواعق ٣٦٣ والموضوع من ٣٥٥ إلى ٤٤٦.

(٢) المصدر السابق٣٦٣.

(٣) الأحكام ١/ ١٠٧ وانظر: مختصر الصواعق ٤٨٧.

(٤) الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي صدوق فاضل تكلم فيه أحمد لمسألة اللفظ (أي أنه كان يقول لفظي بالقرآن مخلوق)وهذا بدعة جهمية ت (٢٤٨) والتقريب(١٣٣٧).

(٥) انظر: المسودة ٢٤٠ ومختصر الصواعق ٤٨٠.

(٦) تدريب الراوي ١/ ١٣٢ شرح صحيح مسلم١/ ٢٠.

(٧) الأحكام للآمدي ٢/ ٣٢.

قال الشوكاني: واعلم أن الخلاف الذي ذكرناه في أول هذا البحث من إفادة خبر الآحاد الظن أو العلم مقيدٌ بما إذا كان خبرًا واحدًا لم ينضم إليه مايقويه وأما إذا انضم إليه مايقويه أوكان مشهورا أومستفيضا فلا يجري فيه الخلاف المذكور[1]. ا ـ هـ.

فإذا انضم إلى خبر الآحاد مايقويه من القرائن فكثير من العلماء يقول: إنه يفيد العلم.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله والذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملابه يوجب العلم إلا فرقة قليلة اتبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك[2].

وقال الفتوحي: قال ابن عقيل وابن الجوزي والقاضي وأبوبكر بن الباقلاني وابن حامد وابن برهان والفخر الرازي والآمدي وغيرهم يفيد العلم مانقله آحاد الأمة المتفق عليهم إذا تلقي بالقبول.

أما المشهور والمستفيض فمن العلماء من قال: يفيد علما نظريا ومنهم من قال: يفيد القطع[3]. ا ـ هـ.

والظاهر أنه لم ينازع في ذلك أحد من العلماء إلا طائفة قال عنها شيخ الإسلام: إنهم من أهل الكلام وإنما النزاع في خبر الآحاد نفسه هل يفيد العلم أم يفيد الظن على ماسبق ذكره في أول هذا المبحث[4].

وحينئذ فمن الخطأ إطلاق القول بأن خبر الآحاد يفيد العلم أو الظن والصواب أن يحكم على كل خبر بما يليق به من ظن أويقين مما قد تكفل

(١) إرشاد الفحول ٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٤١- ٤٨.

(٣) شرح الكوكب المنير ٢/٢٤٨-٢٤٩.

(٤) انظر في ذلك أصول مذهب الإمام أحمد ٢٦٩-٢٨٦.

به جهابذة العلماء من معرفتهم بعدالة الراوي لكنهم لم يجعلوا ذلك مستندهم دائما بل أضافوا إلى ذلك مايتصل بالخبر من قرائن تقوى أحد الإحتمالين[١].

العمل بخبر الواحد:

أجمع الصحابة رضي الله عنهم وممن بعدهم من التابعين وسلف الأمة على وجوب العمل بخبر الواحد سواء من قال: إنه يفيد العلم أو يفيد الظن ولم يخالف في هذا إلا من لا اعتبار بخلافه كبعض المعتزلة والرافضة[٢].

قال الخطيب البغدادي- رحمه الله-

وعلي العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء المخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار ذلك ولااعتراض عليه[٣].

والعمل به عند السلف شامل لجميع أمور الدين سواء كان الحديث في مسائل العقيدة أم في غيرها من أمور الدين.

وخالفهم أهل الكلام والبدع ففرقوا بين مسائل العقيدة وبقية أمور الدين.

فقالوا: إن أخبار الآحاد لايجوز الأخذ بها في العقائد لأن مبنى العقائد على القطع وأخبار الآحاد ظنية فلا يؤخذ بها وردوا بذلك كثيراً من الأحاديث المثبتة لبعض صفات الله سبحانه وغيرها من مسائل الدين[٤].

أما أهل السنة والجماعة فإنهم لم يفرقوا بين مسائل العقيدة وبين بقية مسائل الدين فكل حديث ثبت عن النبيﷺ قبلوه وعملوا به وحرموا مخالفته.

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوى(٥٥).

(٢) الأحكام للآمدي ٢/ ٦٤، إرشاد الفحول ٤٨-٤٩.

(٣) الكفاية(٧٢).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٩, ٦٧٢.

قال شارح الكوكب المنير:

ويعمل بآحاد الأحاديث في أصول الديانات وحكى ذلك ابن عبدالبر إجماعا(١).

وقال ابن القيم- رحمه الله-

إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب حاصل منها ولايمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر بحيث يحتج بها في أحدها دون الآخر وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن أحد منهم ألبتة أنه جوز الإحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وعن أسمائه وصفاته(٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

اعلمْ أن التحقيق الذي لايجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد الصحيحة كما تقبل في الفروع تقبل في الأصول فما ثبت عن النبيﷺ بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب إثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣) وبهذا تعلم أن ماأطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لاتقبل في العقائد ولايثبت بها شيء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لاتفيد اليقين وأن

---

(١) شرح الكوكب المنير ٢/ ٣٥٢ ولوامع الأنوار البهية ١/ ١٩.

(٢) مختصر الصواعق ٢/ ٤١٢.

(٣) الآية(١١) من سورة الشورى.

العقائد لابد فيها من اليقين باطل لايعول عليه ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبيﷺ بمجرد تحكم العقل[١].

وقد نصر الإمام الشافعي رحمه الله مذهب السلف في العمل بخبر الواحد في جميع مسائل الدين ويدخل في ذلك أمور العقيدة ولم يرد عنه أنه فرق بين أمور العقيدة وبقية المسائل بل روي عنه أنه قال في حديث الرؤية لما سأله سعيد بن أسد ماتقول في حديث الرؤية:

فقال لي: يابن أسد اقض عليَّ حييتُ أومتُّ: أن كل حديث يصح عن رسول اللهﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني)[٢].

فهذا شرط الشافعي رحمه الله في قبول الخبر والعمل به وهو صحته عن رسول اللهﷺ وقد سبق ذكر شروط قبول الخبر عنده، ولم يفرق بين الخبر المتواتر الذي يسميه خبر العامة وبين خبر الآحاد الذي يسميه خبر الخاصة فالكل عنده يفيد العلم ويوجب العمل والإعتقاد.

يقول رحمه الله: فإن قال قائل: اذكر الحجة في تثبيت خبرِ الواحد بنص خبر أو دلالة فيه أو إجماع؟.

فأجاب الشافعي رحمه الله بذكر الأدلة على حجية خبر الآحاد فذكر بسنده حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:(نضّر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها فربَّ حامل فقه غير فقيه وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لايغل[٣] عليهن قلب مسلم إخلاص العمل

(١) مذكرة في أصول الفقه ص(١٠٤-١٠٥).

(٢) المناقب للبيهقي١/ ٤٢١.

(٣) قوله يغل بفتح الياء وضمها، مع كسر الغين فيهما. فالأول من الغِل هو الحقد، والثاني من الإغلال وهو الخيانة،والمراد أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئا من ذلك. انظر الرسالة ٤٠٢.

لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)[1].

قال: فلما نَدبَ رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرَءًا يؤديها، والامْرُؤ واحد. دل على أنه لايأمر أن يؤدى عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدَّى إليه لأنه إنما يؤدَّى عنه حلال وحرام يُجتَنب وحَدٌّ يُقَامُ ومالٌ يُؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا.

ودل على أنه قد يحمل الفقه غير فقيه يكون له حافظا ولايكون فيه فقيها، وأمرُ رسول الله بلزوم جماعة المسلمين مما يحتج به في أن إجماع المسلمين ـ إن شاء الله- لازم. ا ـ هـ.

ثم روى بسنده حديث أبي رافع مولى النبيﷺ قال: قال النبي-ﷺ (لاألفين أحدَكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما نَهيتُ عنه أو أمرتُ به فيقولَ: لاندري ماوجدنا في كتاب الله اتَّبعناه)[2].

قال: وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله وإعلامُهم أنه لازم لهم وإن لَّم يجدوا له نصَّ حكم في كتاب الله وهو موضوع في غير هذا الموضع. ا ـ هـ.

ومن الأدلة التي ذكرها رحمه الله تحول أهل قباء إلى الكعبة بخبر الواحد.

---

(١) الحديث من رواية عبدالله بن مسعود أخرجه الترمذي رقم (٢٧٩٤).
وابن ماجة(١/ ٨٥) ، والإمام أحمد في مسنده(٤١٥٧) بتحقيق أحمد شاكر. والحديث يروى بروايات كثيرة بلغت حد التواتر وقد جمعها الشيخ عبدالمحسن العباد في رسالة سماها: دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي رواية ودراية.

(٢) تقدم تخريجه صـ٩٥.

فروى بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال: (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)(١).

قال: وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالها.

ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله فى القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة ولم يلقوا رسول الله ولم يسمعوا ماأنزل الله عليه في تحويل القبلة فيكونون مستقبلين بكتاب الله وسنة نبيه سماعا من رسول الله ولابخبر عامة وانتقلوا بخبر واحد إذا كان عندهم من أهل الصدق عن فرض كان عليهم فتركوه إلى ما أخبرهم عن النبي أنه أحدث عليهم من تحويل القبلة.

ولم يكونوا ليفعلوه إن شاء الله بخبر إلا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله إذا كان من أهل الصدق.

ولاليحدثوا أيضا مثل هذا العظيم في دينهم إلا عن علم بأن لهم إحداثه ولايدعون أن يخبروا رسول الله بماصنعوا منه ولو كان ماقبلوا من خبر الواحد عن رسول الله في تحويل القبلة وهو فرض مما يجوز(٢) لهم لقال لهم - إن شاء الله- رسول الله قد كنتم على قبلة ولم يكن لكم تركها إلا

---

(١) رواه البخاري في الصلاة ١/ ١٥٧ ومسلم في الصلاة ١/ ١٤٨ وهو في الأم ١/ ٨١.

(٢) يريد الشافعي أن قبول خبر الواحد فرض لايجوز تركه فلوكان قبولهم خبر الواحد عندهم جائز فقط لم يكن لهم أن يتركوا الفرض المتيقن في القبلة وهم في الصلاة وليتحولوا إلى قبلة أخرى بخبر غير متيقن الثبوت يجوز لهم الأخذ به وتركه إذ اليقين لايزول إلا بيقين مثله. الرسالة هامش ٤٠٨ وفي هذا دليل على أن الشافعي رحمه الله يرى أن خبر الآحاد يفيد العلم القطعي.

بعد علـم تقوم عليكم بـه حجة من سماعـكم مني أوخبر عامـة أوأكثر من خبر واحد عني[١]. ا ـ هـ.

ثم ذكر بعض الأحاديث التي تدل علـى وجوب العمل بخبر الآحاد وأنه يفيد العلم القطعي ثم ذكر بعض الحوادث التي تدل على هذا فقال: وبعث رسول الله أبابكر والياً على الحجّ في سنة تسع وحضره الحجٌّ من أهل بلدان مختلفةٍ وشعوب متفرقة فأقام لهم مناسكهم وأخبرهم عن رسول الله بمالهم وماعليهم.

وبعث عليَّ بن أبى طـالب في تلك السنة فقرأ عليهم فـي مجمعهم يوم النـحر آيات من سـورة براءة ونَبَذَ إلـى قوم على سـواءٍ وجعل لهـم مُدَداً ونهاهم عن أمور.

فكان أبوبكر وعليٌّ معروفَيْنِ عند أهل مكة بالفضل والدين والصدق وكان من جهلهما أوأحدهما من الحاجِّ وجد من يخبره عن صدقهما وفضلهما.

ولم يكن رسول الله ليـبعث إلا واحدًا الحجةُ قائمةٌ بخبره عـلى من بعثه إليه ـ إن شاء الله ـ.

وقد فرق الـنبيﷺ عمَّالا عـلى نواحي عرفنـا أسماءهم والمواضـع التي فرقهم عليها.

فبعـث قيس بن عـاصم والزِّبْرِقَـاَن بنَ بَدْرٍ وابن نُـويرة، إلى عشـائرهم بعلمهم بصدقهم عندهم.

وقدم علـيهم وفد البحـرين فعرفوا مـن معه فبعـث معهم ابن سعـيد بن العاص.

---

(١) الرسالة ٤٠١-٤٠٨.

وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن وأمره أن يقاتل بمن(*) أطاعه من عصاه ويعلمهم مافرض الله عليهم، ويأخذَ منهم ماوجب عليهم لمعرفتهم بمعاذ ومكانِه منهم وصدقِه..

وكل من ولي فقد أمره بأخذ ماأوجب الله على من ولاه عليه، ولم يكن لأحد عندنا في أحد ممن قَدِم عليه من أهل الصدق أن يقول أنت واحد وليس لك أن تأخذ منا مالم نسمع رسول الله يذكر أنه علينا(١).ا ـ هـ.

ـ ومن المعلوم أن أعظم مابعث به النبي رسله هو التوحيد كما صرح به في حديث معاذ رضي الله عنه ـ.

قال: وبعث أمراء السرايا وكلهم حاكم فيما بعثه فيه لأن عليهم أن يدعوا من لم تبلغه الدعوة ويقاتلوا من حل قتاله.

وكذلك كلُّ والي بَعَثَهُ أو صاحبِ سَرِيَّة.

ولم يزل يمكنه أن يبعث واليين وثلاثةً وأربعةً وأكثر، وبعث في دهرٍ واحد اثني عشر رسولا إلى اثني عشرَ ملِكاً يدعوهم إلى الإسلام...

قال: ولم تزل كتب رسول الله تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهى ولم يكن لأحد من ولاته ترك إنفاذ أمره ولم يكن ليبعث رسولاً إلا صادقا عند من بعثه إليه.

قال: وهكذا كانت كتب خلفائه بعده وعُمَّالهم وما أجمع المسلمون عليه من أن يكون الخليفةُ واحداً والقاضي واحدًا والأمير واحدًا والإمام.

فاستخلفوا أبابكر ثم استخلفَ أبوبكر عُمَرَ ثم عمر أهل الشورى ليختاروا واحداً فاختار عبدُ الرحمن عثمانَ بن عفانَ.

(*) (قال أحمد شاكر في الأصل من أطاعه ثم إلصق بعضهم باءً بالميم لتكون بمن أطاعه وبذلك ثبتت في سائر النسخ) ومافي الأصل صحيح الرسالة ٤١٦ هامش.

(١) المصدر السابق ٤١٤-٤١٧.

قال: فلـما وجدنا كتابَ آلِ عَـمْرو بن حَزْم أن رسول الله قـال(وفي كل إصبَع ممّا هنالك عَشْر من الإبل) صاروا إليه وكانوا قبله يخالفونه ولم يقبلوا كتاب آل عـمرو بن حزم- والله أعلـم- حتى يثـبت لهم أنه كـتاب رسول الله[1]. ا ـ هـ.

وفي الحديث دلالتان:

أحدهما: قبول الخبر.

والآخر: أن يقـبل الخبر في الـوقت الذي يثـبت فيه وإن لـم يمـض عمل الأئمة بمثل الخبر الذى قبلوا[2].

ودلالة على أنه لومضى أيضا عمل من أحد من الأئمةِ ثم وَجَدَ خبراً عن النبي يخالف عمله لترك عملَه لخبر رسول الله ودلالة على أن حديث رسول الله يَثْبُتُ بنفسه لا بعمل غيره بعده[3].

ثم ذكر رحمه الله أمثلة كثيرة من الكتاب والسنة على وجوب العمل بخبر الآحاد وذكر إجماع الصحابة فمن بعدهم على ذلك وقال:

---

(١) قال أحمد شاكر: وأما كتاب آل عمرو بن حزم فإنه كتاب جليل كتبه النبيﷺ لأهل اليمن وأرسله مع عمروبن حزم ثـم وجد عند بعض آله روه عنه وأخذ الـناس عنهم وقد تكلم العـلماء طويلا في اتصال إسناده وانقطاعـه. والراجح الصحيح عندنا أنه متصل صحـيح. قال وقد أوضحت ذلك في حواشي بعض الكتب.

وساقـه الحاكـم مطولا فـي المسـتدرك ١/ ٣٩٥-٣٩٧ وصـححه ونـقلـه عنه الـسيـوطي فـي الدر المنثور١/ ٣٤٣. ثم ذكر من خرجه، الرسالة ٤٢٣.

وقال ابن عبدالبر: كتاب ابن حزم روي مسنداً من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم: معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد«انظر الموطأ حـ١ (ص١٩٩).

(٢) الرسالة ٤١٧-٤٢٣ بتصرف.

(٣) الرسالة ٤٢٤.

(ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديما وحديثا على تثبيت خبر الواحد والإنتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّتَهُ جاز لي[1]. ا ـ هـ.

والمهم أن الشافعي رحمه الله لايفرق في وجوب العمل بخبر الواحد بين مسائل العقيدة وغيرها من أمورالدين كما هو واضح في الأمثلة التي ذكرها رحمه الله.

حكم من رد خبر الآحاد:

قال الشافعي- رحمه الله-:

فلايجوز عندي على عالم أن يُثْبِتَ خبر واحد كثيراً ويحلَّ ويحرّمَ ويردَّ مثله إلا من جهة أن يكونَ عنده حديثٌ يخالفه أو يكون ماسمع ومن سمع منه أوثق عنده ممن حدثه خلافه أويكون من حدثه ليس بحافظ أويكون متهما عنده أوْ يتهم من فوقه ممن حدثه أو يكون الحديث مُحْتملا معنيين فيتأول فيذهب إلى أحدهما دون الآخر..

فإن لم يسلك واحدًا من هذه السبل فَيُعْذَرَ ببعضها فقد أخطأ خطأ لاعذر فيه عندنا والله أعلم[2]. ا ـ هـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام- رحمه الله- في رفع الملام عشرة أسباب لمخالفة العلماء لحديث النبيﷺ يعذرون ـ إن شاء الله ـ بواحد منها.

فمنها أن لايكون الحديث قد بلغه ومنها أن يكون الحديث قد بلغه ولكن لم يثبت عنده أو اعتقد ضعفه خطأ أو نسيه أو لم يتفطن لدلالته عند الفتيا أو اعتقد أن لا دلالة فيه. أو اعتقد أنه معارض بما يدل على ضعفه أونسخه أو تأويله مما خالفه فيه غيره[3].

---

(١) الرسالة ٤٥٧.

(٢) المصدر السابق ٤٥٩-٤٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى(٢٠/ ٢٣٢).

وانظر للزيادة: مختصر الصواعق ٢/ ٣٧٠ ولوامع الأنوار البهية ١/ ١٩-٢٠.

فبان أن لكل حالة حكمًا، فقد يعذر من اتصف بأحد هذه الأعذار أماغيره ممن لم يتصف بواحد منها كمن أنكر حجية خبر الآحاد أو ترك العمل به تعصبًا فلايعذره، والله أعلم.

موقف الإمام الشافعي - رحمه الله - من التقليد:

عرف العلماء التقليد بأنه قبول خبر الغير بدون حجة(١).

وقد ذم علماء السلف رحمهم الله- التقليد وإنما جوزوه للعامة: قال ابن عبد البر رحمه الله: باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع: وقد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾(٢).

ثم ذكر حديث عدي بن حاتم قال: أتيت رسول اللهﷺ وفى عنقى صليب فقال لي ياعدي الق هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾.

قال: قلت يارسول الله إنا لم نتخذهم أربابًا قال: بلى، أليس يحلون لكم ماحرم عليكم فتحلونه ويحرمون عليكم ماأحل الله لكم فتحرمونه، فقلت بلى فقال تلك عبادتهم)(٣).

ثم ذكر بعض النصوص في هذا المعنى ثم قال: ومثل هذا في القرآن كثير في ذم تقاليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء بهذه الآيات على إبطال التقليد ثم قال: ولقد نظمت في التقليد أبياتاً رجوت في ذلك جزيل الأجر

---

(١) روضة الناظر ٣٤٣.

(٢) الآية٣٢ من سورة التوبة.

(٣) رواه الترمذي في أبواب التفسير في تفسير سورة براءة ٤/ ٣٤١-٣٤٢-وقال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. وغطيف هذا ضعفه ابن حجر في التقريب انظر رقم(٥٣٦٤).

لما علمت أن من الناس من يسرع إليه حفظ المنظوم ويتعذر عليه حفظ المنثور وهي من قصيدة لي:

ياسائلي عن موضع التقليد خذ .·. عنى الجواب بِفهم لبٍّ حاضر
وأصغ إلى قولى وَدِنْ بِنَصيحَتي .·. واحفظ عليّ بوادري ونوادري
لافرق بين مقلد وبهيمه .·. تنقاد بين جنادل ودعاثر
تبا لقَاضٍ أولِمُفْتٍ لايرى .·. عللا ومعنًى للمقال السائر
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة .·. المبعوث بالدين الحنيف الطاهر
ثم الصحابة عند عُدمك سنة .·. فأولاك أهلُ نُهًى وأهل بصائر
وكذاك إجماع الذين يلونهم .·. من تابعيهم كابرًا عن كابر
إجماع أمتنا وقول نبينا .·. مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر(١)

ونقل في ذلك كلام ابن خويز منداد البصري المالكي حيث قال: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه وذلك ممنوع منه في الشريعة، والإتباع ما ثبت عليه حجة.

قال: ثم قال في موضع آخر من كتابه: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه والإتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع(٢).

وقد جمع - رحمه الله- النصوص من الكتاب والسنة على ذم التقليد وجمع أقوال السلف في ذلك ثم قال: وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٠٩-١١٥ بتصرف.
(٢)جامع بيان العلم ٢/ ١١٧.

النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية بعد ماتقدم فأحسن مارأيت من ذلك قول المزني رحمه الله وأنا أورده قال: يقال لمن حكم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فإن قال نعم أبطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لاالتقليد.

وإن قال حكمت فيه بغير حجة قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال وقد حرم الله ذلك إلا بحجة قال الله جل وعز ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾(١). أي من حجة بهذا.

قال: فإن قال أنا أعلم أني قد أصبت وإن لم أعرف الحجة لأني قلدت كبيرا من العلماء وهو لايقول إلا بحجة خفيت عليَّ قيل له إذا جاز لك تقليد معلمك لأنه لايقول إلا بحجة خفيت (عليك جاز لك تقليد معلم معلمك لأنه لايقول إلا بحجة خفيت)(٢) على معلمك كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك فإن قال نعم ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى حتى ينتهي الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ وإن أبى ذلك نقض قوله وقيل له كيف تجوز تقليد من هو أصغر منك وأقل علما ولاتجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما وهذا متناقض.

فإن قال: لأن معلمي وإن كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه إلى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك.

قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمه فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك لأنك جمعت علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمك فإن

---

(١) الآية ٦٨ من سورة يونس.

(٢) مابين القوسين ساقط من الجامع ،وأكملته من إعلام الموقعين(٢/ ١٩٦).

أعاد قوله جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله ﷺ وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والأعلى الأدنى أبدًا وكفى بقول يؤول إلى هذا قبحا وفسادا[1]. ا ـ هـ.

والمزني هذا من كبار تلاميذ الشافعي- رحمه الله-

والذي يفهم من كلام ابن عبدالبر رحمه الله أن السلف يذمون التقليد بل ويحرمونه إذا كان للتعصب رغم وضوح الدليل مع المخالف وفي ذلك يقول (والتقليد أن تقول بقوله وأنت لاتعرفه ولاوجه القول ولامعناه وتأبى من سواه أو أن يتبين لك خطؤه فتتبعه مهابة خلافه وأنت قد بان لك فساد قوله وهذا محرم القول به في دين الله سبحانه)[2]. ا ـ هـ.

وقد سبق كلامه في جواز التقليد للعامي.

وقد فصل شيخ الإسلام- رحمه الله- القول في ذلك فقال: وكذلك المسائل الفرعية من غالية المتكلمة والمتفقهة من يوجب النظر والإجتهاد فيها على كل أحد حتى على العامة وهذا ضعيف لأنه لو كان طلب علمها واجبًا على الأعيان فإنما يجب مع القدرة والقدرة معرفتها من الأدلة المفصلة تتعذر أو تتعسر على أكثر العامة.

وبإزائهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على جميع من بعد الأئمة علمائهم وعوامهم.

ومن هؤلاء من يوجب التقليد بعد عصر أبي حنيفة ومالك مطلقاً.

---

(١) جامع بيان العلم ١١٦-١١٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٧.

ثم هل يجب على كل واحد اتباع شخص معين من الأئمة يقلده في عزائمه ورخصه؟ على وجهين.

وهذان الوجهان ذكرهما أصحاب أحمد والشافعي، لكن هل يجب على العامي ذلك؟

والذى عليه جماهير الأمة أن الإجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة.

لايوجبون الإجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ولايوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الإجتهاد وأن الإجتهاد جائز للقادر على الإجتهاد والتقليد جائز للعاجز عن الإجتهاد فأما القادر على الإجتهاد فهل يجوز له التقليد؟

هذا فيه خلاف والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الإجتهاد إما لتكافؤ الأدلة وإما لضيق الوقت عن الإجتهاد وإما لعدم ظهور دليل له.

فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ماعجز عنه وانتقل إلى بدله وهو التقليد كما لوعجز عن الطهارة بالماء.

وكذلك العامي إذا أمكنه الإجتهاد في بعض المسائل جازله الإجتهاد فإن الإجتهاد منصب يقبل التجزي والإنقسام فالعبرة بالقدرة والعجز.

وقد يكون الرجل قادراً في بعض عاجزاً في بعض، لكن القدرة على الإجتهاد لاتكون إلابحصول علوم تفيد معرفة المطلوب، فأما مسألة واحدة من فن فيبعد الإجتهاد فيها والله سبحانه أعلم[1]. ا ـ هـ.

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٣-٢٠٤.

هذا ملخص مذهب السلف في هذه المسألة توسعت فيها بعض الشيء لأهميتها وسوف أذكر بعد ذلك إن شاء الله تعالى رأي الإمام الشافعي في ذلك.

قال الشافعي- رحمه الله- في بيان حال الناس بالنسبة إلى الحديث: ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر عن رسول اللهﷺ تفرّقا متباينا.

فتفرق غيرهم ممن نسبته العامة إلى الفقه فيه تفرقا أمابعضهم فقد أكثر من التقليد والتخفيف من النظر والغفلة والإستعجال بالرياسة(١).

وقال - رحمه الله- وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم(٢).

فالذي يُفهم من هذين النصين أن الشافعي- رحمه الله-يذم التقليد ويعيبه.

لأنه يؤدي إلى رد النصوص الشرعية الثابتة.

ولأنه يؤدي إلى عدم تدبر الكتاب والسنة والغفلة عنهما وقد يكون سبب ذلك عند بعض الناس حب الرياسة، وقد اشتهرت عنه أقوال في ذم التقليد منها:

(كل ماقلت وقال النبيﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبيﷺ أولى ولاتقلدوني(٣)) وقال(إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللهﷺ فقولوا بسنة رسول اللهﷺ ودعوا ماقلت)(٤).

وقال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)(٥).

---

(١)جماع العلم ١٢.

(٢) الرسالة ٤٢.

(٣) المناقب ١/ ٤٧٣ آداب الشافعي ٦٧ ، ٦٨ الحلية ٩/ ١٠٦-١٠٧

(٤) المناقب ١/ ٤٧٢ توالي التاسيس ٦٣.

(٥) انظر: رسالة السبكي في معنى هذه الكلمة في مجموعه الرسائل المنيرية ٣/ ٩٨.

وقد اتهم الشافعي رحمه الله كغيره من أهل السنة والجماعة أنه ماترك التقليد إلا للدنيا فقال: يقولون: إني إنما أخالف أبافلان رحمه الله للدنيا وكيف يكون ذلك والدنيا معهم؟ وإنما يريد الإنسان الدنيا لبطنه وفرجه وقد مُنِعْتُ ما ألَذُّ من المطاعم ولاسبيل إلى النكاح يعني: ـ لعلة البواسير ـ.

ولكن لست أخالفه إلا لخلافه سنن رسول الله ﷺ(١).

ولذلك قال تلميذه المزني الذي نقلت كلامه في بداية هذا المبحث وهو في مناظرة المقلد.

قال في أول مختصره الذي أخذه من فقه الشافعي: اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه. وبالله التوفيق(٢).

وبهذا يتضح لنا مذهب الشافعي- رحمه الله- في ذم التقليد وفي حرصه على متابعة السنة ونهيه عن تقليد نفسه وعن تقليد غيره وهو ماكان عليه سلف الأمة رحمهم الله(*).

الأصل الثالث: تعظيمه لفهم الصحابة واتباعه لهم-رضي الله عنهم- سبق عند ذكر منهج السلف في إثبات العقيدة بيان مكانة الصحابة عند سلف الأمة وأنهم عندهم بالمكان العالي والمنصب الرفيع وأنهم قدوتهم في دينهم

(١) المناقب ١/ ١٧٢.

(٢) مختصر المزني ص١ مطبوع مع كتاب الأم للإمام الشافعي.

(*) ـ وقال رحمه الله: ـ من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته ومن غلط فتركها خالفته. صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول الله ﷺ وإن بعد والذي أفارق لم يقبل سنة رسول الله ﷺ وإن قرب. المناقب ١/ ٤٨٥.

ودنياهم والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أهل لكل ذلك فهم كما وصفهم عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: يأيها الناس من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[١].

وقال حذيفة- رضي الله عنه(يامعشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا)(*).

وقال الإمام أحمد: (أصول السنة عندنا التمسك بماكان عليه أصحاب رسول الله ﷺ)[٢].

وعلى هذا سار الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

فقد قال رحمه الله في جواب من سأله عن أقاويل الصحابة إذا تفرقوا فيها:

نصير منها إلى ماوافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أوكان أصحَّ في القياس قال المناظر: أفرأيت إذاقال الواحد منهم القول لايُحفظ عن غيره منهم فيه له موافقة ولاخلافا أتجد لك حجةً باتباعه في كتاب أوسنة أو أمر أجمعَ الناسُ عليه فيكونَ من الأسباب التي قلتَ بها خبراً؟

(١) جامع بيان العلم ٢/ ٩٧، درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٦٩.
(٢) جامع بيان العلم ٢/ ٩٧، منهاج السنة ٦/ ٨١.
(*) ذكره شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة ٥/ ٨١ وسكت عنه محققه. ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه في الابانة لابن بطة ١/ ٣٣٢.

قلت له: ماوجدنا في هذا كتابا ولاسنةً ثابتةً ولقد وجدنا أهل العلم يأخذون بقول واحدهم مرة ويتركونه أخرى ويتفرقوا في بعض ماأخذوا به منهم.

قال: فإلى أي شيء صِرْتَ مِنْ هذا؟.

قلت: إلى اتباع قول واحد إذا لم أجد كتابا ولاسنة ولاإجماعا ولاشيئا في معناه يُحكم له بحكمه أوْ وًجد معه قياس.

وقلَّ مايُوجد من قول الواحد منهم لايخالفُه غيره من هذا[1]. ا ـ هـ.

وقال رحمه الله

ماكان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أوواحد منهم ثم كان قول الأئمة أبي بكر أو عمرأو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا وذلك إذالم نجد دلالة في الإختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة فنتبع القول الذي معه الدلالة لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس ومن لزم قوله الناس كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر وقد يأخذ بفتياه أويدعها وأكثر المفتين يفتون للخاصه في بيوتهم ومجالسهم ولاتعنى العامة بماقالوا عنايتهم بما قال الإمام وقد وجدنا الأئمة يبتدئون فيسألون عن العلم من الكتاب والسنة فيما أرادوا أن يقولوا فيه ويقولون فيخبرون بخلاف قولهم فيقبلون من المخبرولايستنكفون على أن يرجعوا لتقواهم الله، وفضلهم في حالاتهم فإذا لم يوجد عن أحد الأئمة، فأصحاب رسول الله ﷺ من الدين في موضع أخذنا بقولهم وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع من بعدهم.

والعلم طبقات شتى.

الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة.

---

(١) الرسالة ٥٩٦-٥٩٨.

الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولاسنة.

الثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبيﷺ ولانعلم له مخالفا منهم.

الرابعة: اختلاف أصحاب النبيﷺ في ذلك.

الخامسة: القياس على بعض الطبقات ولايصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان وإنما يؤخذ العلم من أعلى[١]. ا ـ هـ.

ومما يدل على اتباعه للصحابة رضي الله عنهم وتعظيمه لفهمهم ماذكره البيهقي من كلام الشافعي- رحمه الله- في الرسالة القديمة رواية الحسن بن محمد الزعفراني حيث يقول الشافعي:

وقد أثني الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول اللهﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول اللهﷺ من الفضل ماليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنَّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين هم أدَّوْا إلينا سنن رسول اللهﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ماأراد رسول اللهﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادًا وعرفوا من سنته ماعرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا، والله أعلم.

وقال: ومن أدركنا ممن نرضى أوحُكي لنا عنه ببلدنا وصاروا فيما لم يعلموا لرسول اللهﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا وقول بعضهم إن تفرقوا فهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم وإن قال واحدهم ولايخالفه غيره أخذنا بقوله[٢]. ا ـ هـ.

---

(١) الأم ٧/ ٢٦٥.
وانظر نحوه عن الإمام أحمد في إعلام الموقعين ١/ ٣٠ ـ ٣١.

(٢) مناقب البيهقي١/ ٤٤٣ ومناقب الرازي٤٩.
وانظر: منهاج السنة٦/ ٨١ ودرء تعارض العقل والنقل٥/ ٧٣.
وإعلام الموقعين(١/ ٨٠).

ومعلوم أن أعظم ما يتابع فيه الصحابة رضي الله عنهم مسائل العقيدة فمتابعتهم أولى بالمسلم من متابعة أي أحد فتدبر.

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً ولا ضربوا لها أمثالاً ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمرًا واحدًا وأجروها على سنن واحد ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه[١].

الأصل الرابع: مجانبة أهل الأهواء والبدع والكلام وذمهم:

الهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه.

قال الله عز وجل ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[٢].

معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل.[٣]

وقال الراغب: الهوى ميل النفس إلى الشهوة.

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٤٩.

(٢) الآية ٤٠ من سورة النازعات.

(٣) اللسان ١٥/ ٣٧٢.

ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة.

وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية...

وقد عظم الله ذم اتباع الهوى فقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾(١).

وقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾(٢).

فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيهاعلى أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل واحد لا يتناهى فإذا اتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة(٣). ا ـ هـ.

والبدعة، لغةً: اسم من الإبتداع يقال: بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه أنشأه وبدأه والبدع: الشيء الذي يكون أولاً.

وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾(٤).

أي ما كنت أول من أرسل، بَلْ أرسل قبلي رسل كثيرون.

والبدعة الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال.

وبدعه نسبه إلى البدعة والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها(٥). ا ـ هـ.

وقال الشاطبي -رحمه الله ـ :

وأصل مادة بدع للإختراع على غير مثال سابق ومنه قول الله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٦).

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

(٢) الآية ١٤٥ من سورة البقرة.

(٣) المفردات ٥٤٨.

(٤) الآية ٩ من سورة الأحقاف.

(٥) اللسان ٩/ ٣٥١.

(٦) الآية ١١٧ من سورة البقرة.

أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم. . . . .

ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق[(١)]. ا ـ هـ.

أما البدعة في الاصطلاح فيعرفها الشاطبي بقوله:

طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[(٢)]. ا ـ هـ.

وهذا التعريف من أشمل وأحسن التعاريف للبدعة.

ولاشك أن علم الكلام من البدع في الدين وإنما عطف عليها (في عنوان الأصل الرابع) للتنبيه عليه لأن كثيراً من طلاب العلم وأشباههم خدعوا ودلس عليهم حتى عدّوه من الدين وتركوا من أجله نصوص الكتاب والسنة.

ولاشك أن الإبتداع ينافي الاتباع الواجب وقد سبق بيان مذهب أهل السنة والجماعة في وجوب الإتباع والتحذير من الإبتداع وفي ذم البدع وأهلها.

وقد تعلق بعض المبتدعة بكلمة للإمام الشافعي في تقسيم البدعة فصاروا يحدثون في دين الله ويستدلون بقول الشافعي وأنه يقسم البدع إلى قسمين بدعة حسنة وبدعة ضلالة والمتدبر لقول الإمام الشافعي رحمه الله يجزم بخطأ المبتدعة في ذلك لأن الإمام الشافعي من أشد الناس في متابعة السنة وإليك كلامه لترى ذلك جليا واضحاً:

قال رحمه الله: المحدثات من الأمور ضربان.

أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنةً أو أثرًا أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة.

---

(١) الإعتصام ١/ ٣٦.

(٢) الإعتصام ١/ ٣٧.

الثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة.

وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: (نعمت البدعة هذه)[١] يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد للماضي[٢]. ا ـ هـ.

وفي رواية البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة.

فما وافق السنة فهو المحمود وما خالف السنة فهو المذموم[٣]. ا ـ هـ.

واحتج بحديث عمر السابق.

وهذا الكلام من الشافعي رحمه الله كلام موافق لما دلت عليه النصوص من أن الأصل متابعة الكتاب والسنة وأن ذلك هو السنة وما عداه مما خالف الكتاب والسنة فهو بدعة واحتجاجه بحديث عمر هذا دليل على ما أراد فإن التراويح كما هو معلوم ليست بدعة في الدين وقد صلى النبى ﷺ بأصحابه جماعة ثم ترك الخروج مخافة أن تفرض عليهم فلما توفي ﷺ وأمن عمر من فرضها عليهم بانقطاع النبوة بعده ﷺ أعاد الناس على ماكانوا عليه في زمن النبي ﷺ وهذا ليس بدعة شرعية وإن سميت بذلك فالمراد به المعنى اللغوي ولذلك قال الشافعي: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الحد الذي يجب وكل متكلم على غير أصل الكتاب والسنة فهو هذيان[٤]. ا ـ هـ.

وقال: (لا يجمل العلم ولا يحسن إلا بثلاث خلال تقوى الله وإصابة السنة والخشية)[٥]. ا ـ هـ.

فهو في كل ما روي عنه يشترط متابعة السنة ومعلوم أن البدعة ضد السنة فكيف تكون حسنة وأصلها فاسد مخالف لسنة النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التراويح باب فضل من قام رمضان ٢/٧٠٧.

(٢) مناقب البيهقي ١/٤٦٩.

(٣) حلية الأولياء ٩/١١٣ والباعث على إنكار البدع (١٥).

(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤٧٠.

(٥) المصدر السابق ٢/١٤٨.

وكيف يصح أن يسمع الإمام الشافعي قول النبي ﷺ (وكل بدعة ضلالة)[١] فيخالفه وهو ناصر السنة والذاب عن الآثار وهذا غير ممكن من إمام مثله وكلامه السابق يدل على حرصه على متابعة السنة فيكون كلامه والله أعلم أن كل ما أحدث بعد النبي ﷺ فهو بدعة لغة فإن وافق الكتاب والسنة فلا مضرة به وإن سمي بدعة وإن خالفها فهو بدعة لغة وشرعاً فيكون مذموماً مردوداً والله أعلم.

وهذا هو القول الحق ـ إن شاء الله ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة بل سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله في الجماعة. فإنه قال: (إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه)[٢] ولاصلاتها جماعة بدعة بل هي سنة في الشريعة... وأكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية.

وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي.... فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد وعلى إمام واحد مع الأسراج عملا لم يكونوا يعملونه من قبل فسمي بدعة لأنه في اللغة يسمى بذلك ولم يكن بدعة شرعية لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الإفتراض وخوف الإفتراض زال بموته ﷺ فانتفى المعارض[٣]. ا ـ هـ.

وبهذا نعلم صحة كلام الإمام الشافعي - رحمه الله - وأنه لا مستمسك فيه لأهل البدع أبداً.

---

(١) قطعه من حديث العرباض بن سارية أخرجه الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود في السنن رقم ٦٤٠٧ والترمذي رقم ٢٦٧٦ وقال حسن صحيح وابن ماجة رقم ٤٢-٤٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ١٩١ وصححه أحمد شاكر ٣/ ١٢٧ ورواه ابن ماجه ١٣٢٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٨ - ٥٩١ بتصرف.

هذا ملخص كلامه رحمه الله في أهــل الأهواء والبدع وسوف أفرد لموقفه من بعض الفرق فصلا في آخر هذه الرسالة إن شاء الله[١].

رأي الأمام الشافعي في شهادة أهل الأهواء والبدع:

قال -رحمه اللـه - : ذهب الناس من تأويل القـرآن والأحاديث أو من ذهب منهم إلى أمور اختلفوا فيها فتبايـنوا فيها تبايناً شديداً. . واستحل فيها بعضهم من بعض ما تطول حكايته وكان ذلك منهم متقادماً. منه ما كان في عهد السلف وبعدهم إلى اليوم.

فلم نعلم أحداً من سلف هذه الأمة يـقتدى به ولا من التابعين بعدهم رد شهادة أحد بتأويل وإن خطأه وضلله ورآه استحل فيه ما حرم عليه.

ولا رد شهادة أحد بـشيء من التأويل كان لـه وجه يحتمله وإن بـلغ فيه استحلال الدم والمال أو المفرط من القـول وذلك أنا وجدنا الدماء أعظم ما يعصى الله تـعالى بها بعد الـشرك ووجدنا متأولـين يستحلونهـا بوجوه وقد رغب لهم نظراؤهم عـنها وخالفوهم فيها ولم يردوا شـهادتهم بما رأوا من خلافهم فكل مستحل بتأويل من قول أو غيره فشهادته ماضية لاترد من خطأ في تأويله.ا ـ هـ.

ثم بين من ترد شهادته من هؤلاء فقال:

إلا أن يكون منهم من يعرف باستحلال شهادة الزور على الرجل لأنه يراه حلال الدم أو حلال المال فترد شهادته بالزور[٢].ا ـ هـ.

وقد مثل رحـمه الله على هذا القـسم بالرافضة فقال (لـم أرَ أحدًا أشهد بالزور من الرافضة)[٣].

---

(١) انظر موقفه من الفرق في الفصل الثاني من الباب الخامس.

(٢) الأم ٦/ ٢٠٥ - ٢٠٦ بتصرف.

(٣) آداب الشافعي ١٨٧، ومناقب البيهقي ١/ ٤٦٨، والسنن الكبرى ١٠/ ٢٠٨.

وقال (أجيز شهادة أهل الأهواء كلهم إلا الرافضة فإنهم يشهد بعضهم لبعض)[١].

فعلى هذا فالشافعي رحمه الله يشترط لقبول شهادة أهل الأهواء أن يكونوا عدولاً في أنفسهم وإن حصل منهم بعض المخالفات إذا كانوا متأولين لذلك. أما من اشتهر بعدم العدالة في نفسه أو كان من فرقة تستجيز الكذب فهو لا يقبل شهادتهم ويعلل ذلك بقوله:-

وأيهم سلم من هذا - الكذب - أجزت شهادته وشهادة من يرى الكذب شركا بالله أومعصية له يوجب عليها النار أولي أن تطيب النفس عليها من شهادة من يخفف المأثم عليها[٢].

هجر المبتدع عند الإمام الشافعي:

حذر السلف - رحمهم الله - من مجالسة أهل البدع والأهواء وأوجبوا هجرهم وأخرجوهم من مجالسهم.

وقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنها أنه قال لحميد بن عبدالرحمن ويحيى بن يعمر (إذا لقيت أولئك - القدرية- فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني)[٣]الحديث.

وقد سبق بعض كلام السلف -رحمهم الله - في ذلك عند الحديث عن منهجهم في إثبات العقيدة.

وقد روى الدارمي في سننه عن أبي قلابة قال:

(لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[٤].

---

(١) المصادر السابقة ص ١٨٩، ١/٤٦٨، ١٠/٢٠٩ حسب الترتيب.

(٢) الأم ٦/٢٠٦.

(٣) تقدم تخريجه انظر ص ٦٤.

(٤) الدارمي ١/١٠٨.

وروى عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)[١].

وعن الحسن قال: (لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك)[٢].

وهذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي -رحمه الله- بل قد روي أن سبب تركه بغداد وهجرته إلى مصر ظهور المعتزلة ببدعهم وتسلطهم على الناس وقد كانت الدولة خاضعة لهم ومن أقواله رحمه الله في هجر المبتدعة قوله (ما ناظرت أحدا علمت أنه مقيم على بدعة)[٣].

قال البيهقي: وهذا لأن المقيم على البدعة قلما يرجع بالمناظرة عن بدعته وإنما كان يناظر من يرجو رجوعه إلى الحق إذا بينه له وبالله التوفيق[٤].

وقال الربيع: رأيت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون في شيء من الكلام فصاح وقال: إما أن تجاورونا بخير وإما أن تقوموا عنا)[٥].

وقد كفَّر رحمه الله بعض هؤلاء المبتدعة كمن قال بخلق القرآن.

قال الربيع: لما كلم الشافعي رحمه الله حفص الفرد.

فقال حفص: القرآن مخلوق.

قال الشافعي: كفرت بالله العظيم[٦].

---

(١) المصدر السابق ١/ ١١٠.

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح ٤٧.

(٣) مناقب البيهقي ١/ ١٧٥.

(٤) مناقب البيهقي (١/ ١٧٥).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٥٩) وآداب الشافعي (١٨٤).

(٦) مناقب البيهقي (١/ ٤٠٧).

وقد دخل عليه حفص هذا وهو في سكرات الموت فأغمي عليه ثم أفاق فجعل يسأله رجل بعد رجل فيقول : من أنا، فيقول: أنت فلان ابن فلان.

فقال له حفص: من أنا؟

فقال: أنت حفص لا حفظك الله إلا أن تتوب[١].

ودخل عليه بعض المبتدعة القدرية ليكتب له الشافعي وصيته فأراد الشافعي أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم

فقال الرجل ليس هكذا أريد ولكن اكتب: إن أتى على ريب من الزمان

فلما ابتدأ الكلام رفسه الشافعي برجله فألقاه على ظهره ثم قال: قم يا زنديق[٢].

وقد جعل الشافعي رحمه الله علامة الإيمان متابعة السنة وعلامة البدعة مخالفة السنة ولم ينظر إلى ما سوى ذلك مما يدلس به المبتدعة على الناس بما يظهرونه من شعوذة ودجل ويسمونه كرامة.

وعن يونس بن عبدالأعلى قال: قلت لمحمد بن إدريس الشافعي قال صاحبنا الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته.

فقال الشافعي: أما إنه قصر.

لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته[٣]. ا ـ هـ.

وصدق من قال:

---

(١) مناقب البيهقي (١/ ٤٧٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٧٠) ومعنى الكلام ـ والله أعلم ـ أن القدري فهم من ابتداء الشافعي بالبسملة أنه سيكتب كما يكتب أهل السنة من أن الموت مقدر والشر مقدر والخير مقدر هو يرى أن الشر ليس بقدر الله ولذلك نسبه إلى الزمن.

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٧٠).

إذا رأيت شخصا قد يطير وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف على حدود الشرع فإنه مستدرج وبدعي

حكم علم الكلام عند الإمام الشافعي -رحمه الله-

سبق أن ذكرت تعريف علم الكلام وموقف السلف رحمهم الله منه ومن أهله)(*).

وقد نقل ابن عبدالبر -رحمه الله- الإجماع على ذم علم الكلام حيث قال:

(أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم). ا ـ هـ.

ونقل عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري المالكي أنه قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم وذكر كتباً ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك. قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك. ا ـ هـ.

وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعرى ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها. ا ـ هـ.

(*) انظر ص ٧٤.

قال أبو عمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه[1]. ا ـ هـ.

وقد سبق كلام أبى حنيفة رحمه الله في ذم الكلام وأهله مما يدل دلالة واضحة على تحريمه وعموم النهي عنه فيدخل فيه جميع الفرق التي تسير على علم الكلام في إثبات العقيدة وإن نسبت نفسها إلى أهل السنة كالأشاعرة والماتريدية.

وقد روي عن الإمام الشافعي -رحمه الله - ما يوافق ما ذهب إليه السلف في ذم الكلام وأهله فمن ذلك قوله (لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه الله بالكلام)[2].

وفي رواية (لأن يلقى الله العبد بذنوب مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه وكان يقول بخلق القرآن)[3](يعني حفصاً الفرد).

وقال رحمه الله (من ارتدى بالكلام لم يفلح)[4].

وقال: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويجعلوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)[5].

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ٩٥-٩٦ بتصرف.
(٢) آداب الشافعي ١٨٢، ومناقب البيهقي ١/ ٤٥٤.
(٣) مناقب البيهقي ١/ ٤٥٤ وانظر: للزيادة الأمر بالإتباع والنهي عن الإبتداع للسيوطي (٧١).
(٤) آداب الشافعي ١٨٦، واللالكائي ١/ ١٤٦، والبيهقي ١/ ٤٦٣.
(٥) البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٨ وابن عبدالبر في الإنتقاء (٨٠).
وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٦ والبيهقي في المناقب ١/ ٤٦٢.

وقال المزني: دار بيني وبين رجل مناظرة فسألني عن كلام كاد أن يشككني في ديني فجئت إلى الشافعي فقلت له: كان من الأمر كيت وكيت قال:

فقال لي: أين أنت فقلت أنا في المسجد فقال لي أنت في مثل تاران(*) تلطمك أمواجه هذه مسألة الملحدين والجواب فيها كيت وكيت ولأن يبتلى العبد بكل ما خلق الله من مضاره خير له من أن يبتلى بالكلام)[١].

وقد كان يسمى علماء الكلام بالضلال.

كما روى ذلك عنه عبد الله بن صالح كاتب الليث قال: كنا عند الشافعي في مجلسه فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن علية وكان من غلمان أبي بكر الأصم وكان مجلسه بمصر عند باب الضوال فلما قرأناه عليه جعل يحتج بإبطاله فكتبنا ما قال ابن عليه وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه الشافعي وتكلم بإبطال ما قاله ابن علية وقال: ابن علية ضال قد جلس عند باب الضوال يضل الناس[٢].

وقد حاول بعض أهل الكلام وبعض من تأثر بهم تأويل كلام الشافعي السابق حتى يخرجوا بما هم عليه من بدع من ذم الشافعي رحمه الله للكلام وأهله ومنهم البيهقي حيث قال بعد روايته لتكفير الشافعي -رحمه الله- لحفص الفرد قال: وهذه الروايات تدل على مراده بما أطلق عنه فيما تقدم - يعني في ذم الكلام على العموم - وفيما لم يذكرها هنا.

وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموما عنده وقد تكلم فيه وناظر من ناظره فيه وكشف عن تمويه من ألقى إلي سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئا مما هم فيه[٣].

(*) تاران موضع في البحر الأحمر شديد الموج تغرق فيه السفن كثيراً، معجم البلدان (٢/ ٦) ويقال فيه غرق فرعون وقومه.

(١) مناقب البيهقي ١/ ٤٨٥

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٥٧.

(٣) المناقب (١/ ٤٥٤-٤٥٥).

وقال في موضع آخر : عند قول الإمام الشافعي (من ارتدى بالكلام لم يفلح) قال:

وإنما يعني ـ والله أعلم - كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة وجعلوا معولهم عقولهم وأخذوا في تسوية الكتاب عليها وحين حملت السنة إليهم بزيادة بيان لنقض أقاويلهم - اتهموا رواتها وأعرضوا عنها.

قال: فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالاً لمذهب من زعم أنه غير مستقيم على العقل[1].

وذكر في موضع آخر سبباً آخر في ذم الشافعي لعلم الكلام فقال: فحين شاهد الشافعي هذا وأمثال ذلك من تسلط المعتزلة على الدولة وإجبارهم الناس لاعتناق مذهبهم وأحس ببعض ما كان وراء ذلك مع كراهيته وكراهية أمثاله من أهل الورع الدخول على السلاطين والإختلاط بهم استحب لأصحابه ترك الخوض فيه.

لئلا يدعو إلى مجالسهم للمناظرة فيه ولكيلا يكون ذلك سبباً لمحنتهم ولهذا قال لأبي يعقوب البويطي -رحمه الله - أما أنت يا أبا يعقوب فستموت في حديدك فكان كما تفرس وذلك لأنه كان شديداً على أهل البدع ذابا بالكلام عن أهل السنة.

ثم ذكر بعض من امتحن في الفتنة كالإمام أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزاعي والمزني وغيرهم ثم قال:

وفي كل ذلك دلالة على أن استحباب من استحب من أئمتنا ترك الخوض في الكلام إنما هو للمعنى الذي أشرنا إليه وأن الكلام المذموم إنما هو كلام أهل البدع الذي يخالف الكتاب والسنة.

---

(١) مناقب البيهقي (١/ ٤٦٣).

فأما الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة وبين بالعقل والعبرة فإنه محمود مرغوب فيه عند الحاجة تكلم فيه الشافعي وغيره من أئمتنا رضي الله عنهم عند الحاجة كما سبق ذكرناله[١].

هذا ملخص كلام البيهقي وهو يدور حول أمرين:

الأمر الأول: أن المذموم كلام المبتدعة البعيد عن الكتاب والسنة وهم عند البيهقي المعتزلة الذين ظهروا أيام الرشيد ومن بعده والرافضة والقدرية.

الأمر الثاني: أن النهي ليس لعلة في نفس الكلام وإنما خوفا من أن يشتهر الرجل به فيدعى للدخول على السلاطين وقد يمتحن كما امتحن أمثال الإمام أحمد والبويطي وغيرهما.

والملاحظ أن البيهقي خلط بين علم التوحيد القائم على الكتاب والسنة وبين علم الكلام الذي بني أساسه على الفلسفة وخلطه أربابه بشيء من الشرع ليروج على أشباه طلاب العلم فلذلك لما وجد كلاما للشافعي في التوحيد مع نهيه الثابت عن علم الكلام جمع بينهما بهذا الجمع السابق.

وذكر الرازي كلاماً كثيراً في هذا الموضوع وجمع بعض أقوال الشافعي المتعارضة في رأيه وهي كيف يتكلم في التوحيد والأصول ويجادل ويدافع ثم نراه يذم الكلام وأهله لأن الرازي لا يرى طريقاً إلى الله وتوحيده وإلى معرفة الأنبياء إلا بالطرق التي رتبها أهل الكلام فحاول الجمع بينها فقال:

وطريق ذلك أن نحمل طعن الشافعي فى علم الكلام على تأويلات:

---

(١) المناقب للبيهقي ٤٦٥ - ٤٦٧ باختصار.

التأويل الأول: أن الفتن العظيمة وقعت في ذلك الزمان بسبب خوض الناس في مسألة القرآن. وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق. ولم يلتفتوا إلى دلائل المحققين فلما عرف الشافعي أن البحث في هذا العلم ما كان في ذلك الزمان لله وفي الله بل لأجل الدنيا والسلطنة لا جرم تركه وأعرض عنه وذم من اشتغل به.

التأويل الثاني: أن الذم العظيم المنقول عن الشافعي للكلام يجب صرفه إلى الكلام الذي كان أهل البدع ينصرونه ويعولون عليه وهذا عين كلام البيهقى السابق.

ثم زاد الرازي تأويلاً ثالثاً فقال:

لعله كان من مذهبه - الشافعي- أن الإكتفاء بالدلائل المذكورة في القرآن واجب وأن الزيادة عليها والتوغل في المضائق التي لا سبيل للعقل إلى الخوض فيها: غير جائز. فلهذا السبب بالغ في ذم من حاول الخوض في تلك الدقائق ا ـ هـ. ثم بدأ بذكر أدلته على هذا التأويل وذكر محاجة إبراهيم لقومه فقال: فكل من نصر علم الأصول وقرر دلائل التوحيد كان على مذهب إبراهيم الخليل واستوجب التعظيم المذكور في قوله ﴿**وتلك حجتنا**﴾[1]. وكل من أنكر علم الأصول وأصر على التقليد ومتابعة الأسلاف كان على دين آزر والد إبراهيم ومتبعا لطريقته في الجهل والضلال[2].

وممن ذهب هذا المذهب في تأويل كلام الشافعي رحمه الله في ذم الكلام، ابن عساكر فإنه قال في تبيينه:

---

(١) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

(٢) مناقب الشافعي ١٠٠ - ١٠٦.

فإن قيل غاية ما تمدحون به أبا الحسن الأشعري أن تثبتوا أنه متكلم وتدلونا على أنه بالمعرفة برسوم الجدل متوسم ولا فخر في ذلك عند العلماء من ذوي التسنن والإتباع لأنهم يرون أن من تشاغل بذلك من أهل الإبتداع وقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين وذم الكلام ولو لم يذمهم غير الشافعي رحمه الله لكفى فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح حالهم وشفى وأنتم تنتسبون إلى مذهبه فهلا اقتديتم في ذلك به.

ثم بدأ يروي بعض كلام السلف ومنهم الشافعي في ذم الكلام ونقل تأويل البيهقي لهذه النصوص وهو أنهم يريدون كلام أهل البدع أما أهل السنة فإنهم قلما يخوضون في الكلام حتى اضطروا إليه ثم قال: وتحتمل وجها آخر وهو أن يكون المراد بها أن يقتصر على علم الكلام ويترك تعلمْ الفقه الذي يتوصل به إلى معرفة الحلال والحرام ويرفض العمل بما أمر بفعله من شرائع الإسلام ويلتزم فعل ما أمر به الشارع وترك ما نهى عنه من الأحكام ثم روى بعض الآثار في هذا المعنى فأخذ ما وافق قوله وأول ما خالفه ثم قال: وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك طرق أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر والناس أعداء ما جهلوا فلما انتهى عن التحقيق بهذا العلم نهى الناس ليضل كما يضل.

أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمي عليهم فضائح عقيدته ويعلم أن أهل التحصيل من النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم ويظهرون للناس قبح مقالاتهم والقلاب(*) لا يحب من يميز النقود والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة

(*) لعله يعني المحتال الذي يغش في النقود فهو لا يحب الصراف الحاذق لأنه يكشف غشه وحيلته قال في اللسان: ورجل قُلَّبٌ يتقلب كيف يشاء وقولهم هو حُوَّلٌ قُلَّبٌ أي محتال ا هـ. (١/ ٦٨٥).

- كالصراف ذي التمييز والبصيرة وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾ (١) (٢) .

هذا بعض كلام بعض من أول كلام الشافعي في ذم علم الكلام ويمكن أن نلخصه في التأويلات الآتية :

الأول: أن الذم خاص بكلام المبتدعة وهم المعتزلة والرافضة والقدرية والخوارج ولا يدخل فيه كلام غيرهم ممن نسب نفسه إلى السنة كالأشعرية ونحوهم .

الثاني: أن الذم لمن اتخذ من الكلام وسيلة إلى التقرب إلى السلطان فصار يطلبه لغير الله ويجادل للمناصب .

الثالث: أن الأئمة خافوا على تلاميذهم أن يشتهروا بعلم الكلام فيوصلهم ذلك إلى الإمتحان عند السلاطين الذين غلب عليهم أهل الأهواء والبدع .

الرابع: أن يكون المراد أن يقتصر على علم الكلام ويترك تعلم الفقه وهو علم الحلال والحرام فلا يلتزم بما أمر الله به ولا يترك ما نهى الله عنه .

الخامس: أن الذم خاص بمن حاول الدخول في المضائق التي لا قدرة للعقل على الخوض فيها .

وكل هذه التأويلات محاولات منهم لتصحيح ما هم عليه من بدعة ولإخراج أنفسهم من ذم السلف ولاسيما من ينتسبون إليه وهو الإمام الشافعي .

---

(١) الآية ٩ من سورة الزمر .

(٢) تبيين كذب المفتري ٣٣٣-٣٥٩ بتصرف .

وليس بمستغرب أن يؤول هؤلاء كلام الشافعي - رحمه الله - حتى يتوافق مع ما هم عليه فالقوم أهل تأويل وتحريف وقد حازوا قصب السبق في ذلك فقد أوّلوا كلام الله عز وجل وأوّلوا سنة نبيه ﷺ ومن أوّل الكتاب والسنة فليس بمستغرب عليه أن يؤول كلام العلماء وقد سبق بيان رأي هؤلاء بنصوص الكتاب والسنة وزعمهم أن الأخذ بظاهرها من أصول الكفر وإلا فكلام الشافعي رحمه الله نص في ذم طريقهم الذى ردوا النصوص من أجله ولا يحتمل التأويل فكل من ترك الكتاب والسنة وجعل العقل معوله في الإعتقاد فهو داخل في ذم السلف والمتدبر في كتب الأشاعرة يرى أنهم من هذا الصنف المذموم.

وقد توسع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مناقشة هذه القضية ونقل كلام ابن عساكر والبيهقي وغيرهما في ذلك ثم قال:

وهذا اتفاق من علماء الأشعرية مع غيرهم من الطوائف المعظمين للسلف على أن الكلام المذموم عند السلف: كلام من يترك الكتاب والسنة ويعول على عقله فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله وهذا هو الذي قصدنا إبطاله وهو حال صاحب الإرشاد(*) الذين وافقوا المعتزلة في ذلك وأما الرازي وأمثاله فقد زادوا على المعتزلة في ذلك... وقد بينا أن ذم الشافعي لكلام حفص(**) وأمثاله لم يكن لأجل إنكار القدر فإن حفصا لا ينكره وإنما كان لإنكار الصفات والأفعال المبني على دليل الأعراض[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٢٧٤-٢٧٥ وانظره ١٤٥-٢٧٥.

(*) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد لأبي المعالي عبدالملك الجويني (الإبن) ت ٤٧٨هـ. انظر البداية والنهاية (١٢/ ١٢٨).

(**) حفص الفرد مبتدع ضال انظر ترجمته ص ١٥٩.

فهذا الكلام يوضح أن الأئمة ومنهم الشافعي ذموا الكلام وأهله على العموم لأنه مبني على معارضة الكتاب والسنة بالعقل أو لأنه يعظم العقل ويترك تحكيم الكتاب والسنة في باب العقيدة وهو أعظم أبواب الدين.

وأختم هذا المبحث بكلام عظيم للإمام الشافعي لنعرف دقة الإمام الشافعي رحمه الله في هذا الباب واعتماده في ذلك على الكتاب والسنة.

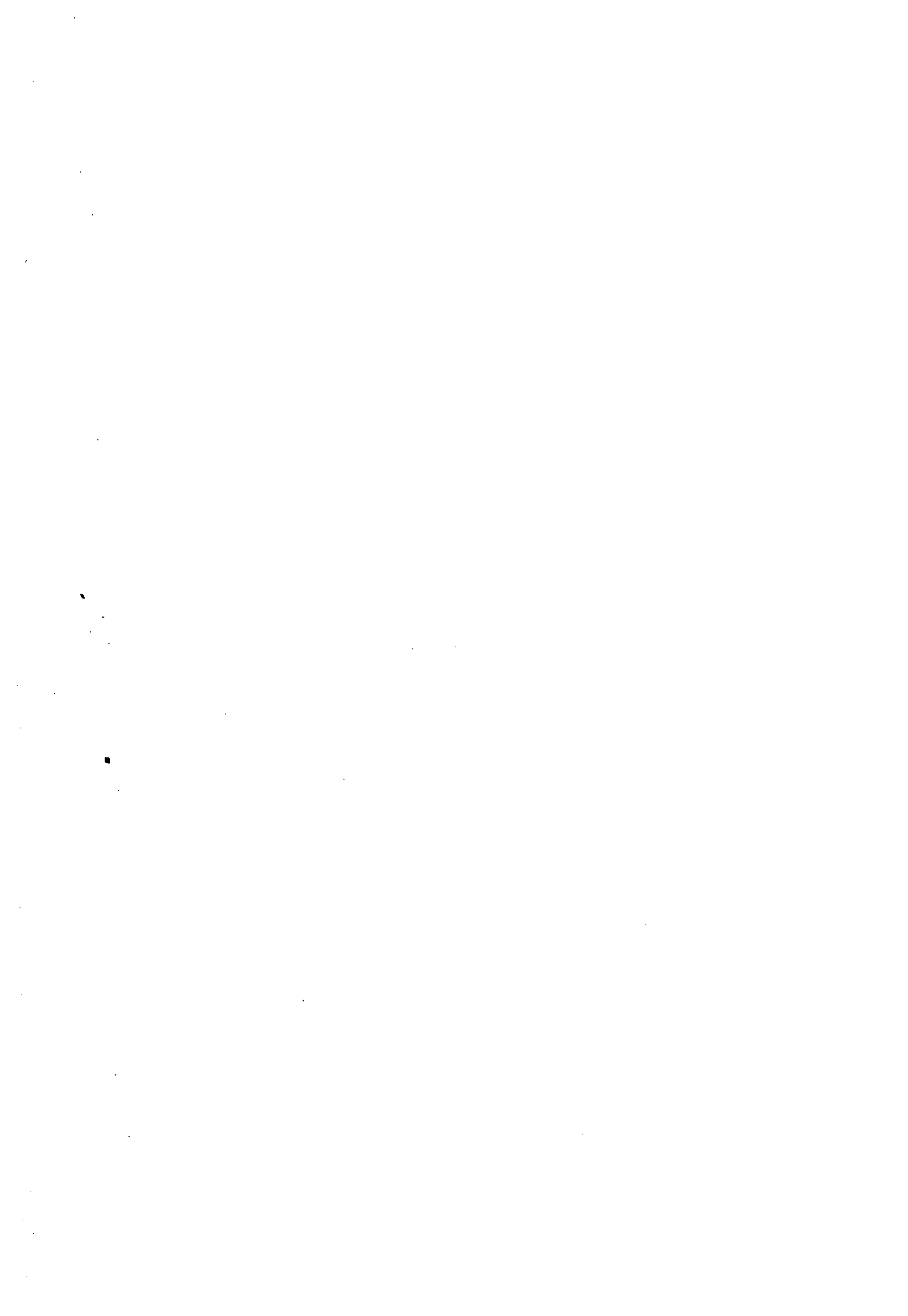
قال الربيع بن سليمان سألت الشافعي - رحمه الله عن صفات الله تعالى فقال: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام[١].

فمن يصدر منه مثل هذا الكلام الدقيق في هذا الباب الخطير لا يمكن أن يوافق المتكلمة على ما هم عليه من بدع.

والله أعلم

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٤.



الباب الثاني

عقيدته في الإيمان ومنهجه في إثباتها

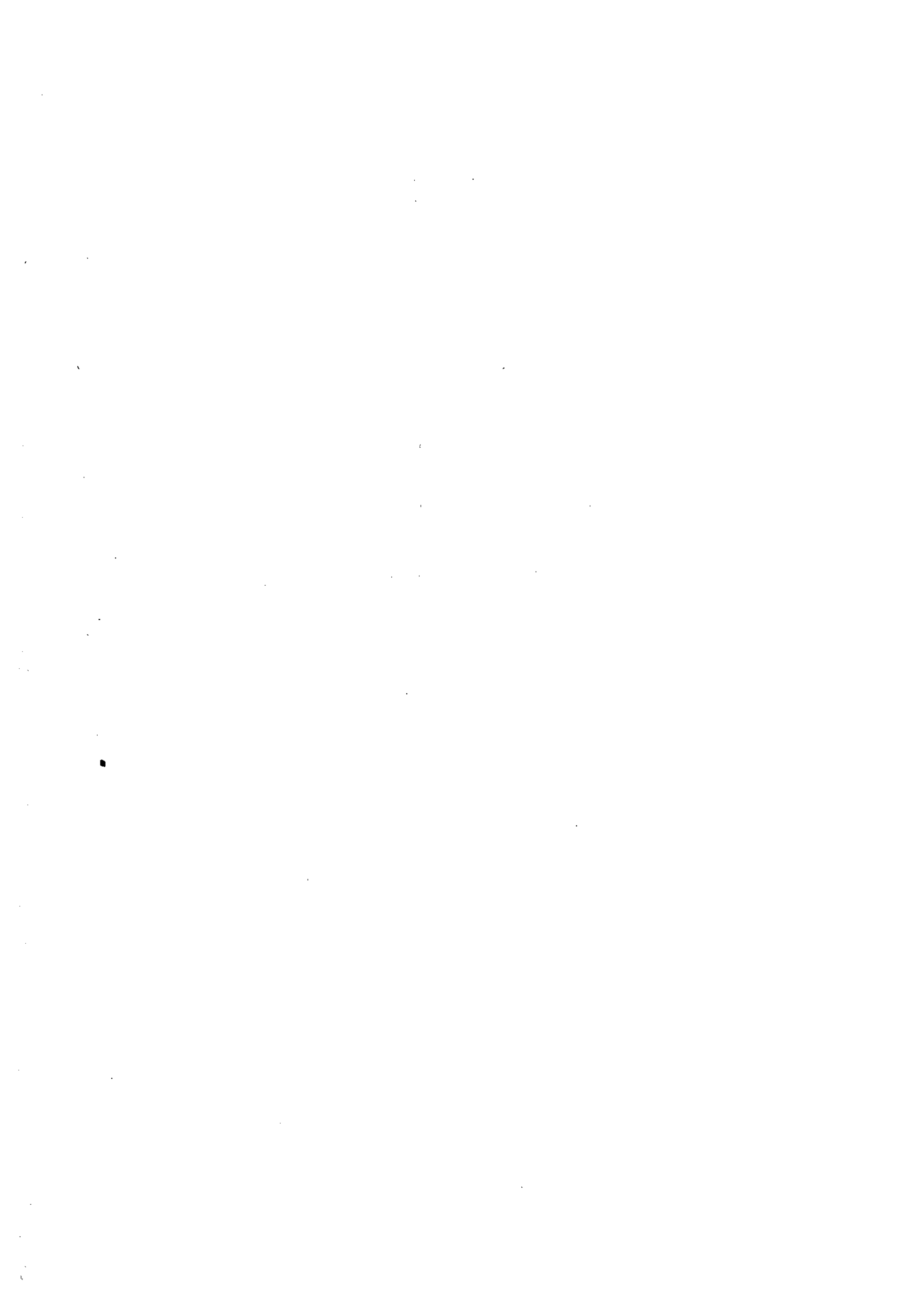
وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حقيقته ودخول الأعمال فيه

الفصل الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

الفصل الثالث: الإستثناء فيه وعلاقته بالإسلام

الفصل الرابع: حكم مرتكب الكبيرة



الفصل الأول

حقيقة الإيمان ودخول الأعمال في مسماه

حقيقة الإيمان ودخول الأعمال في مسماه

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان اعتقادٌ بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي كما استفاض ذلك في كتبهم.

قال الإمام البغوي رحمه الله (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.

وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[(١)]

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاَّم- رحمه الله-

(فالأمر الذي عليه أهل السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا وأنه درجات بعضها فوق بعض). [(٢)]

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري- رحمه الله- اعلموا رحمنا الله وإياكم- أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزيء المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا ولا تجزيء معرفة بالقلب ونطق باللسان حتي يكون عمل بالجوارح فإذا كملت هذه الخصال، كان مؤمنًا.

دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين[(٣)]

وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائى:

---

(١) شرح السنة ١ / ٣٨ .

(٢) الإيمان لأبى عبيد ٦٦ .

(٣) الشريعة للآجري ١١٩ .

سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الإيمان تلفظ باللسان وإعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وأورد روايات كثيرة عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة والتابعين والفقهاء مما لا يسمح المقام بذكرها(١).

وروى بسنده عن الإمام البخاري رحمه الله قال: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم... أن الدين قول وعمل(٢).

وكما سبق فقد حكى البغوي- رحمه الله- الإجماع على ذلك بين أهل السنة والجماعة.

كما حكى الإجماع ابن عبدالبر رحمه الله في كتابه التمهيد حيث يقول: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان)(٣).

وقد عدد البيهقى أسماء من روي عنهم مثل هذا القول في كتابه الإعتقاد من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الدين وأعلام الهدى رضي الله عنهم مما يدل على صحة قول من نقل الإجماع على ذلك(٤).

بل أصبح هذا القول والإعتقاد من أعظم صفات أهل السنة والجماعة التى امتازوا بها عن أهل الزيغ والضلالة. فقد روى الإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى بسنده عن عبدالرزاق قال «كان معمر وابن جريج والثوري ومالك وابن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ ٤/ ٨٣٠ بتصرف.

(٢) المصدر السابق جـ ١ / ١٧٣ وانظر فتح الباري ١/ ٤٧ .

(٣) التمهيد ٩/ ٢٣٨ .

(٤) الإعتقاد ١٨٠ .

وينقص قال عـبدالرازق: وأنا أقول ذلك، الإيمان قول وعـمل والإيمان يزيد وينقص فإن خالفته فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين)(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله ـ.

ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهـل السنة من شعائر السنة وحكى غير واحد الإجماع على ذلك.(٢)

وقد اختلفت عبارات أهل السنة في ذلك بعد اتفاقهم على أن الإيمان قول وعمل ونية.

فمنهم من يقول، هو قول وعمل.

ومنهم من يقول: هو قول وعمل ونية.

ومنهم من يقول: هو قول وعمل ونية واتباع السنة.

ومنهم من يقول: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.(٣)

وتارة يقولون قول وعمل وعقيدة.(٤)

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-:

والمقـصود هنا أن مـن قال من الـسلف: الإيمـان قول وعمل أراد قـولي القـلب واللسـان وعمل القـلب والجوارح ومـن أراد الإعتقاد رأى أن لـفظ القول لا يـفهم منه إلا القـول الظاهر أو خاف ذلـك فزاد الإعتقاد بالـقلب ومن قال: قـول وعمل ونية قـال القول يتناول الإعـتقاد وقول اللـسان وأما العمل فـقد لا يفهم منه النـية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السـنة فلأن ذلك لا يكون مـحبوبًا لله إلا بـاتباع السنـة وأولئك لم يـريدوا كل قول وعـمل إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على

(١) السنة ١/٣٠٧ رقم ٧٢٦ .

(٢) الإيمان ٢٩٢ .

(٣) نفس المصدر ١٦٢ .

(٤) شرح السنة ١ / ٣٩ .

المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة.[1]

وقد استدل السلف- رحمهم الله تعالى - لما ذهبوا إليه بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة لأنهم- رحمهم الله تعالى - لا يقولون رأيهم في المسألة إلا بعد استقراء لنصوص الكتاب والسنة وفهم لمعانيها وسوف نذكر بعضها إن شاء الله عند ذكرنا لمذهب الشافعي رحمه الله في المسألة.[2]

- قول الشافعي- رحمه الله- في حقيقة الإيمان:

من تتبع ما روي لنا عن الإمام الشافعي رحمه الله وما حكاه لنا الأئمة في كتبهم من أقواله يجد مذهبه رحمه الله تعالى مطابقًا لمذهب السلف- رحمهم الله- تمام المطابقة فهو يقول إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

وإليك بعض ما روي عنه في ذلك مع بيان منهجه في إثباته ليتضح تطابقه مع مذهب السلف في المنهج والنتيجة.

١- قال ابن أبي حاتم[3] ثنا أبي [4] قال: سمعت حرملة[5] بن يحيى قال

(١) المرجع السابق ١٦٣ .

(٢) وانظر الشريعة للآجري ١١٩ .

(٣) عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت ت ٣٢٧ هـ الميزان ٢ / ٥٨٧ .

(٤) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران العطفاني الحنظلي أبو حاتم الرازي أحد الأئمة الأعلام ولد ١٩٥ ت ٢٧٧ هـ طبقات الشافعية ١ / ٢٩٩ .

(٥) حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران أبوحفص التجيبى المصرى صاحب الشافعى صدوق من الحادية عشرة توفى٢٤٣ أو ٢٤٤،التقريب ١٥٦ .

اجتمع حفص الفرد[١] ومصلاق[٢] الإباضي عند الشافعي في دار الجروي يعني بمصر فاختصما في الإيمان فاحتج مصلاق في الزيادة والنقصان واحتج حفص الفرد في أن الإيمان قول، فَعَلاَ حفص الفرد على مصلاق وقوي عليه وضعف مصلاق فحمي الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فطحن حفصا الفرد وقطعه)[٣].

وقد روى البيهقي- رحمه الله- بسنده عن الربيع[٤] بن سليمان المرادي قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

(الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص)[٥]

وروى البيهقي بسند آخر إلى الربيع قال أنشدني الشافعي من قيله:

---

(١) حفص الفرد مبتدع قال النسائي عنه صاحب كلام لا يكتب حديثه وكفره الشافعي في مناظرته. اللسان ٢ / ٣٣ .

(٢) مصلاق الإباضي أو مصلان لم أجد له ترجمة والإباضية فرقة من الخوارج لا تزال موجودة حتى اليوم. انظر الإباضية لصابر طعيمة.

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه صفحة ١٩١ كما أخرجه اللالكائي ٥/ ٩٦٢ رقم ١٧٥١ والبيهقي في مناقب الشافعي بسنده ١/ ٣٨٧ وهو في الحلية ٩ / ١١٥ وتاريخ ابن عساكر ١٤ / ٤٠٦ ب وطبقات الشافعية لابن كثير ق ١٤/ أ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في كتابه الإيمان ٢٩٢ . وإسناده صحيح.

التعليق:

يوضح هذا الأثر مذهب الشافعي رحمه الله في حقيقة الإيمان وهو موافق لما عليه أهل السنة والجماعة ومناصرة الشافعي رحمه الله لمصلاق الإباضي في كون الأعمال من الإيمان لا تدل على موافقته له في بقية أصول مذهبه ولكن الخوارج يوافقون أهل السنة في دخول الأعمال في مسمى الإيمان ويخالفون أهل السنة في نقصان الإيمان وفي مرتكب الكبيرة وغير ذلك مما هو مشهور عنهم ولذلك ناصر الشافعي مصلاق في هذه المسألة وكان حفص الفرد من المرجئة الذين يقولون إن الأعمال ليست من الإيمان.

(٤) الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المرادي أبو محمد المؤذن- صاحب الشافعي- ثقة وهو راوية كتبه ت ٢٧٠ هـ التقريب ٢٠٦ .

(٥) أخرجه البيهقي في المناقب ١ / ٣٨٥ . وابن عبدالبر في الإنتقاء ٨١ والذهبي في السير ١٠ / ٣٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤ / ٤٠٦ أ وابن كثير في طبقات الشافعية ١٤ أ وابن حجر في توالي التأسيس ١١٠ وذكره ابن القيم في شرح سنن أبي داود عون المعبود ١٢ / ٤٥٠ .

شهدت بأن الله لا شيء غيره
وأشهد أن البعث حق وأخلص
وأن عرى الإيمان قول محسن
وفعل زكي قد يزيد وينقص[١]

وقال ابن حجر- رحمه الله-:

قال الحاكم في مناقب الشافعي ثنا أبو العباس الأصم[*] أنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول (الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص)[٢].

ونحوه عند أبي نعيم في الحلية وزاد (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [٣]

وقال الشافعي- رحمه الله- تعالى في كتاب السير من كتابه الأم[٤] وإذا دخل الحربي دار الإسلام مشركًا ثم أسلم قبل يؤخذ فلا سبيل عليه ولا على ماله ولو كان جماعة من أهل الحرب ففعلوا هذا كان هذا هكذا ولو قاتلوا ثم أسروا فأسلموا بعد الإسار فهم فيء وأموالهم، ولا سبيل على دمائهم للإسلام فإذا كان هذا ببلاد الحرب فأسلم رجل في أي حال ما أسلم فيها قبل أن يؤسر أحرز له إسلامه دمه ولم يكن عليه رق وهكذا إن صلى فالصلاة من الإيمان أسلك عنه فإن زعم أنه مؤمن فقد أحرز ماله

---

(١) البيهقي في المناقب ١ / ٤٤٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤ / ٤٠٦ - وانظر ديوانه ٥٤ .

(٢) فتح الباري ١ / ٤٧ .

(٣) الحلية ٩ / ١١٥ والآية رقم ٣١ المدثر.

(*) أبو العباس الأصم محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل الأموي مولاهم، المحدث، محدث الشرق، قال الحاكم: حدث في الإسلام ستا وسبعين سنة، ولم يختلف في صدقه وصحة سماعه ت٣٤٦هـ وهو غير الأصم المعتزلي تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٦٠.

(٤) الأم ٤ / ٢٨٩ - ٢٩٠ وانظر: شعب الإيمان للبيهقي ١ / ١٠٦ أو المناقب ١ / ٣٨٥ .

ونفسه وإن زعم أنه صلى صلاته وأنه على غير الإيمان كان فيئًا إن شاءالإمام قتله وحكمه حكم أسرى المشركين). [١]

وقال - رحمه الله - في مسألة أخرى.

والتسمية على الذبيحة باسم الله فإذا زاد على ذلك شيئًا من ذكر الله عز وجل فالزيادة خير ولا أكره مع التسمية أن يقول صلى الله على رسول الله بل أحبه له وأحب له أن يكثر الصلاة عليه فصلى الله عليه في كل الحالات لأن ذكر الله عز وجل والصلاة عليه إيمان بالله تعالى وعبادة له يؤجر عليها إن شاء الله من قالها وقد ذكر عبدالرحمن بن عوف أنه كان مع النبي ﷺ فتقدمه النبي ﷺ قال فاتبعه فوجده عبدالرحمن ساجدًا فوقف ينتظره فأطال ثم رفع فقال عبدالرحمن لقد خشيت أن الله عز ذكره قد قبض روحك في سجودك فقال (يا عبدالرحمن إني لما كنت حيث رأيتني لقيني جبريل فأخبرني عن الله عز وجل أنه قال من صلى عليك صليت عليه، فسجدت لله شكراً[٢].

وقال رسول الله ﷺ «من نسي الصلاة عليَّ خُطِّيءَ به طريق الجنة»[٣]

---

(١) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية ٢٣ وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء، كمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام ولم يتكلم بها هل يصير مسلمًا أم لا؟

قال: فالصحيح أنه يصير مسلمًا بكل ما هو من خصائص الإسلام. وكأن الشافعي- رحمه الله- هنا يميل إلى أن من أظهر شعائر الإسلام من الكفار حكم بإسلامه ويكف عنه حتى يسأل.

والشاهد من النص أن الشافعي عد الصلاة من الإيمان وهي عمل.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١ / ١٩١ وأبو يعلي ٢ / ١٥٨ وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي وذكره الهيثمي في الزوائد ٢ / ٢٨٧ وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٣ / ١٢٨ والبيهقي في الشعب رقم ١٧١ وذكره السيوطي في الجامع الصغير كما في الفيض ٦ / ٢٣٢ ورمز لحسنه والحديث روي بروايات كثيرة بعضها موصول وبعضها مرسل وهي جميعها لا تخلو من قادح ولكنها بمجموعها تدل على أن للحديث أصلاً ولذلك حسنه من حسنه كالسيوطي وغيره ومعنى نسي هنا ترك قال تعالى (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وانظر القول البديع (١٥٢).

ـ قال الشافعي:

ولسنا نعلم مسلما ولا نخاف عليه أن تكون صلاته إلا الإيمان بالله، ولقد خشيت أن يكون الشيطان أدخل على بعض أهل الجهالة النهي عن ذكر اسم رسول الله ﷺ عند الذبيحة ليمنعهم الصلاة عليه في حال لمعنى يعرض في قلوب أهل الغفلة، وما يصلي عليه أحد إلا إيماناً بالله تعالى وإعظاماً له وتقربا إليه ﷺ وقربنا بالصلاة عليه منه زلفى(١).

وقال الحافظ اللالكائي رحمه الله:-

(قال الشافعي رحمه الله في كتاب الأم في باب النية في الصلاة: نحتج بأنه لا تجزيء صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم: أن- الإيمان: قول وعمل ونية لا يجزيء واحد من الثلاثة إلا بالآخر)(٢)

---

(١) انظر: الأم (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) بتصرف، وانظر: المناقب للبيهقي (١/ ٣٨٦).
قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:
«وقد اختلف في هذه المسألة ـ الصلاة على النبي ﷺ عند الذبيحة ـ فاستحبها الشافعي ونازعه آخرون، منهم أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فإنهم كرهوا الصلاة في هذا الموطن، ذكره صاحب المحيط وعلله بأن قال: لأن فيه إيهام الإهلال لغير الله.
واختلف أصحاب أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ فكرهها القاضي وأصحابه وذكر الكراهة أبو الخطاب في «رؤوس المسائل» وقال ابن شاقلا تستحب لقول الشافعي» جلاء الأفهام ٢٤٠ وانظر: المغني لابن قدامة (٨/ ٥٤١) . والشاهد أن الشافعي ـ رحمه الله ـ سمىّ التسمية والتكبير والصلاة على النبي ﷺ إيماناً، مما يدل على أنه يرى أن الإيمان قول وعمل ونية ومنه أيضا صحة اعتقاد الشافعي في التوسل إلى الله بالصلاة على النبي ﷺ وهي عمل العبد مما يشرع به التوسل، ولم يتوسل بذات النبي ﷺ أوجاهه كما هو عمل أهل البدع.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥ / ٨٨٦ وانظر: جامع العلوم والحكم ٢٥ والإيمان لابن تيمية ١٩٧ والنص لم أجده في كتاب الأم.

وقال ابن عبدالبر رحمه الله(١):

وذكر أبو القاسم عبيد الله بن عمر البغدادي الشافعي الذي استجلبه المستنصر بالله(٢) أمير المؤمنين وأسكنه الزهراء(٣) حدثنا محمد بن علي قال أنا الربيع قال سمعت الشافعي يقول: (الإيمان قول وعمل وإعتقاد القلب ألا ترى قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٤) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد).

وروى أبو نعيم في كتابه الحلية بسنده عن الربيع بن سليمان قال سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان؟ فقال للرجل: فما تقول أنت فيه قال أقول: إن الإيمان قول قال ومن أين قلت، قال: من قول الله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٥). فصار الواو فصلا بين الإيمان والعمل فالإيمان قول والأعمال شرائعه.

فقال الشافعي: وعندك الواو فصل قال نعم قال فإذا كنت تعبد إلهين إلها في المشرق وإلها في المغرب لأن الله تعالى يقول:﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾(٦) فغضب الرجل وقال: سبحان الله أجعلتني وثنيًا فقال الشافعي بل أنت جعلت نفسك كذلك قال كيف قال بزعمك أن الواو فصل: فقال الرجل فإني أستغفر الله مما قلت بل لا أعبد إلاربًا واحدًا ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل بل أقول إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

قال الربيع فأنفق على باب الشافعي مالاً عظيمًا وجمع كتب الشافعي

(١) الانتقاء ٨١ وانظر مناقب الشافعي للرازي ١٣١.

(٢) المستنصر بالله الحكم بن عبدالرحمن الناصر كان من خيار الملوك وعلمائهم ت ٣٦٦ البداية والنهاية ١٠/ ٣٨٥.

(٣) الزهراء مدينة صغيرة قرب قرطبة. معجم البلدان ٣ / ١٦١ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

(٥) الآية ٢٧٧ سورة البقرة.

(٦) الآية ١٧ من سورة الرحمن.

وخرج من مصر سُنِيًا.(١)

وروى أبو محمد بن أبي حاتم(٢) بسنده عن الشافعي أنه قال للحميدي: ما يحتج عليهم يعنى أهل الإرجاء(٣) بآية أحج من قوله تعالى﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾.(٤)

(١) عطف الأعمال على الإيمان من أعظم حجج من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان وهي حجة واهية فإن العطف لا يكون للمغايرة دائمًا فقد يكون من باب عطف البعض على الكل لبيان أهمية هذا البعض كما في قوله تعالى ﴿ من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وجبريل وميكال من الملائكة خصهما الله لعظم مكانتهما عليهما السلام وكذلك الأعمال عطفت على الإيمان وهي جزء منه لبيان أهميتها بالنسبة للإيمان.

وانظر: للزيادة الإيمان لشيخ الإسلام ١٦٣، وتدبر عبارة الربيع في آخر النص وهي قوله (وصار سنيا) تدلك على حرص السلف رحمهم الله على سلامة العقيدة والبعد عما يخدشها ولو كان صغيراً في نظر المخالف فمفهوم كلامه أن من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان ليس سنيًا فتدبر كلامه وقارنه بمذهب المتأخرين ممن ينتسب للإمام الشافعي تجد الفرق واضحًا في طريقة الإستدلال والنتيجة.

(٢) انظر: أداب الشافعي ومناقبه ١٩١ واللالكائي ٥/ ٨٨٦

ورواه البيهقي في المناقب ١ / ٣٨٦ وفي أحكام القرآن ١/ ٤٠.

وابن حجر في توالي التأسيس ١١٠

وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/٦/٤٠ ب وفي تبيين كذب المفتري ٣٤١ .

وابن كثير في طبقات الشافعية ١٤ أ.

وانظر: الإيمان لشيخ الإسلام ١٩٦ .

(٣) أهل الإرجاء.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان والأعمال ليست منه، والمرجئة ثلاثة أصناف.

الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه . . . ، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه والقول الثاني من يقول: هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

الثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة). . . ثم شرع - رحمه الله- فى الرد عليها الإيمان ١٨٣ - ١٨٤ بتصرف.

(٤) آية رقم ٥ من سورة البينة. ووجه الدلالة في الآية أن الله سمى الأعمال دينًا وأمرنا بفعلها له بإخلاص والمرجئة يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان.

خلاصة عقيدة الشافعي- رحمه الله- في مسمى الإيمان:

يعتقد الإمام الشافعي أن الإيمان قول وعمل ونية، ويورد عدة آيات في الدلالة على ذلك.

وبعض هذه الأدلة ذكرها أكثر السلف في كتبهم وقد ناقش رحمه الله بعض من اعترض على مذهب السلف ورد عليه.

واحتج عليهم بما جاء في القرآن والسنة ولم يتطرق في الإستدلال لطرق أهل الكلام المذموم.

وفي المباحث التالية زيادة إيضاح لطريقة الإستدلال التي سار عليها الإمام- رحمه الله- في إثبات العقيدة[1].

(١) وقد ذكر كثير من الأئمة هذا القول في حقيقة الإيمان ونسبوه إلى الإمام الشافعي- رحمه الله- انظر مثلاً شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٨٣٢ الإعتقاد للبيهقي ١٨٠، فتح البارى ١ / ٤٧
جامع العلوم والحكم ٢٥ وغيرهم.
(٢) شرح السنة ١/٣٨ - ٣٩ .



الفصل الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه



زيادة الإيمان ونقصانه

القول بزيادة الإيمان ونقصانه قول سائر السلف- رحمهم الله- تعالى.

قال البغوي- رحمه الله- اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة.

قالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء[١]. يعني والله أعلم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وروي القول بالزيادة والنقصان عن الصحابة والتابعين والأئمة رضى الله عنهم.

فعن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص قيل له ما زيادته ونقصانه قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته فإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه)[٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه (هلموا نزداد إيمانًا فيذكرون الله عز وجل)[٣].

وقال ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم الإيمان يزداد وينقص)[٤]

وقد ترجم الإمام أبو عبدالله البخاري- رحمه الله- لذلك في صحيحه في كتاب الإيمان[٥] فقال:

---

(١) وسيأتي ص ١٧١.

(٢) الشريعة ١١٢ .

(٣) الشريعة ١١٢ .

(٤) الشريعة ١١٢ .

(٥) فتح الباري ١ / ١٠٣.

باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[(١)] ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[(٢)]، ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[(٣)]

فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص.

وقال ابن عبدالبر- رحمه الله-:

أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان.

قال: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتوى بالأمصار.

وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ووقف في نقصانه وروى عنه عبدالرازق ومعمر بن عيسى وابن نافع وابن وهب أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث ولله الحمد)[(٤)].

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- القول الثاني:

حيث قال (وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن ولم يجدوا ذكر النقص وهذه إحدى الروايتين عن مالك والرواية الأخرى عنه وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص)[(٥)].

---

(١) الآية ١٣ من سورة الكهف.
(٢) الآية ٣١ من سورة المدثر.
(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.
(٤) التمهيد ٩/٢٣٨ - ٢٥٢ بتصرف.
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/٥٠٦.

فأهل السنة والجماعة متفقون ولله الحمد على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولهم أدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة سوف أذكر هنا أشهرها على وجه الاختصار فمنها قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [٢] .

وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ .[٣]

والآيات المصرحة بالزيادة كثيرة وهى تدل بطريق الالتزام أنه ينقص لأن ما يقبل الزيادة فهو قابل للنقص، أما أدلة السلف من السنة فمنها:

حديث النساء المشار إليه في أول هذا المبحث وهو ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ أمر النساء بالتصدق وقال بعد ذلك (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)[٤] الحديث.

وقوله ﷺ (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[٥].

وقوله ﷺ(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٦].

وهناك أدلة للسلف كثيرة اكتفيت بأشهرها ليتضح منهج السلف رحمهم الله[٧].

(١) الآية ١٢٤ سورة التوبة.
(٢) الآية ٢ سورة الأنفال.
(٣) الآية ٣١ سورة المدثر.
(٤) متفق عليه رواه البخارى في كتاب الحيض (١/ ١١٦) ومسلم (١/ ٨٦).
(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر: الفتح (١/ ٤٤) والنووي (١/ ٦).
(٦) مسلم ٢ / ٢٢ .
(٧) راجع الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان لابن منده ونحوهما.

وسوف أذكر الآن إن شاء الله ما روي عن الإمام الـشافعي رحمه الله في ذلك مع التأكيد على منهجه في إثبات العقيدة.

قال الربيع- رحمه الله - سمعت الشافعي يقول (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينـقص بالمعصية ، ثم تلا هذه الآية ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[١].

وقد سبق في مبحث حقيقة الإيمان ذكر مناظرة الشافعي رحمه الله لحفص الفرد حيث تقلد الشافعي المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)[٢]

وقد تواتر النقل عن الإمام الشافعي- رحمه الله- تعالى بالقول إليه ويرد على من زعم أن الـقول بالزيادة والنقصـان لم يثبت عن الشافـعي- رحمه الله- .

قال السبكي[٣]:

وإلى مذهب السلـف- يعنى القول بأن الإيمان قول وعمـل ونية وأنه يزيد وينقص- ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد والبخاري. . . . . وهؤلاء يصرحون بزيادة الإيمان ونقصانه إلا الشافعي ومالكا.

أما الشافـعي فلم يتحـرر عنه فيهما نـص. ونقل جماعة ممـن صنف فى مناقـبه أنه يقول بأنـه يزيد وينقص ولـكن لم يثبت ذلـك عندنا ثبوت بـقية منصوصاته الموجودة في مذهبه، انتهى كلامه.

وقد سبق أن ذكرت ما يخص الإمام مالـكًا- رحمه الله- في هذه المسألة وبينت أن الراجح من مذهبه- رحمه الله- القول بزيادة الإيمان ونقصانه[٤].

---

(١) أبو نعيم في الحلية ٩ / ١١٥ وتقدم نحوه ، الآية ٣١ من سورة المدثر.

(٢) راجع مبحث حقيقة الإيمان.

(٣) هو السبكي الابن في كتابه طبقات الشافعية ١ / ١٣٠ .

(٤) وانظر: التمهيد ٩ / ٢٥٢ .

وأما الإمام الشافعي فقد صحت الروايات عنه بالقول بزيادة الإيمان ونقصانه وقد سبق بعض منها.

كما أن كثيرًا من العلماء صرحوا بنسبة هذا القول للإمام الشافعى رحمه الله في مناقبه المؤلفة وفي كتب السلف المؤلفة في مباحث الإيمان.

فممن نقل القول عن الإمام الشافعي- رحمه الله- بالزيادة والنقصان ابن أبي حاتم(١) والحافظ اللالكائي(٢) وأبو نعيم(٣) والبيهقي(٤) وابن عبدالبر(٥) وابن عساكر(٦) والرازي(٧) والنووي(٨) وابن تيمية(٩) والذهبي(١٠) وابن القيم(١١) وابن حجر(١٢) رحمهم الله كلهم نقل عن الإمام الشافعي رحمه الله القول بزيادة الإيمان ونقصانه بل نقلَ بعضهم أن الشافعي حكى الإجماع على ذلك من السلف- رحمهم الله- كابن تيمية(١٣) وابن رجب(١٤)- فكيف يزعم (١٥) أنه لم يثبت النقل عن الشافعي القول بزيادة الإيمان ونقصانه.

وإذا ثبت عنده القول بأن الشافعي يرى أن الأعمال من الإيمان فما الذي يمنع الشافعي من إتباع مذهب السلف بالقول بزيادة الإيمان ونقصانه. ولكن حبك الشيء يعمي ويصم.

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ١٩٢ .
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥ / ٨٨٦ ، ٨٩٠، ٨٩٠، ٩٥٧.
(٣) الحلية ٩/ ١١٥ .
(٤) الإعتقاد ١٨٠ ، المناقب ١/ ٣٨٥ .
(٥) الإنتقاء ٨١ .
(٦) تاريخ دمشق ١٤ / ٤٠٦ أ- ب.
(٧) مناقب الشافعي ١٣٠ - ١٣٢ .
(٨) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٦٦ .
(٩) الإيمان ٢٩٢ .
(١٠) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٢ .
(١١) عون المعبود ١٢ / ٤٥٠ .
(١٢) فتح الباري ١/ ٤٧.
(١٣) الإيمان ١٩٧ .
(١٤) جامع العلوم والحكم ٢٥ .
(١٥) أي السبكي.

وأختم هذا المبحث برواية مطولة عن الشافعي رواها البيهقي في مناقبه بسنده عن أبي محمد الزبيري قال:

قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل:

قال الشافعي: ما لا يقبل عملاً إلا به. قال: وما ذاك؟ قال الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظًا.

قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل

قال الشافعي الإيمان عمل لله ، والقول بعض ذلك العمل.

قال الرجل: صف لي ذلك حتى أفهمه.

قال الشافعي: إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والراجح الزائد رجحانه.

قال الرجل: وإن الإيمان ليتم وينقص ويزيد.

قال الشافعي: نعم،

قال: وما الدليل على ذلك،

قال الشافعي: إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها وفرقه عليها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى،

فمنها: (قلبه) الذي يعقل به ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره،

ومنها (عيناه) اللتان ينظر بهما،

و (أذناه) اللتان يسمع بهما،

و (يداه) اللتان يبطش بهما،

و(رجلاه) اللتان يمشي بهما،

و (فرجه) الذي الباه من قبله،

و (لسانه) الذي ينطق به،

و(رأسه) الذي فيه وجهه،

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما فرض الله على القلب من الإيمان،

فالإقرار والمعرفة والعقد * والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب وهو عمله.

﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ (١).

وقال: ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .(٢)

وقال: ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ .(٣)

---

* مصدر عقد يعقد عقداً مأخوذ من عقد الحبل يقال رجل ذو عقيدة حسنة إذا كانت خالية من البدع. وهي من أفعال القلوب. انظر اللسان (٢ / ٢٩٦).

(١) الآية ١٠٦ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢٨ من سورة الرعد.

(٣) الآية ٤١ من سورة المائدة.

﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ (١)

فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان وهو عمله وهو رأس وفرض الله على اللسان:

القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقربه فقال في ذلك ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ (٢) وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٣).

فذلك ما فرض الله على اللسان من القول والتعبير عن القلب وهو عمله والفرض عليه من الإيمان.

وفرض الله على السمع:

أن يتنزه عن الإستماع إلى ما حرم الله وأن يغضي عما نهى الله عنه فقال في ذلك: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ .(٤)

ثم استثنى موضع النسيان فقال جل وعز: ﴿ وإمَّا ينسينَّك الشيطان ﴾.

أي فقعدت معهم ﴿ فلا تَقعد بَعدَ الذِّكْرى مَعَ القَومِ الظَّالمين ﴾ (٥) وقال ﴿ فَبشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ

---

(١) الآية٢٨٤من سورة البقرة.

(٢)الآية ١٣٦من سورة البقرة.

(٣) الآية٨٣ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٤٠من سورة النساء.

(٥) الآية ٦٨ من سورة الأنعام.

هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾(1) وقال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)﴾ إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5)﴾ (2)، وقال: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)(3) وقال ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: فذلك ما فرض الله جل ذكره على السمع من التنزيه عما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على العينين:

أن لاينظر بهما إلى ما حرم الله وأن يغضهما عما نهاه عنه .فقال تبارك وتعالى في ذلك ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾(5)، أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه.

وقال: كل شيء من حفظ الفرج في كتاب الله فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر.

فذلك مافرض الله على العينين من غض البصر وهو عملها وهو من الإيمان.

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر في آية واحدة فقال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾(6)

قال: يعني وفرض على الفرج

أن لايهتكه بما حرم الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾(6)

---

(1) الآية 18من سورة الزمر.

(2) الآيات من1-4 من سورة المؤمنون.

(3) الآية 55 سورة القصص.

(4) الآية 72 سورة الفرقان.

(5) الآيتان 30 - 31 من سورة النور.

(6) الآية: 36 سورة الإسراء.

(7) الآية: 5 من سورة المؤمنون.

وقال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾(١)

يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ، فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظها عما لايحل له وهو عملها.

وفرض على اليدين:

أن لايبطش بهما إلى ما حرم الله تعالى وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلوات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾(٢) إلى آخر الآية. وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾(٣)

لأن الضرب والحرب وصلة الرحم والصدقة من عملها.

وفرض على الرجلين، أن لايمشي بهما إلى ما حرم الله جل ذكره فقال في ذلك: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾(٤) وفرض على الوجه، السجود لله بالليل والنهار ومواقيت الصلاة فقال في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥) وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٦) يعني بالمساجد ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته من الجبهة وغيرها(٧).

---

(١) الآية: ٢٢ من سورة فصلت. (٢) الآية: ٦ من سورة المائدة.

(٣) الآية: ٤ من سورة محمد. (٤) الآية: ٣٧ من سورة الإسراء.

(٥) الآية: ٧٧ من سورة الحج. (٦) الآية: ١٨ من سورة الجن.

(٧) قوله يعني بالمساجد ما يسجد عليه هكذا روي عن الشافعي رحمه الله وهو مروي عن سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب وعطاء وقول سعيد بن جبير، وقتادة وعكرمة وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي أماكن العبادة التي يثبت للصلاة أي وحدوه فيها ولا تشركوا به فيها أحداً.
وقال الحسن أراد بها كل البقاع لأن الارض جعلت للنبي ﷺ مسجداً وطهوراً. =

قال فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح.

وسمى الطهور والصلوات إيمانا في كتابه.

وذلك حين صرف الله تعالى وجه نبيه ﷺ من الصلاة إلى بيت المقدس وأمره بالصلاة إلى الكعبة، وكان المسلمون قد صلوا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا فقالوا يارسول الله: أرأيت صلاتنا التي كنا نصليها إلى بيت المقدس ما حالها وحالنا(١)؟

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) فسمى الصلاة إيمانا، فمن لقي الله حافظا لصلواته، حافظا لجوارحه، مؤديا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله عليها(*) لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة ومن كان لشيء منها تاركا متعمدا مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان.

قال: وقد عرفت نقصانه وإتمامه فمن أين جاءت زيادته؟

قال: الشافعي: قال الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾(٣)

= وقد رجح غير واحد من المفسرين القول الثاني كابن جرير الطبري وابن كثير والقرطبي رحمهم الله فتفسير الشافعي هنا للآية تفسير مرجوح والله أعلم. انظر تفسير الطبري ٢٩/ ١١٧ وابن كثير ٤/ ٤٣١ وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٠).

(١) انظر: البخاري ١/ ٢٣ رقم ٤٠ ومسلم رقم ٥٢٥ وابن جرير ٢/ ١٦.

(٢) الآية: ١٤٣ من سورة البقرة.

(*) هكذا في الأصل ولعله خطأ من النقل والصواب. (ما أمره الله به). والله أعلم.

(٣) الآيتان: ١٢٤ ـ ١٢٥ من سورة التوبة.

وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(١).

وقال الشافعي، ولو كان هذا الإيمان كله واحدا لانقصان فيه ولازيادة لم يكن لأحد فيه فضل واستوى الناس وبطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندالله في الجنة وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون بالنار.

قال الشافعي: إن الله جل وعز سابق بين عباده كما سوبق بين الخيل يوم الرهان. ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه فجعل كل امرىء على درجة سبقه لاينقصه فيها حقه ولايقدم مسبوق على سابق ولامفضول على فاضل وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها. ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها(٢).

---

(١) الآية ١٣ من سورة الكهف.

(٢) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي جـ١/ ٣٨٧ ـ ٣٩٣. وفيه قال أحمد قد رأيت هذا الجواب عن الإيمان لأبى عبيد أبسط من هذا فإن صحت الحكايتان فيحتمل أن يكون أبوعبيد أخذه عن الشافعي ثم زاد في البيان ويحتمل أن يوافق قول قولا والله أعلم.

والخلاصة: أن هذا النص وما قبله من نصوص توضح عقيدة الشافعي في الإيمان وأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقد بنى الشافعي ـ رحمه الله ـ هذه العقيدة على نصوص واضحة من كتاب الله إما منطوقا كالقول بالزيادة أو مفهوما كالقول بالنقصان وقد سبق ذكر بعض أدلة السلف رحمهم الله تعالى في هذه المسألة.

الفصل الثالث

الإستثناء في الإيمان وعلاقته بالإسلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإستثناء في الإيمان.

المبحث الثاني: الفرق بين الإيمان والإسلام.



المبحث الأول: الاستثناء في الإيمان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأما الاستثناء في الإيمان يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله فالناس فيه على ثلاثة أقوال منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال(١).

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لاعلى سبيل الشك نعوذ بالله من الشك في الإيمان ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان لايدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا، أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا والناطق بهذا والمصدق به بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لايدرى: أهو ممن يستوجب ما نعت الله عزوجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا.

هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال لايكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الإستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان.

والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون وبه تجري أحكام ملة الإسلام(٢) ا.هـ.

وهذا الذي ذكره الآجري ـ رحمه الله ـ هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة رضي الله عنهم فقد روى أبوعبيد بسنده قال: قال رجل عند ابن مسعود: أنا مؤمن فقال ابن مسعود: أفأنت

---

(١) الإيمان ٤١٠.

(٢) الشريعة ١٣٦.

من أهل الجنة؟ فقال أرجو، فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى(١).

وقال الإمام أحمد سمعت يحيى بن سعيد يقول: (ما أدركت أحدا إلا على الاستثناء)(٢).

وقد ذكر السلف ـ رحمهم الله ـ أدلة من الكتاب والسنة جاء فيها الاستثناء في الأمور المقطوع بثبوتها ووقوعها فمنها قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(٣).

ومن السنة قوله ﷺ في السلام على أهل القبور (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)(٤).

ومع وضوح موقف السلف رحمهم الله في مسألة الاستثناء وأنه صادر من خوفهم لتزكية النفس فقد كرهوا السؤال عن ذلك، قال الآجري ـ رحمه الله ـ إذا قال لك رجل أنت مؤمن؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والموت والبعث من بعد الموت والجنة والنار وإنْ أحببت أن تجيبه تقول له سؤالك إياي بدعة فلا أجيبك وإن أجبته فقلت أنا مؤمن إن شاء الله على النعت الذي ذكرناه فلا بأس به واحذر مناظرة مثل هذا. فإن هذا عند العلماء مذموم واتبع من مضى من أئمة المسلمين تسلم إن شاء الله تعالى(٥) ووجه كراهة السلف السؤال عن الإيمان أنه جاء من قبل المرجئة.

فقد روى الخلال عن الإمام أحمد وسأله رجل قال: قيل لي أمؤمن

---

(١) الإيمان ٦٧. لابن تيمية.

(٢) الشريعة ١٣٧.

(٣) الآية ٢٧ من سورة الفتح.

(٤) مسلم ١/ ٢١٨ بترتيب محمد فؤاد عبدالباقي.

(٥) الشريعة ١٤٠.

أنت؟ قلت نعم هل عليّ في ذلك شيء؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر، فغضب أحمد وقال هذا كلام الإرجاء وقال الله عزوجل (وآخرون مرجون لأمر الله) من هؤلاء؟ ثم قال أحمد أليس الإيمان قولا وعملا؟ قال الرجل بلى قال فجئنا بالقول قال نعم قال فجئنا بالعمل قال: لا قال: فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثني[١].

هذا مجمل مذهب السلف ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة وما ورد عن بعضهم أنه أجاب بدون استثناء فإنه محمول على الدخول في الإيمان لا على الإستكمال[٢].

قول الإمام الشافعي في الاستثناء في الإيمان:

قال أبوالبقاء الفتوحي الفقيه الأصولي الحنبلي:

ويجوز الإستثناء فيه أي في الإيمان بأن يقول أنا مؤمن إن شاء الله نص على ذلك الإمام أحمد والإمام الشافعي وحكي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم[٣].

وقد ذكر الرازي بعض المطاعن في عقيدة الإمام الشافعي وعدَّ منها قوله في الإستثناء في الإيمان ثم أخذ في بيان معناه وأن الذي جعل الشافعي يقول ذلك هو عقيدته في دخول الأعمال في مسمى الإيمان وأن الإستثناء واقع على الأعمال وليس على العقيدة ثم ذكر بعض الوجوه في الدفاع عن الإمام الشافعي وهذا كله يدل على صحة نسبة هذا القول للإمام الشافعي وأنه يرى الاستثناء في الإيمان كما هو مذهب السلف[٤].

---

(١) السنة للخلال (٣/ ٥٩٧).

(٢) الإيمان لأبي عبيد ٦٩ ـ ٧٠ وانظر: الإيمان لشيخ الإسلام ٣٩٧ وما بعدها.

(٣) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ٤٧.

(٤) مناقب الشافعي للرازي (١٤٧).

المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان

هذه المسألة مما وقع الخلاف فيه بين السلف رحمهم الله وهو خلاف ولله الحمد والمنة(*) لايضر وللسلف في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنهما شيء واحد يرى أصحاب هذا القول أن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد وممن قال بهذا القول الإمام أبوعبدالله البخاري - رحمه الله - فقد بوب لذلك في صحيحه فقال:

باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له ثم قال جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله دينا. وما بين النبي ﷺ لوفد عبدالقيس من الإيمان وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ...﴾(١) قال ابن حجر:

تقدم(٢) أن المصنف يري أن الإيمان والإسلام عبارة عن معنى واحد فلما كان ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة أراد أن يرد ذلك بالتأويل إلى طريقته، قوله وبيان أي مع بيان أن الاعتقاد والعمل دين. وقوله وما بين أي مع ما بين للوفد أن الإيمان هو الإسلام حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام هنا وقوله أي مع مادلت عليه الآية أن الإسلام هو الدين ودل عليه خبر أبي سفيان أن الإيمان هو الدين فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد هذا محصل كلامه(٣).

(*) لا يضر لأن منهجهم واحد وأصولهم واحدة ولم يترتب على الخلاف ثمرة فكأنه خلاف في الفروع بخلاف خلاف السلف مع الخلف فإنه خلاف في المنهج وطريقة الإستدلال وحجية الأدلة وهو في النتيجة كذلك وقد انبنى على خلاف الخلف للسلف خلاف في أمور كثيرة من العقائد.

(١) الآية (٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) فتح الباري ١/ ٥٥.

(٣) فتح الباري ١/ ١١٤.

ومن ذهب إلى ذلك الإمام أبوعبدالله محمد بن نصر المروزي رحمه الله حيث ذكر في كتابه تعظيم قدر الصلاة الخلاف في ذلك بين السلف رحمهم الله ثم نصر قول من قال باتحاد الإيمان والإسلام في مبحث طويل جدا[١].

وكذلك الإمام الحافظ ابن منده رحمه الله حيث بوب لذلك في كتابه الإيمان فقال: ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب والسنة أن الإيمان والإسلام إسمان لمعنى واحد[٢].

القول الثاني: إنهما شيئان متغايران

وقد قال بالفرق بين الإسلام جماعة من السلف رحمهم الله قال الزهري: (الإسلام هو الكلمة والإيمان العمل)[٣].

وقال عبدالملك الميموني[٤] سألت أحمد بن حنبل: أتفرق بين الإيمان والإسلام فقال لي: نعم قلت له بأي شيء نحتج قال لي: قال الله عزوجل ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٥].

وقال: وأقول مؤمن إن شاء الله وأقول: مسلم ولا أستثني.

قال ابن منده: وقال بهذا القول جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبدالله بن عباس والحسن ومحمد بن سيرين . . . .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٠٦ ـ ٥٧٥. للإمام محمد بن نصر المروزي ت (٣٩٤) السير ١٤/ ٣٣.

(٢) الإيمان ١/ ٣٢١. للإمام الحافظ محدث الإسلام أبي عبدالله محمدبن اسحاق ت (٣٩٥) السير ١٤ (١٨٨).

(٣) نفس المصدر ٣١١.

(٤) عبدالملك بن عبدالحميد بن مهران الميموني الرقي من أصحاب الإمام أحمد كان أحمد يكرمه ويفعل معه ما لايفعله مع غيره ت (٢٧٤) والسير (١٣/ ٩٠).

(٥) الآية: ١٤ من سورة الحجرات.

وهو مذهب جماعة من أئمة الآثار[١] واحتجوا بخبر عمر بن الخطاب[٢] وسعد بن أبي وقاص[٣] وأبي هريرة[٤] رضي الله عنهم.

القول الثالث:

وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية والخطابي وابن رجب رحمهم الله ولابن رجب بحث نفيس في هذه المسألة ألخصه فيما يلي:

قال ـ رحمه الله ـ إن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الإسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين. فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها.

فهكذا اسم الإسلام والإيمان. إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده.

فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي.

وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة.

---

(١) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١ ـ ٣١٢ بتصرف. وأصله في طبقات الحنابلة ١/ ٢١٣.

(٢) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمشهور بحديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والشاهد فيه أن النبي فرق بينهما والحديث رواه مسلم ١/ ٣٦.

(٣) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وفيه (أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وترك رجلا منهم لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا. قال: مؤمنا أو مسلما قال فسكت قليلا ثم غلبني ماأعلم فيه فقلت مالك عن فلان والله وإني لأراه مؤمنا. قال: أو مسلما، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه.

الحديث في البخاري ٣/ ٣٤ فتح الباري.

(٤) حديث أبي هريرة يشبه حديث عمر المشهور وهو في البخاري ١/ ١١٤ مع الفتح وفي مسلم ١/ ٣٩.

قال أبو بكر الإسماعيلي(١) في رسالتـه إلى أهل الجبل: «قال كـثير من أهل السنـة والجماعة إن الإيمان قول وعـمل. والإسلام فعل ما فـرض الله على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل المؤمنون والمسلمون مفردان أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

قال: وقد ذكر هذا المعـنى أيضا الخطابي في كتابـه معالم السنن(٢) وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

قال: ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفردا في حديث وفد عبدالقيس(٣) بما فسـر به الإسلام المقـرون بالإيمان في حـديث جبريل، وفـسر في حديث آخر الإسلام بمـا فسر به الإيمان كمـا في حديث عمـرو بن عبـسة قال: جـاء رجل إلى الـنبـي ﷺ فقال يـارسول اللـه ما الإسلام؟ قال: أن يسـلم قلبك لله وأن يسـلم المسلمون من لـسانك ويدك، قال فأي الإسلام أفضل قال: الإيمان قال: ومـا الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت(٤). الحديث.

فجعل النبي ﷺ الإيمان أفضل الإسلام وأدخل فيه الأعمال. . . . .

وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الإختلاف فيقال:

---

(١) الامام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبوبكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي شيخ الشافعية ولد [٢٧٧] وت (٣٧١) السير (١٦/ ٢٩٢).

(٢) معالم السنن للخطابي ٤/ ٣٢١.

(٣) حديث وفد عـبدالقيس رواه مسـلم في صحيحـه ١/ ٤٦ وفيه (. . . . .
أمرهم بـأربع ونهاهم عـن أربع قال: أمرهم بالإيمـان بالله.وحده وقـال هل تدرون ما الإيمان بـالله وحده؟ قالوا اللـه ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول اللـه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمسـا من المغنم) الحديث.

(٤) حديث عمرو بن عبسة. رواه الإمام أحمد في مسنده/ ١١٤).

إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بـالذكر فلا فرق بينهما حـينئذ وإن قرن بين الإسمـين كان بينـهما فرق والـتحقيـق في الفرق بـينهمـا أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هـو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له وذلك يكون بالعمل وهو الـدين كما سمى الله في كتابه الإسلام دينا، وفي حديث جبريل سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينا.

وهذا أيضـا مما يدل على أن أحد الإسـمين إذا أفرد دخل فيـه الآخر وإنما يفرق بيـنهما حيث قـرن أحد الاسمين بالآخر فـيكون حينئـذ المراد بالإيمان جنـس التصـديق وبالإسـلام جنس الـعمل. ومـن هنا قـال المحققـون من العلماء: كل مؤمـن مسلم فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلـبه قام بأعمال الإسلام، كما قال ﷺ (ألا وإن في الجسد مضـغة إذا صلحت صلح الجسد كلـه وإذا فسدت فسـد الجسد كـله ألا وهي القـلب)(١) فلا يتحقـق القلب بالإيمان إلا وتنبعـث الجوارح بأعمال الإسلام وليس كل مسلـم مؤمنا، فإنه قد يكون الإيمان ضـعيفا فلا يتحقق الـقلب به تحققا تاما مـع عمل جوارحه أعمال الإسـلام فيكون مسلـما وليس بمؤمن الإيمـان التام كما قال تـعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

فلم يكـونوا منافقين بالـكلية على أصح الـتفسيرين وهو قـول ابن عباس وغيره بل كان إيمانهم ضعيفا(٢).

وبهذا التفصيل القيم من ابن رجب يتضح لنا الفرق بين الإسلام والإيمان فجزاه الله عنا أفضل الجزاء.

قول الإمام الشافعي في الفرق بين الإسلام والإيمان:

الذي يظـهر من النـصوص الواردة عن الإمـام الشافعـي رحمه اللـه أنه

---

(١) الحديث رواه البخاري. انظر: الفتح ١/ ١٢٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٦ ـ ٢٧.

لايفرق بين الإسلام والإيمان بل قد صرح في بعض الروايات أن الإسلام هو الإيمان.

فقد قال رحمه الله في باب عتق الرقبة المؤمنة في الظهار(١) فإذا وجبت كفارة الظهار على الرجل وهو واجد لرقبة أوثمنها لم يجزه فيها إلا تحرير رقبة ولاتجزئه رقبة على غير دين الإسلام لأن الله عزوجل يقول في القتل ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ وكان شرط الله تعالى في رقبة القتل إذا كانت كفارة كالدليل والله تعالى أعلم على أن لايجزيء رقبة في الكفارة إلا مؤمنة كما شرط الله عزوجل العدل في الشهادة في موضعين(٢) وأطلق الشهود في ثلاثة(٣) مواضع، فلما كانت شهادة كلها اكتفينا بشرط الله عزوجل فيما شرط فيه واستدللنا على أن ما أطلق من الشهادات إن شاء الله تعالى على مثل معنى ما شرط وإنما رد الله عز ذكره أموال المسلمين على المسلمين - لاعلى المشركين فمن أعتق في ظهار غير مؤمنة فلايجزئه وعليه أن يعود فيعتق مؤمنة.

قال: وأحب إلي أن لايعتق إلا بالغة مؤمنة فإن كانت أعجمية فوصفت الإسلام أجزأته(٤).

أخبرنا مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم أنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن جارية لي كانت

(١) الأم ٥/ ٢٨٠.

(٢) في قوله تعالى ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة ١٠٦. وقوله ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الطلاق ٢.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ البقرة ٢٨٢. وقوله ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ النساء ١٥. وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ النور ٤.

(٤) الأم (٥/ ٢٨٠).

ترعى غنمـا لي فجئتها وفقـدت شاة من الغنم فسألـتها عنها فقالـت أكلها الذئب فـأسفت علـيها وكنـت من بني آدم فـلطمت وجـهها وعلـي رقبة، أفأعتقها فقال لها رسول الله ﷺ أين الله؟ فقالت في السماء فقال: من أنا فقالت: رسول الله قال فأعتقها.

قال عمر بن الحكم أشياء يارسول الله كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان فقـال النبي ﷺ: لاتأتوا الكهان فـقال عمر: وكنا نتطـير فقال «إنما ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلايصدنكم»(١) قال الشافعي - رحمه الله تعالـى- إسم الرجل مـعاوية بن الحـكم كذلك روى الـزهري ويحيـى بن كثير(٢).

قال الشافعي: وإذا أعتق صبية أحد أبـويها مؤمن أجزأت عنه إن شاء الله تعالى لأنا نصلي عليها ونورثها ونحكم لها حكم الإيمان.

وإن أعتق مرتدة عن الإسلام لم تجزيء ولو رجـعت بعد عتقه إياها إلى الإسلام لأنه أعتقها وهي غير مؤمـنة وإن ولدت خرساء على الإيمان وكانت تشير به وتصلي أجزأت عنه إن شاء الـله وإن جاءتنا من بلاد الشرك مملوكة

---

(١) راجع الموطأ ٢/ ٧٧٦ - ٧٧٧.

والحديث رواه الإمام مسـلم في صحيحه ١/ ٣٨٢ عن معـاوية بن الحكم في سياق طـويل وفيه قال اعتقها فإنها مؤمنة.

وأبوداود ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥ عن معاويه بن الحكم.

وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٣٩٥.

وانظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة ١/ ٢٨٠.

وانظر: الإيمان لشيخ الإسلام ٣٩٨.

(٢) قال ابن عبدالبر رحمه الله (كذا قال مالك - يعني عن عمر بن الحكم - وهو وهم عند جميع علماء الحديث وليس فـي الصحابة عمر بن الحكم وإنمـا هو معاوية بن الحكم كمـا قال كل من روى هذا الحديث عن هلال أو غيره ومعـاوية بن الحكم معروف في الصحابة وحديثـه هذا معروف وأما عمر ابن الحكم فتابعي أنصاري مدني معروف.

شرح الزرقاني ٤/ ٨٤.

خرساء فأشارت بالإيمان وصلت وكانت إشارتها تعقل فأعتقها أجزأت إن شاء الله تعالى. وأحب إليّ ألا يعتقها إلا أن تتكلم بالإيمان وإن سبيت صبية مع أبويها كافرين فعقلت ووصفت الإسلام إلا أنها لم تبلغ فأعتقها عن ظهاره لم تجزيء حتى تصف الإسلام بعد البلوغ، فإذا فعلت فأعتقها أجزأت عنه، وإذا وصفت الإسلام بعد البلوغ فأعتقها مكانه أجزأت عنه ووصفها الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتبرأ مما خالف الإسلام من دين فإذا فعلت فهذا كمال وصف الإسلام وأحب إليّ لو امتحنها بالإقرار بالبعث بعد الموت وما أشبهه)[1]. ا ـ هـ.

وقال البيهقي وذكر في رواية الزعفراني عنه في الكتاب القديم حديث عبيدالله بن عبدالله بن عتبة مرسلا: أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية له سوداء فقال رسول الله ﷺ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت نعم قال: أتشهدين أن محمدا رسول الله؟ قالت: نعم قال أتوقنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ اعتقها[2] قال الزعفراني[3]: قال أبوعبدالله الشافعي: وفي هذا الحديث والذي قبله الدلالة على أن وصف الإسلام إسلام يوجب لصاحبه إسم الإسلام والإسلام: الإيمان[4].

---

(١) الأم ٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.
وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢٩٤.

(٢) انظر: الموطأ ٢/ ٧٧٧.
وكتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٧ ومناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٣٩٥.

(٣) أبوعلي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البزار يروي عن سفيان بن عيينة وكان راويا للشافعي وكان يحضر أحمد وأبوثور عند الشافعي رحمهم الله وهو الذي يتولى القراءة عليه فلما فرغ من قراءة كتاب الرسالة قال له الشافعي من أي العرب أنت قال: فقلت ما أنا بعربي وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية، قال فقال لي أنت سيد هذه القرية ت٢٤٩هـ.
انظر الأنساب ٦/ ٢٨٠، التقريب رقم ١٢٨١.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٣٩٥.

قال البيهقي: قلت وفي هذا إشارة من الشافعي رحمه الله إلى أن الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد إذا كانا حقيقة أو كانا باللسان دون العقيدة في حقن الدم وإنما يفترقان إذا كان أحدهما حقيقة والآخر بمعنى: الإستسلام خوفا من السيف.

قال الشافعي في رواية الربيع:

أخبر الله تعالى عن قوم من الأعراب فقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾(١) فأعلمه أنه لم يدخل الإيمان في قلوبهم وأنهم أظهروه وحقن به دماءهم.

قال الشافعي: قال مجاهد في قوله: (أسلمنا) قال استسلمنا مخافة القتل والسبي(٢).

---

(١) الآية: ١٤ من سورة الحجرات والأثر رواه البيهقي في المناقب ١/ ٣٩٦.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم هل هو إسلام يثابون عليه أم هو من جنس إسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف.

أحدهما: أنه إسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروي عن الحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد وأحمد بن حنبل وسهل بن عبدالله التستري وأبي طالب المكي وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق.

والقول الثاني

أن هذا الإسلام: هو الإستسلام خوف السبي والقتل مثل إسلام المنافقين قال وهؤلاء كفار فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الإيمان قلبه فهو كافر وهذا اختيار الشافعي ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون في ذلك.

وقد بين رحمه الله معنى هذه الآية في عدة مواضع من كتابه ١٥٠، ٢٢٥، ٢٤٦، ٣٤٩. الإيمان.

وقد سبق أن بينت القول الراجح في هذه المسألة بما أغنى عن إعادته هنا.

وانظر: الأم ٦/ ١٦٥.

وقال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ بعد سرده لأقوال المفسرين في هذه الآية:

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، القول الذي ذكرناه عن الزهري وهو أن الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا =

الخلاصة

الذي يظهر لي من النصوص السابقة أن الإمام الشافعي رحمه الله يرى أن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد ولايفرق بينهما وهو بهذا يوافق قول بعض السلف كالإمام أبي عبدالله البخاري والإمام محمد بن نصر المروزي[١]. والله أعلم

= بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لايشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقق وهو أن يقولوا أسلمنا بمعنى دخلنا في الملة والأموال والشهادة الحق). حـ ٢٩/ ١٤٢ ـ ١٤٣.

أما تفسير مجاهد ـ رحمه الله ـ لهذه الآية فقد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره فقال حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن رجل عن مجاهد (قولوا أسلمنا قال استسلمنا) ٢٦/ ١٤٢.

قال شيخ الإسلام، هذا منقطع فسفيان لم يدرك مجاهد. الإيمان ٢٢٦.

(١) وانظر الأم ٦/ ١٥٦ ـ ١٥٩، ١٦٤ ـ ١٦٧.

الفصل الرابع

حكم مرتكب الكبيرة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حكم الكبائر دون الشرك.

المبحث الثاني: حكم تارك الصلاة.

المبحث الثالث: حكم السحر والساحر.



المبحث الأول: حكم الكبائر دون الشرك

إن من فضل الله على هذه الأمة الإسلامية أن جعل فيها أئمة ربانيين يدافعون عن دينه شبه المبطلين وانتحال المنتحلين.

وكان من أعظم المواقف التي وقفها هؤلاء العلماء دفاعا عن دين الله وشرعه موقفهم من أهل الذنوب الذين يظهرون التعبد بدين الإسلام.

فقد وقف أهل السنة والجماعة في مسألة العصاة من أهل القبلة موقفا وسطا بين فرقة أفرطت وهم الخوارج والمعتزلة، وبين فرقة فرطت وهم المرجئة.

فقد كفر الخوارج مرتكب الكبيرة فى الدنيا إذا لم يتب وحكموا عليه بالخلود في النار في الآخرة على خلاف بينهم في نوع الكفر.

وقالت المعتزلة بخلوده كذلك في النار إلا أنهم قالوا هو في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولاكافر أما المرجئة فقالوا إن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن كامل الإيمان وكل مؤمن في الجنة وغلا بعضهم فقال لايضر مع الإيمان ذنب كما لاينفع مع الكفر طاعة[١].

أما أهل السنة والجماعة فقد اتفقوا على أن المؤمن لايخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها وإذا عمل شيئا منها فمات قبل التوبة لايخلد في النار كما جاء به الحديث بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته كما ورد في حديث عبادة بن الصامت في البيعة[٢].

---

(١) انظر: معتقد هذه الفرق في هذا الباب علي التفصيل في الفصل لابن حزم ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٤٧.

(٢) نعني ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء: أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولانقتل أولادنا ولايعضه بعضنا بعضا فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أتى منكم حداً فأقيم عليه فهو كفارته ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له) ٣/ ١٣٣٣.

واختلفوا في ترك الصلاة المفروضة (كسلاً وتهاونا) فكفره بعضهم ولم يكفره الآخرون(١).

هذا ملخص مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة مرتكب الكبيرة من أهل القبلة وقد بنوا هذا المعتقد على أدلة من الكتاب والسنة منها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢).

ووجه الدلالة من الآية أن كل الذنوب ما عدا الشرك فهي داخلة تحت مشيئة الله إن شاء غفر لصاحبها وإن لم يتب، وإن شاء عذبه بذنبه.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تبارك وتعالى لذلك في صحيحه فقال باب المعاصي من أمر الجاهلية ولايكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ (إنك أمرؤ فيك جاهلية) وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٣).

وقال رحمه الله:

باب ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(٤). (فسماهم المؤمنين)(٥).

هذا هو الدليل الثاني من أدلة أهل السنة والجماعة على عدم كفر مرتكب الكبيرة فقد سمى الله المتقاتلين مؤمنين مع تلبسهم بالذنب وهو الإقتتال.

أما من السنة فأعظم حديث استدلوا به حديث بيعة النساء وسيأتي إن

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ١٠٣.
(٢) الآية: ٤٨، ١١٦ من سورة النساء.
(٣) فتح الباري ١/ ٨٤. والآية (٤٨، ١١٦) سورة النساء.
(٤) الآية ٩ من سورة الحجرات.
(٥) فتح الباري ١/ ٨٤.

شاء الله عند ذكري لمذهب الإمام الشافعي في هذه المسألة والحديث في البخاري من رواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه(١) واستدلوا أيضا بما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم اتيته فإذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق «ثلاثا» ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر)(٢).

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) الحديث.

قال: هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لايفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا مع الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لاعلم إلاما نفع ولامال إلا الإبل ولاعيش إلا عيش الآخره قال وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لايسرقوا ولايزنوا ولايعصوا إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عزوجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

(١) فتح الباري ١/ ٦٤ وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.
(٢) الحديث رواه مسلم ٢/ ٩٤ بشرح النووي.

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لايكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة(١) ١ ـ هـ.

هذه أهم الأدلة التي ذكرها أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وفيها -ولله الحمد- غنية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قول الامام الشافعي رحمه الله في الذنوب التي هي دون الشرك.

يرى الشافعي أن المذنب من أهل القبلة داخل تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

يقول رحمه الله: (من تولى يوم الزحف لامنحرفا لقتال ولامُتحيزا إلى فئة خفت عليه ـ إلا أن يعفو الله ـ أن يكون قد باء بسخط من الله)(٢).

وقال فيمن نظر إلى فرج حرام لتلذذ أو غير شهادة عامدا: (كان حرجا إلا أن يعفو الله عنه)(٣).

وقال في الفرق بين النكاح الذي تثبت به حرمة المصاهرة وبين الزنا الذي لاتثبت به تلك الحرمة: (وذلك أن الله رضي النكاح وأمر به وندب إليه فلا يجوز أن تكون الحرمة التي أنعم الله بها على من أتى مادعاه الله إليه كالزاني العاصي لله الذي حده الله وأوجب له النار إلا أن يعفو عنه)(٤).

وقال رحمه الله في وصيته: «وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل في الدنيا من خير وشر إن لم يعفه جل ثناؤه»(٥).

وقد بنى عقيدته هذه على نصوص من الكتاب والسنة.

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٤١ ـ ٤٢.
(٢) الأم ٤/ ١٦٩.
انظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٢٨.
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٢٩.
(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٢٩، وانظر: الأم ٥/ ١٥٤.
(٥) الأم: ٤/ ١٢٢، وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٢٩.

فقال ـ رحمه الله ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

قال: فذكر الله عزوجل اقتتال الطائفتين، والطائفتان الممتنعتان الجماعتان كل واحدة تمتنع أشد الإمتناع أو أضعف إذا لزمها اسم الإمتناع وسماهم الله تعالى المؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم فحق على كل أحد دعاء المؤمنين إذا افترقوا وأرادوا القتال أن لايقاتلوا حتى يدعو إلى الصلح وبذلك قلت لايبيت أهل البغي قبل دعائهم لأن على الإمام الدعاء كما أمر الله عزوجل قبل القتال وأمر الله عزوجل بقتال الفئة الباغية وهي مسماة باسم الإيمان حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها لأن الله عزوجل إنما أذن في قتالها في مدة الإمتناع بالبغي إلى أن تفيء(٢).

وروى الشافعي ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبادة بن الصامت قال، كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: بايعوني عَلَى أن لاَّ تشركوا بالله شيًّئا وقرأ عليهم الآية(٣) وقال: فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه(٤).

قال الشافعي: لم أسمع في الحدود حديثا أبين من هذا(٥). قال

---

(١) الآية: ٩ من سورة الحجرات.

(٢) الأم ٤/ ٢١٤

وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٤٥.

وكتاب أحكام القرآن له ١/ ٢٨٩.

(٣) الآية قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢ ـ الممتحنة.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه ١/ ٦٤ فتح الباري.

وهو في ترتيب مسند الشافعي ١/ ١٥.

(٥) انظر الأم ٦/ ١٣٨.

ومناقب البيهقي ١/ ٤٢٧، الترمذي ٢/ ٤٤٨.

الشافعـي: وقد روي عن النبيﷺ أنـه قال: «ومايدريك لعـل الحدود نزلت كفارة للذنوب»[١] وهو يشبه هذا وهو أبين منه وقد روي عن رسول اللهﷺ حديـث معـروف عنـدنا وهو غيـر متصل الإسناد فيما أعرفه وهـو أن رسول الله ﷺ قال: «من أصاب منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يُبْدِ لَنَا صفحته نقم عليه كتاب الله عزوجل»[٢].

قـال: وروي أن أبا بـكر أمـر رجلا فـي زمان الـنبـي ﷺ أصاب حـدا بالإستتار[٣] وأن عمر أمره به وهـذا حديث صحيح عنهما. قـال الشافعي: ونحن نحب لمن أصاب الحد أن يستتر وأن يتقى الله عزوجل ولايعود لمعصية الله فإنّ الله عزوجل يقبل التوبة عن عباده[٤].

وسئل رحـمه الله عن المـسلم يكتب إلـى المشركين من أهـل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم أو بالعورة مـن عوراتهم هل يحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟.

فأجاب رحمه الله: لايحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل أو يزني بعـد إحصان أو يكفر كفـرا بينا بعد إيمان ثـم يثبت على الكـفر وليس الدلالة على عـورة مسلم ولا تأييد كافـر بأن يحذر أن المسلمين يـريدون منه غرة ليـحذرها أو يتقـدم في نكاية المـسلمين بكـفر بين[٥]. . . . . ثـم أورد الدليل علـى ذلك وهو حديث على رضى الـله عنه قال: بعثنـا رسول الله

---

(١) يعني والله أعلـم- الحديث الذي رواه الحاكم(٢/ ١٤) عن أبي هريـرة وفيه(ومأادري الحدود كفارات لأهلها أم لا) وقـال: صحيح على شرط الشـيخين ولم يخرجاه ووافقـه الذهبي، وعنه البيـهقي في السنن(٨/ ٣٢٩).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٦٦٣.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي ٤/ ٧١٦.

(٤) الأم: ٦/ ١٣٨.

(٥) انظر: الأم ٤/ ٢٤٩.

وانظر أحكام القرآن للبيهقي ٢/ ٤٧.

ﷺ أنا والمقداد والزبير فـقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فـإن بها ظعينة معها كتاب فـخرجنا تعادى بنا خيلنا فـإذا نحن بالظعينة فقلـنا لها: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي كتاب.

فقلنا: لتخرجن الـكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عفـاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فـإذا فيه من حاطب ابن أبـي بلتعة إلى ناس مـن المشركين بمكة يخبـر ببعض أمر النبي ﷺ قـال: (ماهذا ياحاطب قال لاتعـجل عليَّ يارسول الله إني كنت امرءا ملصقا فـي قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة قرابة فأحبـبت إذ فاتني ذلـك أن أتخذ عندهم يـدا والله مافعـلته شكًا فـي ديني ولارضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ (إنه قد صدق) فقال عمر يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل اللـه عزوجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعـملوا ماشئتم فقد غفرت لكـم) قال فنزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾(١).

والخلاصة أن الشـافعي رحمه الله يـرى أن مرتكب الكبيـرة لايخرج من الإسلام بذنبـه وأنه إن تاب، تاب الله عليـه وإن أقيم عليه الحد فـهو كفارة له، وإن مات مصرا على ذنبه فهو إلـى الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه إلا أنه لايخلد في النار. والله أعلم(٢).

---

(١) الآية ١ من سورة الممتحنة.

(٢) والحديث رواه البخاري في الصحيح ٨/ ٦٣٣ فتح البـاري ومسلم، وانظر: تفسير الطبري جـ٢٨/ ٥٨، والأم للشافعي ٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ وأحكام القرآن للبيهقي ٢/ ٤٦ ـ ٤٧.

المبحث الثاني: حكم تارك الصلاة عمدا من غير جحود لوجوبها

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: لايختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر وأن إثمه عند الله أعظم من قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنى والسرقة وشرب الخمر وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة.

ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره فأفتى سفيان بن سعيد الثوري وأبوعمرو الأوزاعي وعبدالله بن المبارك وحماد بن زيد ووكيع بن الجراح ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأصحابهم بأنه يقتل..........

وقال ابن شهاب الزهري وسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة وداود بن علي والمزني: يحبس حتى يموت أو يتوب ولايقتل[1] أ ـ هـ.

ثم ساق رحمه الله أدلة الفريقين في مبحث نفيس جدا.

ثم اختلف القائلون بقتله في سبب قتله هل يقتل حدا كما يقتل القاتل والمحارب والزاني.

أم يقتل ردة فيكون ترك الصلاة من الأعمال المكفرة كفرا مخرجا من الملة فيستثنى من الكبائر كما استثني الشرك من حديث عبادة بأدلة أخرى من الكتاب والسنة على قولين.

---

(١) كتاب الصلاة ١٦ ـ ٢٢. لابن القيم وانظر: المغني ٣/ ٣٥١.
والمجموع للنووي (٣/ ١٣) والمحلى لابن حزم (٢/ ٢٤٢) ونيل الأوطار (١/ ٣٦٩) وشرح السنة (٢/ ١٨٠).

القول الأول:

كفر أصحاب هذا القول تارك الصلاة عمدا وأوجبوا قتله وقالوا يقتل كما يقتل المرتد وهذا القول مروي عن الإمام أحمد وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي وأبي عمرو والأوزاعي وأيوب السختياني وعبدالله ابن المبارك وإسحاق بن راهوية وعبدالملك بن حبيب من المالكية وأحد الوجهين في مذهب الشافعي وحكاه الطحاوي عن الشافعي نفسه(*) وحكاه(**) ابن حزم عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعبدالرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة[1].

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي ـ رحمه الله ـ قد ذكرنا في كتابنا هذا مادل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من تعظيم قدر الصلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها والتغليظ بالوعيد على من ضيعها والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل وعظم القدر.

قال: ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي ﷺ في إكفار تاركها وإخراجه إياه من الملة وإباحة قتال من امتنع من إقامتها ثم جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم مثل ذلك ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك[2] واستدل أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.

فمن الكتاب:

الدليل الأول: قال تعالى: **﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ**

---

(١) انظر: الصلاة لابن القيم ٣٣، وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري ١/ ٣٩٣، وانظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٩ والمحلى ٢/ ٢٤٢.

(*) انظر: مشكل الآثار للطحاوي ٤/ ٢٢٨.

(**) الصلاة لابن القيم ٣٣.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٩٢٥.

أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(١).

وجه الدلالة من الآية:

أنه سبحانه أخبر أنه لايجعل المسلمين كالمجرمين وأن هذا الأمر لايليق بحكمته ولابحكمه ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين فقال: يوم يكشف عن ساق وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى فيحال بينهم وبينه فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا.

وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كميامن البقر ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين.

الدليل الثاني:

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾(٢).

وجه الدلالة من الآية، أن الله سبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات ولو كان من عصاة المسلمين لكانوا في الطبقة

(١) الآيات ٣٥ ـ ٤٣ من سورة القلم.
(٢) الآيتان ٥٩ ـ ٦٠ من سورة مريم.

العليا من طبقات النار. ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو فى أسفلها فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام بل من أمكنة الكفار.

ومن الآية دليل آخر وهو قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وءامن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئا﴾.

فلو كان مضيع الصلاة مؤمنا لم يشترط في توبته الإيمان وأنه يكون تحصيلا للحاصل.

الدليل الثالث:

وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(١).

ووجه الدلالة أن الله أمرنا بقتل المشركين وشرط في تخلية سبيلهم التوبة وهي الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة وإيتاء الزكاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا مؤمنين.

الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(٢).

وجه الدلالة من الآية: أن الإسلام تصديق للخبر وفعل للأمر ولها ضدان عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب والصلاة بالتولي فقال تعالى ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فكما أن المكذب كافر فالمتولي من الصلاة كافر.

---

(١) الآيات ٥/ ١١ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ٣١ ـ ٣٢ من سورة القيامة.

الدليل الخامس:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(١).

وجه الإستدلال بالآية. أنه سبحانه نفى الإيمان عمن إذا ذكروا بآيات الله لم يخروا سجدا مسبحين بحمد ربهم ومن أعظم التذكير بآيات الله التذكير بآيات الصلاة فمن ذكر بها ولم يتذكر ولم يصل لم يؤمن بها لأنه سبحانه خص المؤمنين بها بأنهم أهل السجود وهذا من أحسن الإستدلال وأقربه فلم يؤمن بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ...﴾(٢) إلا من التزم إقامتها.

الدليل السادس:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، ذكر هذا بعد قوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾(٣) ثم توعدهم على ترك الركوع. وهو الصلاة إذا دعوا إليها ولا يقال: إنما توعدهم على التكذيب فإنه سبحانه إنما أخبر عن تركهم لها وعليه وقع الوعيد.

قال ابن القيم رحمه الله: على أنا نقول: لا يصر على ترك الصلاة إصراراً مستمراً من يصدق بأن الله أمر بها أصلا. فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقاً جازماً: أن الله فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب ومع ذلك مصر على تركها هذا من المستحيل قطعاً، فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبداً فإن الإيمان يأمر صاحبه بها فحيث لم يكن في قلبه ما يأمره فليس في قلبه شيء من الإيمان. ولا تصغ إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم

(١) الآية ١٥ من سورة السجدة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة البقرة.

(٣) الآيات ٤٦، ٤٨، ٤٩ المرسلات.

بأحكام القلوب وأعمالها وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد وبالجنة والنار وأن الله فرض عليه الصلاة وأن الله يعاقبه معاقبة على تركها وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته وعدم الموانع المانعة له من الفعل(١).

الأدلة من السنة - الدليل الأول:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٢).

الدليل الثاني: ماوراه بريدة بن الحصيب الأسلمي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)(٣).

الدليل الثالث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما، فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولابرهانا ولانجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)(٤).

قال ابن القيم رحمه الله وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفر وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أوملكه أورئاسته أو تجارته فمن شغله ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رئاسة ووزارة فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف(٥).

---

(١) الصلاة لابن القيم ٣٧ ـ ٤٤ بتصرف، وانظر: تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٩٨٨ وما بعدها والمغني ٣/ ٣٥٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم ٤٤ ومسلم في الإيمان ١/ ٨٨ والترمذي في الإيمان ٤/ ١٢٥. والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٨٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان ٤/ ١٢٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب وأحمد في مسنده ٥/ ٣٤٦ وابن أبي شيبة رقم ٤٦ وغيرهم انظر تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٨٧٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٢/ ١٦٩ وابن حبان ٢٥٤ وعزاه الهيثمي في المجمع ١/ ٢٩٢ إلى الطبراني في الكبير والأوسط وقال ورجال أحمد ثقات وقال المنذري في الترغيب ١/ ٣٨٦ إسناده جيد.

(٥) الصلاة لابن القيم ٤٦- ٤٧.

الدليل الرابع: ما رواه معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)(١).

ووجه الإستدلال به أنه أخبر أن الصلاة من الإسلام بمنزلة العمود من الخيمة فكما تسقط الخيمة بسقوط عمودها فهكذا يذهب الإسلام بذهاب الصلاة قال ابن القيم وقد احتج أحمد بهذا بعينه.

الدليل الخامس: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته)(٢).

ووجه الدلالة فيه: أنه إنما جعله مسلما بهذه الثلاثة فلايكون مسلما بدونها وأنه إذا صلى لغير القبلة لم يكن مسلما حتى يصلي إليها فكيف إذا ترك الصلاة بالكلية.

الدليل السادس: ما رواه محجن بن الأدرع الأسلمى: أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذن بالصلاة فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحجن في مجلسه فقال له: «ما منعك أن تصلي ألست برجل مسلم».

قال: بلى ولكني صليت في أهلي فقال له : (إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت)(٣).

فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة.. ولو كان الإسلام يثبت مع عدم الصلاة لما قال لمن رآه لايصلي: ألست برجل مسلم.

---

(١) الترمذي في الإيمان ٤/ ١٢٤ وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة رقم ٣٩٧٣ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٣١ وقال ابن القيم وهو حديث صحيح مختصر الصلاة ٤٧، ٤٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة ١/ ٤٩٦ فتح الباري.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٤ و٣٣٨ والنسائي ٢/ ١١٢ وصححه الحاكم ١/ ٢٤٤.

ولهم أدلة كثيرة غير هذه اكتفيت بما ذكر للإختصار(١).

النوع الثالث: إجماع الصحابة.

قال ابن زنجويه حدثنا عمر بن الربيع حدثنا يحيى بن أيوب عن يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة: أن عبدالله بن عباس أخبره أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته قال: فأمر عبد الرحمن ابن عوف أن يصلي بالناس فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه بالموت فلم يزل في غشيته حتى أسفر ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: «لا إسلام لمن ترك الصلاة» وفي سياق آخر: لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة)(٢) ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى وذكر القصة. فقال هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه.

وهو مروي عن معاذ بن جبل وعبدالرحمن بن عوف وأبي هريرة ولايعلم عن صحابي خلافهم(٣). قال عبدالله بن شقيق لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة)(٤).

---

(١) انظر: للزيادة تعظيم قدر الصلاة ٢/٨٧٣ - ٨٩٢.
والصلاة لابن القيم ٤٥ - ٥٠.

(٢) رواه مالك في الموطأ موقوفاً على عمر من حديث المسور بن مخرمة أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها فأيقظ عمر (لصلاة الصبح فقال عمر: (نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلى عمر وجرحه ينزف دما). الموطأ ١/ ٤٠ - ٤١ وإسناده صحيح. وقد روي مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه (لاسهم في الإسلام لمن لاصلاة له) وقد عزاه الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٢) وقال فيه عبدالله بن سعيد وقد أجمعوا على ضعفه.

(٣) انظر: الصلاة لابن القيم ٥٠ - ٥١.
وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٨٩٢ - ٩٠٥، ٩٢٥.

(٤) رواه الترمذي في الإيمان ٤/ ١٢٦ ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٩٠٤ - ٩٠٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٥٦٤.

القول الثاني:

ذهب الفريق الثاني من القائلين بقتل تارك الصلاة كسلا إلى أنه يقتل حدا لاكفرا وممن قال بـهذا القول الإمام مالك. واختار ابن بـطة هذه الرواية[١] ورجح ابن قدامة في المغني هذا القول وقال هو اختيار أكثر الفقهاء[٢].

وهذه هي الرواية المشهورة عن الشافعي - رحمه الله - وهي المعتمدة في مذهبه[٣].

قال الشافعي - رحمه الله -:

من ترك الصلاة المكتوبة ممن دخل في الإسلام قيل له لم لا تصلي؟

فإن ذكر نسيانا قلنا فصل إذا ذكرت.

وإن ذكر مرضا قلنا فصل كيف أطقت قائما أوقاعدا أو مضطجعا أو موميا فإن قال أنا أطيق الصلاة وأحسنها لـكن لا أصلي وإن كانت علي فرضا قيل له الصلاة عليك شيء لايعمله عنـك غيرك ولا تكون إلا بعملك فإن صليت وإلا استتبناك فإن تبت وإلا قتلناك. . . . . .

قال: فلما كـانت الصلاة، وإن كان تاركها فـي أيدينا غير ممتنـع منا فإنا لانقدر على أخذ الصـلاة منه لإنها ليست بشيء يؤخذ من يديـه مثل اللقطة والخراج والمال قلنا: إن صليت وإلا قتلناك كـما يكفر فنقول إن قبلت الإيمان وإلاقتلناك إذ كان الإيمان لايكون إلا بقولك وكانت الصلاة والإيمان مخالفين معا ما في يديك وما تأخذ من مالك لأنا نقدر على أخذ الحق منك في ذلك

---

(١) انظر: الصلاة لابن القيم ٣٣.

(٢) المغني ٣/٣٥٩.

(٣) انظر: المجموع ٣/١٣ - ١٧، وانـظر: نيل الأوطار ١/٣٦٩ وشرح السنة ٢/ ١٨٠، وتـعظيم قدر الصلاة ٢/٩٥٦.

وإن كرهت. . وقال: وقد قيل يستتاب تارك الصلاة ثلاثا وذلك إن شاء الله تعالى حسن فإن صلى في الثلاث، وإلاقتل.ا ـ هـ.

وقال رادا على من ترك الصلاة. أرأيت لو قال لك قائل: من ارتد عن الإسلام إذا عرضته عليه فقال قد عرفته ولا أقول به أحبسه وأضربه حتى يقول به قال: ليس ذلك له لأنه قد بدل دينه ولايقبل منه إلا أن يقول به.

قلت (أي الشافعي): أفتعد الصلاة إذ كانت من دينه وكانت لا تكون إلابه كما لايكون القول بالإيمان إلابه أن يقتل على تركها أو يكون أمينا فيها كما قال بعض أصحابك فلانحبسه ولانضربه قال لايكون أمينا عليها إذا ظهرلي أنه لايصليها وهي حق عليه قلت (الشافعي): أفتقتله برأيك في الإمتناع من حكمك برأيك وتدع قتله في الإمتناع من الصلاة التي هي أبين ما افترض الله عز وجل عليه بعد توحيد الله وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ والإيمان بما جاء به من الله تبارك وتعالى[١].

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: حضور الجمعة فرض فمن ترك الفرض تهاونا كان قد تعرض شرا إلا أن يعفو الله، كما لو أن رجلا ترك صلاة حتى يمضي وقتها كان قد تعرض شرا إلا أن يعفو الله[٢].

وبهذا يتضح لنا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله في تارك الصلاة تكاسلا وأنه يستتاب فإن رجع وإلا قتل حدا لا كفرا، أما في الآخرة فهو داخل عنده تحت المشيئة فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وقد استدل -

---

(١) الأم ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦ بتصرف،
وانظر: المختصر للمزني ٣٤ والسير ١٠/ ٣٣.
(٢) الأم ١/ ٢٠٨.

رحمه الله - على قتله بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر قال لأبي بكر فيمن منع الصدقة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: (لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، قال أبو بكر: هذا من حقها يعني منعهم الصدقة[١] وقال في موضع آخر:

والحجة فيها ما وصفت من أن أبا بكر رضي الله عنه قال (لومنعوني عقالا مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه لاتفرقوا بين ما جمع الله[٢]. ا ـ هـ.

والحديث رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر ورواه أحمد وابن خزيمة عن أبي هريرة ورواه النسائي عن أنس بن مالك.

ولفظ حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[٣] ووجه الدلالة أن الصحابة قاتلوا مانع الزكاة فتارك الصلاة يقتل من باب أولى.

واستدل كذلك بحديث عبيدالله بن عدي بن الخيار أن رجلا سارَّ رسول الله ﷺ فإذا هو يستأمره في قتل رجل من المنافقين فقال: رسول الله ﷺ: (أليس يشهد أن لا إله إلا الله) قال: بلى ولاشهادة له. قال؟ (أليس يصلي)

---

(١) ترتيب مسند الشافعي ١/ ١٤.

(٢) الأم ١/ ٢٥٥.

(٣) البخاري ١/ ٧٥ فتح الباري ومسلم ١/ ٢٠٣ النووي.

قال: بلى ولاصلاة له فقال النبي ﷺ: (أولئك الذين نهاني الله تعالى عنهم)(١).

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ جعل المانع من قتل المنافق كونه يصلي فدل على أن من لم يصل يقتل فذهب الشافعي - رحمه الله - من هذين الحديثين إلى قتل تارك الصلاة كسلا وتهاونا. وقد استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة بأدلة كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾(٢).

ومن السنة، حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: (من شهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل)(٣) ونحو هذا من الأحاديث.

وأعظم ما يستدلون به حديث عبادة بن الصامت قال:-

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة

---

(١) انظر: ترتيب مسند الشافعي ١/ ١٣ - ١٤ والحديث رواه أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣ وأخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٧١ وقدروى الإمام مسلم نحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه قال خالد: ألا أضرب عنقه فقال: (لا لعله أن يكون يصلي): الحديث مسلم ١٥٦٤ في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) الآية (٤٨) من سورة النساء.

(٣) البخاري في كتاب الأنبياء ٣/ ١٢٦٧ ومسلم ٢٨ في الإيمان.

(٤) أحمد ٥/ ٣١٥، ٣١٩ وأبو داود (٤٢٥) والنسائي ١/ ٢٣٠ وابن ماجة ١٤٠١.

الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك(١).

واستدلوا كذلك بحديث صاحب البطاقة الذي تنشر له تسعة وتسعون سجلا كل منها مد البصر ثم تخرج له بطاقة فيها شهادة ألا إله إلا الله فترجح البطاقة ولم يذكر في البطاقة غير الشهادة(٢).

فهذه الأحاديث وأمثالها تمنع من التكفير والتخليد وتوجب من الرجاء له ما يرجى لسائر أهل الكبائر(٣) وتأولوا الأحاديث المصرحة بكفر تارك الصلاة وأنه كفر دون كفر فهو ليس بكفر جحود ولا يوجب لصاحبه التخليد في النار(٤).

القول الراجح في المسألة:

والقول الراجح في المسألة قول من قال يكفر تارك الصلاة كسلا وأنه يقتل ردة لاحداً- والله أعلم- وقد ردّ أصحاب القول الأول على أصحاب القول الثاني.

قال الشوكاني - رحمه الله - قد أطبق أئمة المسلمين من السلف والخلف والأشعرية والمعتزلة وغيرهم أن الأحاديث الواردة بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مقيدة بعدم الإخلال بما أوجب الله من سائر الفرائض وعدم فعل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٠ أبو داود (٨٦٤) والنسائي ٢/ ٢٣١ وابن ماجة ١٤٢٥، ١٤٢٦.
(٢) أحمد ٣/ ٢١٣ والترمذي (٢٧٧٦) وابن ماجة ٤٣٠٠.
(٣) انظر: للزيادة الصلاة لابن القيم ٣٣ - ٣٧ ونيل الأوطار - ١/ ٣٧٣ وما بعدها.
(٤) انظر: الصلاة ٥١ - ٥٢، تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٩٣٦.

كبيرة من الكبائر التي لم يتب فاعلها عنها وأن مجرد الشهادة لا يكون موجبا لدخول الجنة(١).

وقال الإمام محمد بن نصر - رحمه الله -.

وأما احتجاجهم بحديث عبادة فقد روينا من طرق عن عبادة - رضي الله عنه مفسرا. وفيه (من جاء بالصلوات الخمس قد أكملهن لم ينتقص من حقهن شيئا جاء وله عند الله عهد أن لايعذبه ومن جاء بهن وقد انتقص من حقهن شيئا جاء وليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء رحمه قال أبو عبدالله: فقال من جاء بهن قد انتقص من حقهن فأخبر أنه قد أتى بهن ناقصات من حقوقهن(٢).

قال: ومن حقوق الصلاة، الطهارة من الأحداث وطهارة الثياب التي تصلى فيها وطهارة البقاع التي تصلي عليها والمحافظة على مواقيتها والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود فمن أتى بذلك كاملا على ما أمر به فهو الذي له العهد عند الله تعالى بأن يدخله الجنة ومن أتى بهن لم يتركهن وقد انتقص من حقوقهن شيئا فهو الذي لا عهد له عند الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. فهذا بعيد الشبه من الذي يتركها أصلا لايصليها(٣).

وقال ابن القيم - رحمه الله -

والأدلة التي ذكرناها وغيرها تدل على أنه لايقبل من العبد شيء

---

(١) نيل الأوطار ١/٣٧٦.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٢/٩٦٧ - ٩٦٩ - بتصرف.

(٣) نفس المرجع ٢/٩٧١ باختصار.

من أعماله إلا بفعل الصلاة، فهي مفتاح ديوانه ورأس مال ربحه ومحال بقاء الربح بلا رأس مال فإذا خسرها خسر أعماله كلها وإن أتى بها صورة...

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه ويشد للقتل وعصبت عيناه وقيل له تصلي وإلا قتلناك فيقول اقتلوني ولا أصلي أبدا، ومن لايكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل. فلا يستحيي من هذا قوله من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة وإتفاق الصحابة[1]ا ـ هـ.

والحاصل أن الشافعي رحمه الله يرى عدم كفر تارك الصلاة كسلا وقد قامت الحجة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الصحابة على كفره والواجب على المسلم الوقوف عند النصوص الصحيحة وعدم التعصب لإمام مهما بلغت منزلته وهو ممن يحذر عن تقليده وقد سبق قوله إذا صح الحديث فهو مذهبي، والله أعلم.

(١) الصلاة لابن القيم ٦٢ - ٦٣ - بتصرف.

المبحث الثالث: حكم الساحر

مذهب أهل السنة والجماعة أن للسحر حقيقة وقد دل على ذلك الكتاب والسنة(١).

قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾(٤).

إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بثبوت السحر وتأثيره وأن له حقيقة.

ومن السنة:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (سحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم هو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، قلت:

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٩٩ وابن كثير ١/ ١٤٤ - ١٤٨، القرطبي ٢/ ٤٧ وأضواء البيان ٤/ ٤٤٤ وفتح الباري ١٠/ ٢٢٢.

(٢) الآية ١٠٢ سورة البقرة.

(٣) الآية ١١٦ سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤ من سورة الفلق.

وما ذاك يـارسول الله؟ قال: جـاءني رجلان فجـلس أحدهـما عنـد رأسي والآخر عـند رجلـي ثم قـال أحدهمـا لصاحـبه: مـا وجع الرجـل، قال مطبـوب، قال ومن طبه، قـال: لبيدبن الأعصـم اليهودي من بـني زريق، قال: فبماذا قال: في مشط ومشاطـة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو قال: في بئر ذي أروان، قال: فـذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابـه إلى البئر فنظر إليها وعـليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لـكأن ماءها نقاعة الحناء ولكـأن نخلها رؤوس الشيـاطين، قلت يارسول الله أفأخـرجته قال: لافقد عافـاني الله وشافاني وخشيت أن أثـور على الناس منه شـرا وأمر بها فدفنت(١).

وعن سـعد بن أبـي وقاص رضي الله عـنه قال: قـال: النبـي ﷺ: من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل) وقال غيره سبع تمرات(٢).

ووجه الدلالة من الحديث أن النبي ﷺ أثبت أن للسحر ضررا وأن ضرره يمكن دفعه باتخاذ الأسباب وذلك يدل على أنه ثابت وأن له حقيقة واختلفوا رحمهم الله في حكم من يتعلمه ويستعمله.

فذهب أبو حنيـفة ومالك وأحمد في رواية وجمهور من الـعلماء إلى أنه

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/ ٢٣٥ - ٢٣٦ الفتح.

(٢) أخرجه البخاري ١٠/ ٢٣٨ الفتح.

شرح الكلمات الغربية.

مُشْط ومُشاطَة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. النهاية (٤/ ٣٣٤).

جُف طلعة ذكر: الجف: وعاء الطلع وهو الغشاء الذي يكون فوقه. النهاية ١/ ٢٧٨.

بئر ذي أروان: بئر في المدينة معروف ويروى ذروان يقع شمـال المسجد النبوي وقد اندرست معالمها الان وانظر معجم البلدان ١/ ٢٩٩.

يكفر بذلك، وذهب الشافعي- رحمه الله - إلى التفصيل في ذلك فقال[١]:-

إن تعلم السحر قيل له صف لنا سحرك فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من القرب إلى الكواكب وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر .

وإن كان لايوجب الكفر فان اعتقد إباحته فهو كافر والإفلا وقد رجح[٢] الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - هذا القول فقال - رحمه الله-: والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلانزاع. ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة فإنه كفر بلا نزاع كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٦].

وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء

---

(١) انظر كلام الشافعي مفصلا في الأم(١/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي ١/ ٩٩ وابن كثير ١/ ١٤٤ والقرطبي ٢/ ٤٧ والمغني.

(٣) آية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٤) آية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٥) آية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٦) آية ٦٩ من سورة طه.

من دهـــانات وغيــرها فهو حــرام حرمة شــديدة ولكــنه لايبلــغ بصاحــبه الكفر[١].

وهناك مـسائل متفـرعة عن هذه المســألة مثل حد الـسحر وتوبة الــساحر والساحرة وحكم الساحر الذمي ونحوهــا وهي مسائل معروفة والخلاف فيها كبير وليس هذا موضع بسطها[٢] والله أعلم.

(١) انظر: أضواء البيان ٤/ ٤٥٦.
(٢) انظر: المرجع السابق ٤/ ٤٥٦ - ٤٦٢ وغيره من كتب التفسير، والفقه والحديث.

الباب الثالث

عقيدته في التوحيد ومنهجه في إثباتها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات.



الفصل الأول

توحيد الألوهية

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد.

المبحث الثاني: الحكمة من خلق الجن والإنس.

المبحث الثالث: القبور وما يتعلق بها.

المبحث الرابع: الحلف بغير الله.

المبحث الخامس: التطير.

المبحث السادس: الإستسقاء بالأنواء.

المبحث السابع: بعض الالفاظ التي كرهها الإمام الشافعي.

المبحث الثامن: الشفاعة.

المبحث التاسع: الرقى.



المبحث الأول: تعريف توحيد الألوهية

كلمة التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا ومادة وحد في اللغة تدور حول انفراد الشيء بذاته أوبصفاته أوبأفعاله وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

وإذا عدي بالتضعيف فقيل وحَّد الشيءَ توحيدا معناه إما جعله واحدا أو نسبه إلي الوحدانية.

قال الله تعالى حكاية عن الكفار ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾(١).

أما تعريف توحيد الألوهية اصطلاحا: فهو الإعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق للعبادة مع القيام بصرف هذه العبادات له وحده ولايصرف منها شيء لغيره والكلمة المعبرة عن هذا المعنى أدق تعبير كلمة الشهادة: لا إله إلا الله فمعناها أنه لامعبود بحق إلا الله(٢).

وإنما سمي إفراد الله بالعبادة توحيدا لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحد الله عز وجل واعتقده واحدا فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه ودعوته وحده والإيمان بأنه مدبر الأمور وخالق الخلق وأنه صاحب الأسماء

---

(١) الآية ٥ من سورة ص.
(٢) انظر: القاموس المحيط ٤١٤ مادة وحد.
لسان العرب ٣/٤٤٦ والمصباح المنير وحد.
دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس، لوامع الأنوار البهية ١/٥٧.
مجموع الفتاوى ١/١٠٤، ١٩/١٠٦،
مدارج السالكين ١/٢٥، اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٧.
شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣.

الحسنى والصفات الكاملة وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه[1] وهذا التوحيد هو الذي خلق الله الجن والإنس من أجله ومن أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب ولأهله خلق الجنة ولمن تركه خلق النار.

قال الله عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[5].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا، بل كل آيات وسور القرآن تدل على التوحيد وقد أحسن من قال القرآن توحيد كله.

لأنه إما

١- خبر عن الله وعن أسمائه وصفاته.

٢- دعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له.

٣- أمر ونهي وإلزام بطاعة وهو من لوازم التوحيد.

---

(١) دعوة التوحيد ٤٧.

(٢) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٣) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ٣٦ من سورة النحل.

(٥) الآية ٥ من سورة البينة.

٤- خبر عن أهل التوحيد وجزائهم في الدنيا والآخرة.

٥- خبر عن أهل الشرك وجزائهم في الدنيا والاخرة(١).

ومع أهمية هذا التوحيد إلا أنك تجد كثيرا ممن كتب في علم التوحيد لايهتمون به بل ويعترضون على من نبه عليه ودعا إليه وحذر من مخالفته ولذلك نجدهم قد تخبطوا في تفسير هذه الكلمة وصاروا طرائق قددا.

١- فالمعتزلة: أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد فصار من قال: إن لله علما أو قدرة أوإنه يرى في الآخرة ليس بموحد، إذ التوحيد نفي الصفات وسموا أنفسهم بالموحدين.

٢- وزاد عليهم غلاة الجهيمة والجبرية فنفوا صفات الرب سبحانه كعلمه وسمعه وبصره.

وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسماء الله وصفاته وأضافوا إلى ذلك القول بالجبر، وهو اعتقاد أن الله الفاعل لأفعال العباد فنسبتها إليهم والقول بأنهم فعلوها مناف للتوحيد عندهم.

٣- وغلا قوم من الجهيمة ووافقهم الفلاسفة فقالوا التوحيد إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده وإنكار صفات كماله وأنه لاسمع له ولابصر ولاقدرة ولا إرادة ولاحياة وليس فيه معنيان متميز أحدهما عن الآخر ألبتة قالوا لأنه لو كان كذلك لكان مركبا وكان جسما مؤلفا ولم يكن واحدا من كل وجه.

وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده لأنه يستحيل وجود ذات في الخارج بلاصفات ولذلك قال السلف (المعطلة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٨٩.

شرح الفقه الأكبر ملا على قاري

يعبدون عدما والمجسمة يعبدون صنمًا). وهذا النوع من التوحيد أدى بأقوام منهم إلى القول بالحلول والإتحاد[١].

٤- توحيد غلاة المتصوفة:

عرف غلاة المتصوفة التوحيد بأنه شهود حقيقة التوحيد فالموحد عندهم يرى الله عين كل شيء وهم أهل وحدة الوجود وأن الوجود عندهم شيء واحد ليس عندهم وجودان قديم وحادث وخالق ومخلوق وواجب وممكن بل الوجود عندهم واحد بالعين.

ومنهم من قال بل الله حال بذاته في كل شيء وهم أهل الحلول[١] قال ابن القيم رحمه الله:

وأتى فريق ثم قال وجدته .·. هـذا الوجود بعينه وعيان

ماثم موجود سـواه وإنما .·. غلط اللسان فقال موجودان

وأتى فريق ثم قال وجدته .·. بالذات موجدا بكل مكان

هو كالهـواء بعينه لاعينه .·. ملأ المكان ولايـرى بعيان[٢]

٥- التوحيد عند عامة المتكلمين:

إن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون:-

هو واحد في ذاته لا قسيم له.

واحد في صفاته لاشبيه له.

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٢/ ١٣٤).
الصواعق المرسلة ٣/ ٩٢٩.

(٢) شرح نونية ابن القيم للهراس (٦٠، ٦٦).

واحد في أفعاله لاشريك له.

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى لا إله إلا الله حتى قد يجعلوا معنى الألوهية القدرة على الإختراع وإليك ما يثبت هذا من كتبهم.

قال الشهرستاني:

وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية - يعنى بأهل السنة الأشاعرة ومن حذا حذوهم - إن الله تعالى واحد في ذاته لاقسيم له وواحد في صفاته لانظير له وواحد في أفعاله لاشريك له[١].

وقال أبو طالب المكي:

التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله تعالى واحد لا من عدد أول لاثاني له موجود لاشك فيه.

وأن أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولاتنفصل عنه[٢].

وقال النسفي في العقائد النسفية:

الواحد يعني أن صانع العالم واحد ولايمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود إلا على ذات واحدة.

معنى التوحيد: عدم الإشتراك في الواجب ومآله إلى عدم الكثرة في الجزئيات[٣].

---

(١) الملل والنحل ١/ ٤٢.
(٢) قوت القلوب ٢/ ٨٣ - ٩٠.
(٣) شرح العقائد النسفية٣٣.

وقال ابن عاشر:

يجب لله الوجود والقدم كذا البقـــاء والغنى المطلق عم

وخلـــقه لخلقه بلامثـــــال ووحدة الذات ووصف والفعال

قال الشارح:

الوحدانية أي لاثاني له في ذاته ولافي صفاته ولافي أفعاله[١].

وقال صاحب الجوهرة.

فواجب له الوجود والقدم كـــذا بقاء لايشاب بالعدم

قيامه بالنفس وحدانيـــــة منـــزها أوصـــافه سنيـــة

قال الشارح:

والمراد منها وحدة الذات بمعنى عدم الـتركيب من أجزاء ووحدة الصفات بمعنى عدم تعددهـا عن جنس واحد ووحدة الأفعال بمعنى أنه لاتـأثير لغيره في فعل من الأفعال[٢].

فهذه بعض النقـولات من كتب أهل الكلام توضح فهم القـوم للتوحيد ولا تكاد تجد زيادة على ذلك اللهم إلا بعض الخلاف في الأسلوب.

وغاية ما عندهــم أنهم جعلوا من أقر بربوبيـة الله عز وجل موحدا، ولم يلتفتوا إلى حـق الله سبحانه وتعالى على عباده ولا إلى الحـكمة التي خلق الله الجن والإنس لتحقيقها وتظهر خـطورة هذا الخطأ والقصور في التعريف عند المتكلمين في كتابات بعض المتأخرين حيث يقول:

---

(١) الدر الثمين والمورد المعين (٢١، ٢٢).

(٢) جوهرة التوحيد ٤٨.

الاعتقاد الصحيح أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لاتأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا هو التوحيد المحض بخلاف مالو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك..........
ومن اعتقد السببية في شيء من ذلك اطردت أولم تطرد فجعل الله تعالى لها سببا لحصول مسبباتها وأن الفاعل هو الله وحده لاشريك له فهو مؤمن. ولو أخطأ في ظنه ماليس يسبب سببا لأن خطأه في السبب لافي المسبب الخالق المدبر جل جلاله وعظم شأنه.....................
وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولاسبيل إلى تكفيرهم.

فالقائل يانبي الله اشفني واقض حاجتي لوفرض أن أحدا قاله فإنما يريد اشفع لي في الشفاء وادع لي بقضاء ديني وتوجه إلى الله في شأني[1].

وهذا أعظم شاهد على الإنحراف الخطير في فهم هذا الأمر وما تسبب به من خطأ في أصل العقيدة وهذا يدل على جهلهم بحقيقة دعوة الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ وجهلهم بحال الناس الذين بعث إليهم في مكة وغيرها مما جعلهم يحصرون التوحيد في الإقرار بوجود الخالق وتفرده بالخلق والرزق وهو ما يسميه العلماء توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك من أفعال الرب سبحانه وتعالى، وسأورد لك من كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ما يبطل هذه المعتقدات، ويبين بعدها عن مراد الله عز وجل.

---

(١) هذه مفاهيمنا (١١٦).

قال- رحمه الله -

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده.

فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد بهم التقرب إلى الله ونريد بهم شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لايصلح منه شيء لا لملك مقرب ولالنبي مرسل فضلا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لاشريك له وأنه لايرزق إلا هو ولا يحيى ولايميت إلا الله ولا يدبر إلا هو وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺيشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١).

ثم ذكر بعض الآيات في هذا المعنى ثم قال:-

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم

---

(١) الآيه ٣١ من سورة يونس.

إليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة.. كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات أونبيا مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾(٢).

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله والنذر كله لله والإستعانة كلها لله وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فتبين أن ما يسميه هؤلاء توحيداً بالجملة فيه حق وفيه باطل ولو كان جميعه حقا فإن المشركين إذا أقروا بذلك لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن وقاتلهم عليه الرسول الله ﷺ كما مر قريبا بل يلزمهم أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله)(٣).

وليس المراد بإلاله هو القادر على الإختراع كما ظنه من ظنه من أئمة

---

(١) الآيه ١٨ من سورة الجن.

(٢) الآية ١٤ من سورة الرعد.

(٣) كشف الشبهات ضمن مجموع التوحيد ١/ ٩٣ - ٩٥ باختصار.

المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الإختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الإختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه أي معبود(١).

والتوحيد أن يعبد الله وحده لاشريك له والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر.

ومما يزيد الأمر وضوحا أن كلمة التوحيد قد وردت في السنة وقد فسرها النبي ﷺ تفسيراً لايترك لأحد بعده كلاما ولايترك لصاحب بدعة أوشبهة طريقا إلى ترويجها.

فقد روى الإمامان الجليلان البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما بعث النبي صلى الله معاذا إلى نحو أهل اليمن قال له:-

إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)(٢).

وفي رواية: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)(٣) وفي رواية: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب ٤٦٧/١٣.
(٢) البخاري ٣٤٧/١٣ الفتح ومسلم ١٩٩/١ بشرح النووي.
(٣) البخاري ٣٥٨/٣ مع الفتح ومسلم ١٩٧/١ بشرح النووي.
(٤) البخاري ٣٢٢/٣ مع الفتح.

وفي رواية: (فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)(١).

وفي رواية لمسلم: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)(٢) وهذه الروايات متفقة بالمعنى.

فتوحيد الله هو إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والبعد عن عبادة ماسواه وهو معنى شهادة لا إله إلا الله ومن فقه الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه بدأ كتابه التوحيد في صحيحه بهذا الحديث حيث قال: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى(٣).

وذكر هذا الحديث ليبين أن دعوة النبي ﷺ هي لإفراد الله بالعبادة وهذا هو التوحيد الذي لا يرضى الله له بديلا.

ثم أتبع هذا الحديث بحديث آخر يزيد الأمر وضوحا ويبين حقيقة التوحيد الذي دعا النبي ﷺ أمته إليه.

وهو حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا. أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: أن لايعذبهم)(٤).

---

(١) البخاري ٣/ ٣٥٧، ٨/ ٦٤ الفتح.
(٢) مسلم ١/ ١٩٩ بشرح النووي.
(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٤٧).
(٤) البخاري ١٣/ ٣٤٧ مع الفتح.

فبين رحمه الله تفسير التوحيد وبدأ بالغاية وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة والكفر بما سواه وهو ما يسمى توحيد الألوهية لأهميته ولأن من حققه فقد أدى حق الله سبحانه وتعالى عليه وهو يتضمن الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته وربوبيته على خلقه أجمعين(١).

الحديث الثاني:

حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ بني الإسلام على خمس على أن يوحد الله)(٢). وفي رواية: (على أن يعبد الله ويكفر بما دونه)(٣). وفي رواية : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)(٤).

فهذا الحديث مثل الذي قبله وإن اختلفت رواياته إلا أنها تدل على معنى واحد وهو أن أول ركن من أركان الإسلام هو التوحيد وهو عبادة الله عز وجل، والكفر بما سواه وأعظم كلمة تجمع هذا المعنى هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الحديث الثالث:

حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي ﷺ وفيه (فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد (لبيك لاشريك لك) الحديث(٥).

وبعد، فإن هذه الأحاديث قد بينت حق الله سبحانه وتعالى على عباده

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله الغنيمان ١/ ٣٦ - ٣٧.
(٢) مسلم ١/ ١٧٦ بشرح النووي.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٧.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٧٧.
(٥) مسلم ٢/ ٨٨٧.

ألا وهو التوحيد ثم فسرت التوحيد بأنه إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة مع الكفر بجميع ما يعبد من دون الله كما قال تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾(١) فليس لأحد بعد ذلك كلام مع كلام الله وكلام رسول الله ﷺ.

ولا يلتفت بعد ذلك لكلام أهل الكلام وأهل البدع ومن يحاول نشر البدع والخرافة في أمة النبى ﷺ.

ولولا خوف الإطالة لبسطت الكلام في هذا الموضوع بسطا يأتي على كل شبه القوم ومفترياتهم(٢).

-تعريف التوحيد عند الإمام الشافعي - رحمه الله - .

يرى الإمام الشافعي - رحمه الله - أن توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة هو حقيقة التوحيد فمن أتى به فقد أدى حق الله تبارك وتعالى عليه لأنه متضمن للإقرار بربوبية الله على خلقه وللإيمان بأسمائه وصفاته ويرى أن هذا النوع هو الذي قاتل النبي - ﷺ - الناس من أجله ولولا أنه هو حقيقة دين الإسلام لما قاتل النبي ﷺ الناس وهم يقرون بربوبية الله سبحانه وتعالى على خلقه.

ولهذا لما جاء رجل إلى المزني وهو من كبار تلاميذ الإمام الشافعي وسأله عن شيء من الكلام قال له: إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الإمام الشافعي لقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٢ - ٤٧، شرح العقيدة الطحاوية ٧٧ - ٩٨، وانظر دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٣٢٨ - ٣٤٦.

والتوحيد فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الإستنجاء ولم يعلمهم التوحيد.

والتوحيد ما قاله النبي ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)[١] فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد)[٢] هـ.

ومعلوم أن الذي يعصم الدم والمال هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

وموقف الإمام مالك رحمه الله في هذه المسألة يدلنا على عمق فهم السلف للتوحيد الذي يبعث الله به الرسل عليهم السلام وتبعه على هذا الإمام الشافعي وتبعهما على هذا المزني وهكذا فعلم السلف رحمهم الله متصل برجال ثقات إلى النبي ﷺ أما علم الخلف فكل أسانيدهم ترجع للفلاسفة والصابئة واليهود والنصارى فأي الفريقين أولى بالإتباع.

---

(١) هذا الحديث رواه عن النبي ﷺ ابن عمر وأبو هريرة وجابر وأنس والنعمان بن بشير وأوس بن حذيفة وطارق الأشجعي وهو حديث متفق عليه وقد بلغ حد التواتر انظر: بعض طرقه في البخاري ١/ ٧٠، ٧١ ومسلم ٢١، ٢٢ وانظر: السير ١٠/ ٢٦ - ٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦.

المبحث الثاني: الحكمة من خلق الجن والإنس

قال الشافعي: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

قال الشافعي رحمه الله تعالى: (خلق الله الخلق لعبادته).

وقال في موضع آخر:

وأنزل الله عز وجل فيما يثبته به إذا ضاق من أذاهم - المشركين- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) ﴾ إلى آخر السورة(*).

ففرض عليه إبلاغهم وعبادته ولم يفرض عليه قتالهم وأبان ذلك في غير آية من كتابه ولم يأمره بعزلتهم(٢) وأنزل عليه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾(٣).

فيتبين من كلام الشافعي - رحمه الله - أن الحكمة من خلق الجن والإنس وإرسال الرسل إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

وقال رحمه الله في تفسير قوله الله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾(٤).

قال: لم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى الذي لايؤمر ولاينهى(٥).

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٢) الأم ٤/١٥٩ - ١٦٠ باختصار. انظر: طبقات السبكي ٢/١٣٦.

(٣) سورة الكافرون.

(٤) الآية ٣٦ من سورة القيامة.

(٥) الرسالة ٢٥.

(*) أي سورة الحجر.

المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالقبور

المسألة الأولى : حكم رفع القبور وبناء القباب والمساجد ونحوها عليها

من المعلوم أن الأمة قبل نوح عليه السلام كانت على التوحيد حتى ظهر الشرك في قوم نوح بسبب الغلو في الصالحين.

ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت)[١].

وروى ابن جرير الطبري في تفسيره عند قول الله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٢].

قال: قال ابن عباس: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[٣] ولذلك حرص النبي ﷺ أشد الحرص على أمته أن لاتحذو حذو الأمم قبلها وحذرها تحذيرا شديدا من مشابهة السابقين لأن هذا الغلو وهذا التعظيم أعظم سبب يوصل إلى الشرك والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - :

(١) البخاري في التفسير ٤/ ١٨٧٣.
(٢) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.
(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٢/ ٣٣٤.

وهذه العلة هي التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم لكواكب ونحو ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.

ولهذا نجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لايفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالايرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المسجد كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لأنها أوقات يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ما قصده المشركون سداً للذريعة.

قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالإضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه لعن من اتخذها مساجد.

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها.

فقد تواترات النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه.

وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها اتباعا للسنة الصحيحة الصريحة.

وصرح أصحاب أحـمد وغيرهم من أصحـاب مالك والشافعـي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة

والذي ينبغـي أن تحمل على كراهة التـحريم إحسانا للظن بـالعلماء وأن لايظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتـر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه(١).

والأحاديث المصرحة بتحريم البناء على القبور كثيرة.

منها حديث عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيهـا من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم العـبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله(٢).

وعن عائشة أيضا قالت: (لما نزل برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا)(٣).

وعن جندب بن عـبدالله قال: (سمعت النبي ﷺ قبـل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منـكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخـذ إبراهيم خليلا ألا وإن من كان قبلكم كـانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألافلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)(٤).

---

(١) تيسيـر العزيز الحميد ٣٢١ - ٣٢٢. وانظـر شرح النووي على مسـلم (٧/ ٣٧) والمجموع ٥/ ٢٩٠ وفتح الباري ٣/ ٢٠٧.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ٥٢٣ - ٥٢٤ ومسلم ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٣) البخاري مع الفتح ١/ ٥٣٢ ومسلم ١/ ٣٧٦.

(٤)مسلم ١/ ٣٧٧، ٣٧٨ في كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

والأحاديث في النهي عن البناء على القبور واتخاذها مساجد كثيرة جداً[١].

وقد ذكر الإمام الشافعي - رحمه الله - كلاما كثيرا متعلقا بالقبور فمن المسائل التي ذكر.

الأولى: مشروعية الجلوس عند القبر بعد الدفن والدعاء له: قال - رحمه الله -.

وقد بلغني عن بعض من مضى أنه أمر أن يقعد عند قبره إذا دفن بقدر ما تجزر جزور[٢]. قال: وهذا حسن ولم أر الناس عندنا يصنعونه[٣].

أما الدعاء للميت بعد الدفن فقد ورد عن النبي ﷺ في حديث عثمان قال: كان النبي ﷺ إذا دفن الرجل وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل)[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٣٦ ورسالة تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو عند مسلم وفيه ·فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولانار. فإذا دفنتموني فشنوا[*] عليّ التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدرما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستانس بكم وأنظر: ماذا أراجع به رسل ربي) رواه - الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١/ ١١٢ - ١١٣.

(*) قوله فشنوا عليّ التراب شنا قال النووي: ضبطناه بالسين المهملة وبالمعجمة وكذا قال القاضي إنه بالمعجمة والمهملة قال وهو الصب وقيل بالمهملة الصب في سهوله وبالمعجمة التفريق النووي على مسلم ٣/ ١٣٨.

وانظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤١٣.

(٣) الأم ١/ ٢٧٧.

(٤) رواه أبو داود في باب الإستغفار عند القبر للميت في وقت الإنصراف من كتاب الجنائز ٣/ ٢١٥ رقم ٣٢٢١ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه واسناده حسن انظر شرح السنة للبغوي ج ٥/ ٤١٨.

وقد سئل الإمام أحمد عن الوقوف عند القبر بعدما يدفن يدعى للميت قال لابأس به[١].

أما التلقين المشهور عند بعض الناس وهو أن يقوم رجل على قبر الميت بعدما يدفن ويقول له يافلان ابن فلانة اذكر مافارقت عليه شهادة أن لا اله إلا الله) أو نحو هذا من الكلام.

فإني لم أجد كلاماً للإمام الشافعي رحمه الله.

وإنما وجدت من قال به واستحبه من متأخري الشافعية ذكر بعضهم النووي في مجموعه فقال:

هذا التلقين عندهم مستحب وممن نص على استحبابه القاضي حسين والمتولي والشيخ نصر المقدسي والرافعي وغيرهم قال: ونقله القاضي حسين عن أصحابنا مطلقا وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عنه فقال التلقين هو الذى نختاره ونعمل به.

قال: وروينا فيه حديثا من حديث أبي أمامة ليس إسناده بالقائم لكن اعتضد بشواهد.

ويعمل أهل الشام قديما. هذا كلام أبي عمرو

قلت - النووي - حديث أبي أمامة رواه أبو القاسم الطبراني في معجمه بإسناد ضعيف.

ثم ساق الحديث وفيه (إذا مات أحد من إخوانكم وسويتم التراب على قبرة فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يافلان بن فلانة.........

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٤٣٧ بتحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي. وانظر: المجموع للنووي ٥/ ٢٩٤.

اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته.

ثم قال - النووي - : فهذا الحديث وإن كان ضعيفا فيستنأنس به وقد اتفق علماء المحدثين وغيرهم على المسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب وقد أعتضد بشواهد من الأحاديث كحديث سؤال التثبيت ووصية عمرو بن العاص[1].

ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا في زمن من يقتدى به وإلى الآن قال وهذا التلقين في حق المكلف أما الصبي فلا يلقن والله أعلم[2].

وهذا الكلام من النووي يدل على أمور منها:

الأمر الأول: أن حديث أبي أمامة في التلقين ضعيف.

الأمر الثاني: ليس للإمام الشافعي رحمه الله قول في هذه المسألة.

الأمر الثالث: أن التلقين عندهم مستحب.

الأمر الرابع: أن أحاديثه وإن كانت ضعيفة إلا أن لها شواهد تعضدها ومما يعضدها كذلك عمل أهل الشام.

الأمر الخامس: أن أحاديثه وإن كانت ضعيفة فإنه يعمل بها في فضائل الأعمال كما هي القاعدة عند علماء الحديث.

وإليك بيان هذه الأمور حتى يتبين لنا الراجح في المسألة:

---

(١) سبق تخريجها قريبا.

(٢) المجموع للنووي ٥/ ٣٠٤ بتصرف.

الأمر الأول: قوله إن حديث أبي أمامة في التلقين ضعيف وهو كما قال.

فالحديث الذي يحتجون به في التلقين حديث أبي أمامة وقد سبق ذكره حديث ضعيف.

أخرجه الطبراني في الكبير عن سعيد بن عبدالله الأودي قال شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع وقد سبق.

قال الهيثمي[1]: وفيه من لم أعرفه جماعة.

وقال الحافظ في تلخيص الحبير بعد أن عزاه للطبراني.

وإسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه وأخرجه عبد العزيز في الشافي والراوي عن أبي أمامة سعيد الأزدي بيض له ابن أبي حاتم.

ولكن له شواهد.

منها ما رواه سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وغيرهما قالوا: إذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا يستحيون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل لا إله إلا الله.....)[2]
وتعقبة الألباني فقال: قلت وفي كلام الحافظ هذا ملاحظات:

أولا: كيف يكون إسناده صالحا وفيه ذلك الأزدي أو الأودي ولم يوثقه أحد. بل بيض له ابن أبي حاتم كما ذكر الحافظ نفسه ومعنى ذلك أنه مجهول لديه لم يقف على حاله.

ثانيا: أنه يوهم أن ليس فيه غير ذلك الأزدي وكلام شيخه الهيثمي صريح بأن فيه جماعة لايعرفون.

وقد وقفت على إسناده عند الضياء المقدسي في (المنتقى من مسموعاته

---

(١) مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٤).

(٢) تلخيص الحبير ٢/ ١٣٥ - ١٣٦.

بمرو) (ق/ ٥/ ٢) رواه من طريق علي بن حجر ثنا حماد بن عمرو عن عبدالله بن محمد القرشي عن يحيى بن أبي كثير عن سعيد الأودي قال: «شهدت أبا أمامة الباهلي ورواه ابن عساكر (٨/ ١٥١/ ٢) من طريق إسماعيل بن عياش. نا عبد الله بن محمد به، قلت: وعبدالله هذا لم أعرفه. والظاهر أنه أحد الجماعة الذين لم يعرفهم الهيثمي) ا- هـ كلام الألباني[1].

وممن سبق الألباني في تضعيف الحديث النووي في المجموع[2] والعراقي في تخريج الإحياء[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قد نقل عن طائفة من الصحابة: أنهم أمروا به كأبي أمامة وغيره.

وروى فيه حديث عن النبي ﷺ لكنه مما لايحكم بصحته[4].

وقال ابن القيم حديث لايصح[5].

هذا بالنسبه لإسناد الحديث.

فتبين تضعيف العلماء له وعدم صلاحيته للإحتجاج.

الأمر الثاني: أن الإمام الشافعي - رحمه الله - لم ينقل له كلام في هذه المسألة وهو كما قال فلم ينقل أحد من أصحابه أنه تكلم في هذه المسألة.

وإنما استحبها بعض أصحابه كما مر حكاية النووي في ذلك قال ابن قدامة في المغني:

---

(١) إرواء الغليل ٣/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) ٥/ ٣٠٤.

(٣) ٤/ ٤٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٩٦.

(٥) زاد المعاد ١/ ٢٠٦.

فأما التلقين بعد الدفن فلم أجد فيه عن أحمد شيئا ولا أعلم فيه للأئمة قولا سوى ما رواه الأثرم.

قال: قلت لأبي عبدالله: فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانه ....

فقال: ما رأيت أحدا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء إنسان فقال ذاك(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

ولم يكن كثير من الصحابة يفعل هذا فلهذا قال الإمام أحمد وغيره من العلماء: إن هذا التلقين لابأس به فرخصوا فيه ولم يأمروا به.

واستحبه طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد:

وكرهه طائفة من العلماء من أصحاب مالك وغيرهم(٢).

وقال في موضع آخر:

تلقينه بعد موته ليس واجبا بالإجماع ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ وخلفائه بل ذلك مأثور عن طائفة من الصحابة كأبي أمامة وواثلة بن الأسقع.

فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد.

وقد استحبه طائفة من أصحابه. وأصحاب الشافعي.

ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة.

فالأقوال فيه ثلاثة:

---

(١) المغني ٣/٤٣٨ بتحقيق الدكتور التركي.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٩٦.

الإستحـــبـــاب،

الكـــــراهــــــة،

الإباحة، وهذا أعدل الأقوال.

فأما المستحب الذي أمر به وحض عليه النبي ﷺ فهو الدعاء للميت[١].

وقال في موضع آخر:

وأما تلقين الميت فـقد ذكره طائفة من الخراسانيين من أصـحاب الشافعي واستحسنوه أيضا.

ذكره المتولي. والرافعي وغيرهما.

وأما الشافعي نفسه فلم ينقل عنه فيه شيء.

ومن الصـحابة من كـان يفعلـه كأبي أمامـة الباهلـي وواثلة بن الأسـقع وغيرهما من الصحابة.

ومن أصحاب أحمـد من استحبه. والتحـقيق أنه جائز وليس بـسنة راتبة والله أعلم[٢].

هذا ملخص أقوال العلماء رحمهم الله في هذه المسألة.

الأمر الثالث:

أن تلقين الميت عندهم مستحب.

وقد سبق نـقل أقوال العلماء فـي ذلك وأن الشافعي رحمـه الله ليس له كلام في ذلك وإنما استحبه بعض أصحابه كما سبق.

---

(١) المصدر السابق ٢٤/٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٩٩.

الأمر الرابع:

قوله إن أحاديث التلقين وإن كانت ضعيفة إلا أن لها شواهد تعضدها ومما يعضدها عمل أهل الشام.

قال الألباني رحمه الله في رد هذا الأمر: إن قـوله له شواهد فيه تسامح كثير فإن كل ما ذكره من ذلك لايصلح شاهدا لأنها كلها ليس فيها من معنى التلقين شيء إطلاقا إذ كلها تدور حول الدعاء للميت ولذلك لم أسقها في جملة كلامه الذي ذكرته.

اللهم إلا مارواه سعـيد بن منصور فإنه صريح في التـلقين - وقد سبق - ولكنه مع ذلك فـهو شاهد قاصر إذ الحديث أشمل منه وأكـثر مادة إذمما فيه «أن منكرا ونكيرا يقولان: ما نقعد عنـد من لقن حجتة) فأين هذا الشاهد. ومع هذا فإنه لايصلح شاهدا لأنه موقوف بل مقطوع.

ولا أدري كيف يخفي مثل هذا على الحافظ عفا الله عنا وعنه[1].

فإذا الأحاديث الـتي أوردها شاهدًا لحديـث أبي أمامة إما تكـون في غير موضوع التلقين كأحاديث الدعاء والإستغفار للميت بعد الدفن.

أوفي موضوع التـلقين لكنها ضعـيفة لاتصلح أن تكون شـاهدًا كحديث راشد بن سعد وضمرة بن حبيب عند سعيد بن منصور.

الأمر الخامس:

قوله إن أحاديثه وإن كانت ضعيفة فإنه يـعمل بها في فضائل الأعمال كما في القـاعدة عند عـلماء الحديـث وقد اختلـف علماء الحـديث في العـمل بالحديث الضعيـف فمنع قوم العمل به مطلقا وأجاز قـوم العمل به وتوسط

(١) إرواء الغليل ٣/ ٢٠٤-٢٠٥.

قوم فجوزوا العمل به بشروط وضعوها وقبل ذكر هذه الشروط أذكر مراد علماء الحديث الأقدمين بكلمة الضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - «قولنا إن الحديث الضعيف خير من الرأي.

ليس المراد به الضعيف المتروك لكن المراد به الحسن كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وحديث إبراهيم الهجري وأمثالهما.

ممن يحسن الترمذي حديثه أو يصححه»(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله :-

«وليس المراد بالضعيف عنده - يعني أحمد بن حنبل - الباطل ولا مافي روايته متهم بحيث لايسوغ الذهاب إليه والعمل به بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف وللضعيف عنده مراتب»(٢).

وبعد هذا التبيين يعرف معنى كلام الأئمة في تساهلهم بقبول الحديث الضعيف كما روي عن الإمام أحمد رحمه الله وغيره ونعود الآن لذكر الشروط التي وضعوها للعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال.

الشرط الأول: أن يكون الضعف في الحديث غير شديد.

الشرط الثاني: أن يكون مندمجا تحت أصل عام في الدين فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل معمول به أصلا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/ ١٩١ (الطبعة القديمة).

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٣١ - ٣٢ - ٧٧.

الشرط الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الإحتياط لئلا ينسب إلى النبي ﷺ مالم يقله[1].

وبعد ذكر هذه الشروط نخلص إلى أن التلقين الذي يعمل عند القبور وإن استحسنه من استحسنه وأجازه من أجازه بدعة ضلالة يجب تركه والتحذير منه وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول:

إن كثيرا من الناس اليوم قال بوجوب التلقين وظنوه سنة من سنن الجنائز حتى إنهم بدَّعُوا من تركه وسفهوا من أنكره فاختلطت السنة بالبدعة فوجب التحذير منه.

الأمر الثاني:

إن هذا الأمر ليس داخلا في فضائل الأعمال وإنما هو من جملة العقائد إذ فيه إخبار عن أمور غيبية غير مشاهدة من جلوس الميت وسماعه لمن يناديه وجوابه وقول لمنكر ونكير وهذا من أبواب العقائد كما لايخفى.

الأمر الثالث:

إن لفظ الحديث يخالف الأدب الرباني في الدعاء والنداء.

إذ أمر الله أن ينادى الرجل باسم أبيه كما قال تعالى ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ** ﴾[2] الآية والنداء في هذا المروي باسم الأم وهو مخالف لنص الآية.

الأمر الرابع:

عدم شهرة هذا الأمر عند العلماء حتى قال الإمام أحمد لا أعلم أحدا

---

(١) انظر: تدريب الراوي ١/٢٩٩.

(٢) الآية ٥ من سورة الأحزاب.

يفعله إلا أهل الشـام مع عظم فائدته على الميت فكيف يفوت هذا الفضل على سلف الأمة حتى لا ترى من يعمل به منهم بل ولا يعرفونه.

هذا ما نخلص إليه في هذه المسـألة فإن كان حقا فمن الله وإن كان باطلا فمني ومن الشيطان وأستغفر الله منه(١).

المسألة الثانية: تسوية القبر.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وأحب أن لايزاد في القبر من غيره، وليس بأن يكون فيه تراب من غيره بأس إذا زيد فيه تراب من غيره ارتفع جدا.

وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرا أو نحوه)(٢).

وهذا الذي ذكره الإمام الشافعي رحمه الله هو السنة وقد دلت النصوص على تحريم رفع القبر.

منها حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفا إلاسويته)(٣).

وعن ثمامة بن شُفَيٍّ قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها(٤).

---

(١) انظر: للزيادة سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٦٤ - ٦٥ رقم ٥٩٩.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢/ ٦٦٦.

(٣) المصدر السابق٣٣٥.

(٤) انظر: المغني ٣/ ٣٢٥ - ٣٣٦.
والمجموع ٥/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

وليس هناك تعارض بين ماجاء في الأحاديث من الأمر بتسوية القبور وبين ما روي عن الإمام الشافعي وغيره من جواز رفع القبر قدر شبر فإن الأحاديث تنهى عن رفع القبور لئلا تعظم ويكون فيها من التفاخر والخيلاء ما يفسد عقائد العوام أما من جوز رفع القبر شبرا فلكي يعرف القبر فلايهان أويداس[١].

المسألة الثالثة: البناء على القبور وتجصيصها.

قال الشافعي رحمه الله[٢]:

وأحب أن لايبنى ولايجصص، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء وليس الموت موضع واحد منها ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة.

قال الراوي عن طاوس إن رسول الله ﷺ (نهى أن تبنى أو تجصص).

وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك.

قال وأكره وطء القبر والجلوس والإتكاء عليه.

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لأن أجلس على جمرة فتحرق ردائي ثم قميصي ثم إزاري ثم تفضي إلى جلدي أحب إلي من أن أجلس على قبر امرئ مسلم)[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الأم ١/ ٢٧٧ بتصرف.

(٣) الحديث في صحيح مسلم ١/ ٦٦٧ عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ (أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) وانظر المغني ٣/ ٤٣٩ بتحقيق التركي.
أما حديث أبي هريرة فقد رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر)مسلم ١/ ٦٦٧.

وهذا الذي ذهب إليه الشافعي من كراهة البناء على القبور وتجصيصها وعدم الجلوس والإتكاء عليها هو مادلت عليه السنة وقد ذكر رحمه الله أدلته على ذلك من السنة.

وفيه الحرص على إنكار المنكر من ولي الأمر كهدم القبور كما جاء فيه الأمر من النبي ﷺ لعلي رضى الله عنه وقد تقدم.

المسألة الرابعة: بناء المساجد على القبور.

وهذا الأمر من أعظم الأمور التي ابتليت بها الأمة الإسلامية اليوم فقد انتشرت المساجد المبنية على القبور ورفعت القباب فوق القبور بل ورفعت القبور إلى علو يزيد على علو الرجل وزخرفت وزينت وقصدها الناس للتبرك بها ولدعاء أهلها والذبح عندها والإستشفاع بأهلها والإستشفاء بتربتها وهذا أمر مشاهد في كثير من البلاد الإسلامية اليوم ولايحتاج إلى إقامة الدليل على وجوده ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ولنترك الكلام لمن شاهد هذه الأمور بعينه وعايشها بنفسه ليحكي لنا إلى أي حد وصل المسلمون في هذه البدع والشركيات.

قال الشقيري[1]: (إن بناء القباب على قبور المشايخ وعمل التوابيت وكسوتها بالأحمر والأخضر من غالي الأقمشة ونفيسها وعمل المقاصير النحاس المفضضة والمذهبة وتعليق القناديل والمصابيح عليها وتنسيق الزينات والحيطان وكتابة الآيات القرآنية عليها أواسم المقبور أو الأبيات الشعرية للإشادة بذكر الميت وكذا بناء المساجد عليها. لاشك أنه من اشتداد غضب الله على هذه الأمة ولعنها وطردها من رحمته. ولاريب أن هذا من أكبر الكبائر في الإسلام وأفحش المعاصي التي يظن كثير من الطغام والجهلة والعوام أنها من أفضل القربات وأعظم وأجل الطاعات.

(١) السنن والمبتدعات لمحمد عبد السلام خضر الشقيري ١١١ - ١١٢ باختصار.

ولكن لمن أقول ولمن أكتب حقائق دين حنيف سهل سمح لمن ضلت وسفهت أحلامهم. لمن اكتب لمن ذلت نفوسهم ومسخت قلوبهم واستحبوا العمى على الهدى والعذاب بالمغفرة واستبدلوا بالجنات العالية بالنار الحامية ورضوان الله بغضبه وانتقامه إلا أنه لابد من القول وفرض علينا أن نقول ونقول ونكتب ونكتب ولانزال نكتب من غير ملل آملين العودة والرجوع إلى الله نادمين تائبين معتقدين أن الله الذي يحيي الأرض بعدموتها، الذي يبعث من في القبور قادر على أن يحيينا بعد ما أماتنا لنرفع راية الإسلام عاليا ونعيد مجدنا القديم ! ا ـ هـ.

ولنذكر بعض الأدلة على تحريم بناء المساجد على القبور فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال ﷺ: (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)(١).

وعنها رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا)(٢).

وعن جندب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته يقول: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)(٣).

والأحاديث المصرحة بالمنع من بناء القبور على المساجد كثيرة جدا بل البناء على القبور يخالف مقاصد الشريعة التي جاءت لحماية الدين وأمرت بإفراد الله عز وجل بالعبادة فإن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ١٠/٥٢٣ - ٥٢٤ ومسلم ١/٣٧٥ - ٣٧٦.
(٢) البخاري مع الفتح ١/٥٣٢ ومسلم ١/٣٧٦.
(٣) مسلم ١/٣٧٧، ٣٧٨.

كما حدث لقوم نوح وكما هو واقع في أمة النبي ﷺ الآن ولا حول ولاقوة إلا بالله.

رأى الإمام الشافعي في بناء المساجد على القبور:

قال رحمه الله: وأكره أن يبنى على القبر مسجد.

وأن يسوى أو يصلى عليه وهو غير مسوى أو يصلى إليه وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء:

أخبرنا مالك أن رسول الله ﷺ قال:

(قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لايبقى دينان في جزيرة العرب)(١).

سبب كراهة الإمام الشافعي البناء على القبور قال:

١- وأكره هذا للسنة والآثار.

٢- وأنه كره- والله تعالى أعلم- أن يعظم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجدا ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعد.

٣- وكره- والله أعلم- لئلا يوطأ.

٤- وكره- والله أعلم- لأن مستودع الموتى من الأرض ليس بأنظف الأرض وغيره من الأرض أنظف(٢).

وقال: بعد أن ذكر حديث (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٢ مرسلا.
وهو في الصحيحين من رواية عائشة رضي الله عنها وقد تقدم بدون قوله (لايبقى دينان في جزيرة العرب) وانظر التمهيد ١/ ١٦٥.

(٢) الأم ١/ ٢٧٨.

والحمام)[١] وبهذا نقول، ومعقول أنه كما جاء في الحديث ولولم يبينه لأنه ليس لأحد أن يصلي على أرض نجسة لأن المقبرة مختلطة التراب بلحوم الموتى وصديدهم وما يخرج منهم وذلك ميتة وأن الحمام ما كان مدخولا يجرى عليه البول والدم والأنجاس.

قال: والمقبرة الموضع الذي يقبر فيها العامة وذلك كما وصفت مختلطة التراب بالموتى.

وأما صحراء لم يقبر فيها قط قبر، فيها قوم مات لهم ميت ثم لم يحرك القبر فلوصلى رجل إلى جنب ذلك القبر أو فوقه كرهته له ولم آمره يعيد لأن العلم يحيط بأن التراب طاهر لم يختلط فيه شيء وكذلك لوقبر فيه ميتان أو موتى.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها ١/ ١٣٢ - ١٣٣.
والترمذي في أبواب الصلاة باب ماجاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ١/ ١.
وابن ماجة في كتاب المساجد والجماعات باب المواضع التي تكره الصلاة فيها ١/ ٢٤٦.
ونحوه عند الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٨٣.
ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٥١ وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
ورواه الإمام الشافعي بسنده في الأم وقال: وجدت هذا الحديث في كتابي في موضعين أحدهما منقطع والآخر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ الأم ١/ ٩٢.
وانظر : ترتيب مسند الشافعي ١/ ٦٧ حديث رقم ١٩٨.
ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥ وقال حديث الثوري مرسل وقد روي موصولا وليس بشيء.
وقال شيخ الإسلام: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبزار بأسانيد جيدة ومن تكلم فيه فما استوفى طرقه. إقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ١٧٢ وقواه ابن حجر وقال له شواهد.
تلخيص الحبير ١/ ١٧٧.
وصححه أحمد شاكر.
انظر : تعليقه على سنن الترمذي ٢/ ١٣٣ - ١٣٤.
وصححه الألباني إرواء الغليل ١/ ٣٢٠.

فإن غاب، أمرها عن رجل لم يكن له أن يصلي فيها لأنها على أنها مقبرة حتى يعلم أنها ليست بمقبرة وأن يكون يحيط العلم أنه لم يدفن فيها قط قبل من دفن فيها ولم ينبش أحد منهم لأحد)(١).

هذا رأي الإمام الشافعي رحمه الله في مسألة بناء المساجد على القبور فهو يكره ذلك ومعنى الكراهة هنا- والله أعلم- للتحريم وهو مادلت عليه النصوص الصريحة التي لعنت من فعل ذلك.

وقد علل رحمه الله سبب ذلك إلى ثبوت النهي عن ذلك بالنسبة وإلى الخوف من تعظيم القبور مما قد يقع بسبب المعظم إلى الغلو المؤدي إلى الشرك.

ثم تكلم عن حكم الصلاة على القبور فكرهها وعلل ذلك بنجاسة المقابر.

وقد تكلم العلماء في حكم الصلاة في المقابر فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منع ومنهم من كره وسبب الخلاف الأحاديث الواردة في ذلك.

وقد اختلف القائلون بالمنع في علة المنع:

فذهب البعض إلى أن العلة هي مظنة النجاسة.

وذهب البعض إلى أن المنع من الصلاة في المقبرة تعبدي لالعلة معقولة.

وذهب البعض إلى أن علة المنع سد الذريعة وحماية جناب التوحيد لأن الصلاة عند القبور من وسائل الشرك وهذا هو الحق الذي تعضده الأدلة ويتفق مع مقاصد الشريعة ويدل على هذا أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعا أن هذا ليس لأجل النجاسة

---

(١) الأم ١/ ٩٢.

لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فهم في قبورهم طريون..[1]

وقد لعن النبيﷺ متخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصبا يوفض إليها المشركون كما هو الواقع فكهذا اتخاذ المساجد عليها[2].

ومن نظر في حال كثير من المسلمين اليوم ومافعلوه عند القبور من شرك وغلو؛ عرف أن خوف الشرك هو علة النهي عن الصلاة عندها وعن بناء المساجد عليها وعرف سبب حرص النبيﷺ وخوفه على أمته حتى وهو في سكرات الموتﷺ وجزاه الله عنا أفضل ماجزى به نبياً عن أمته وهدى الله أمته للتمسك بسنته والإقتداء بطريقته.

زيارة القبور

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

ولابأس بزيارة القبور.

وساق بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (نهيتكم عن

---

(١) راجع في مسألة الصلاة في القبور:
شرح السنة للبغوي ٢/ ٤١٢.
نهاية المحتاج ٢/ ١٦٤.
المجموع ٣/ ١٦٤ المبسوط ١/ ٢٠٦.
المغني لابن قدامة ٢/ ٥٩.
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٧/ ٣٤
اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٢-٦٧٤.
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٢٨-٣٢٩.

زيارة القبور فزوروها ولاتقولوا هجرا)[١].

قال: ولكن لايقال عندها هجر من القول وذلك الدعاء بالويل والثبور والنياحة.

فأما إذا زرت.

تستغفر للميت

ويرق قلبك

وتذكر أمور الآخرة

فهذا مما لاأكرهه[٢].

فهذه عقيدة الإمام في زيارة القبور فهو يرى جواز زيارتها ويرى أن حديث النهي قد نسخ بهذا الحديث ولكنه يعين سبب الزيارة وهو مصلحة الميت حيث يدعو له ويستغفر له كما ورد في السنة.

ومصلحة الزائر فإن الموت يرقق القلوب ويذكر الآخرة كما ورد.

أما من زار لأجل النياحة أو لأجل شيء آخر كما يفعل كثير من العوام عند قبور من يسمونهم أولياء أوأقطاب من دعاء الميت والتبرك بزيارته فهذا ولاشك عمل مناف للإسلام وقد يخرج الرجل من الإسلام وقد قسم العلماء الزيارة إلى ثلاثة أقسام[٣]:

---

(١) الحديث رواه مالك في الموطأ ٢/ ٤٨٥والحديث في مسلم ٢/ ٦٧٢ عن بريدة وحديث أبي سعيد عند أحمد ٣/ ٦٣.

والهجر بضم الهاء أي الفحش وهو مالاينبغي من الكلام،

(٢) الأم ١/ ٢٧٨.

(٣) انظر: تيسر العزيز الحميد ٣٣٨.

١ - زيارة شرعية مستحبة وهي الواردة في الأحاديث لأجل الإستغفار للميت وتذكرة الآخرة.

٢ - زيارة بدعية وهي التي يقصد أصحابها القبور لأجل عبادة الله عندها لاعتقادهم بفضل هذه الأماكن.

٣ - زيارة شركية وهي التي يقصد أصحابها القبور لأجل دعاء الميت والتبرك بقبره وسؤاله الشفاعة وتفريج الكربات.

وكل هذا في حق الرجال أما النساء فإن زيارتهن للقبور محرمة عليهن فقد صح عنه ﷺ أنه قال(لعن الله زوارت القبور)(١).

وليس في حديث الإذن بزيارة القبور السابق مايعارض أو ينسخ هذا الحديث لأن الخطاب في حديث الإذن بالزيارة عام والخطاب في حديث المنع واللعن خاص والخاص مقدم عليه.

وقد قيل في تعليل ذلك : إنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والإفتتان بها وبصورتها وتأذي الميت ببكائها وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببا للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال وتقدير ذلك غير مضبوط لأنه لايمكن حد المقدار الذي لايفضي إلى ذلك ولاالتمييز بين نوع ونوع ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها فتحرم سداً للذريعة.

كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما في ذلك من الفتنة وكما حرمت الخلوة بالأجنبية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٣٣٧ و٣٥٦ والترمذي(١٠٥٦) وابن ماجة(١٥٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وله شواهد من حديث حسان عند أحمد ٣/ ٤٤٢-٤٤٣ وابن ماجة ١٥٧٤ ومن حديث ابن عباس عند أحمد ١/ ٢٢٩ وأبي داود(٣٢٣٦)، وت(٣٢٠) والنسائي ٤/ ٩٤-٩٥ وابن ماجة (١٥٧٥) والحديث صحيح بطرقه والله أعلم.

وليس في زيارتها من المصلحة مايعارض هذه المفسدة لأنه ليس في زيارتها إلاادعاؤها للميت أو اعتبارها به وذلك ممكن في بيتها[1].

ولقد رأينا مايقع من كثير من النسوة عند زيارة القبور مايكفي بعضه للتحريم من النياحة وشق الجيوب ورفع الصوت ومخالطة الرجال أضف إليه مايقع من جميع القبوريين من سؤال الميت والتبرك به ونحو ذلك من الأمور الشركية.

فعلم أن القول بتحريم زيارة النساء للقبور هو أولى الأقوال بالصواب والله أعلم.

(١) انظر شرح السنة للبغوي(٥/ ٤٦٤)والمجموع للنووي (٥/ ٣٠٩-٣١١)وتيسير العزيز الحميد(٣٤٦).

المبحث الرابع: الحلف بغير الله

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمداﷺ داعياً الناس إلى إفراد الله بالعبادة ومحذرا من الشرك بأنواعه.

ومن شدة حرصه ﷺ على ذلك فقد عمل على سد كل طريق يوصل إلى الشرك وإن كان بألفاظ لايقصد صاحبها معناها.

فمن ذلك نهيه ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى.

من ذلك قولهﷺ (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أوليصمت)[(١)].

وليس النهي عن الحلف خاصا بالحلف بالآباء بل بكل محلوف به سوى الله عز وجل فإن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هو مقرر.

لذلك ورد النهي عن الحلف بكل معظم سوى الله عزوجل ففي حديث عبدالرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال:

قال رسول اللهﷺ: (لاتحلفوا بالطواغي ولابآبائكم)[(٢)].

وقوله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[(٣)].

وبين ﷺ شناعة الحلف بغير الله وأنه قد يؤدي بصاحبه إلى الشرك والكفر، فقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب لاتحلفوا بآبائكم ٦/ ٢٤٤٩ ومسلم٣/ ١٢٦٧ بلفظ نحوه.

(٢) مسلم ٣/ ١٢٦٨ والطواغي جمع طاغية، وهو مايعبده الكفار من الأصنام وغيرها. النهاية ٣/ ١٢٨.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٢) بلفظ نحوه، وأبوداود في كتاب الأيمان والنذور(٣/ ٢٢٣) وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع.

(٤) رواه الترمذي في أبواب النذور والأيمان(٣/ ٤٥-٤٦) وقال حديث حسن، ورواه الحاكم في المستدرك(٤/ ٢٩٧) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وإسناده صحيح، وانظر: النهج السديد في تخريج أحاديث العزيز الحميد رقم ٤٦٤.

ثم بين ﷺ كفارة الحلف بغير الله فقال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لاإله إلا الله»(١).

فهذه الأحاديث تدل على عظم الحلف بغير الله وعلى المبالغة في الزجر عنه والتغليظ في ذلك فوجب على المسلم أن يحذر هذا الأمر ويبتعد عن الحلف فإن اضطر فليحلف بالله أوليصمت.

وقد جوز بعض متأخري المذاهب الحلف بغير الله ولهم بعض الشبه أذكرها مع بعض الردود عليها:

الشبهة الأولى: ماورد في القرآن من إقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته كقوله تعالى(والضحى) وقوله تعالى(والليل إذا يغشى) وقوله (والسماء والطارق) ونحو ذلك.

وقد أجيب بأن هذا خاص بالله عزوجل فلله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته وليس للعبد أن يحلف إلا بالله(٢).

الشبهة الثانية:

قال بعض الرافضة: إن كان الحلف بغير الله قبيحا في حق الإنسان فتنزيه الله عنه واجب وقد دل القرآن على وجود الحلف بغير الله وأنه ليس قبيحاً في حق الله فيجب ألا يكون قبيحا في حق الناس.

والجواب

أننا متعبدون بالأوامر والنواهي فما جاء النهي عنه وجب تركه.

ولسنا بحاجة إلي هذه الفلسفة الباردة، فإن الله عزوجل عاقب فرعون على قوله﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾(٣) وهو قبيح في حق الناس بل كفر وردة

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لاتحلف باللات والعزى ولابالطواغيت(٦/ ٢٤٥٠) ومسلم بلفظ نحوه في كتاب الأيمان ٣/١٢٦٧-١٢٦٨.

(٢) انظر: المغني ٩/٤١١ وفتح الباري١١/ ٥٣٥ وتيسير العزيز الحميد ٥٢٦.

(٣) الآية٢٤ من سورة النازعات.

والله سبحانه يقول: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(١).

الشبهة الثالثة:

ماورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولانفقه مايقول حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام وفيه قال رسول الله ﷺ.

(أفلح وأبيه إن صدق)(٢)

وفي رواية (دخل الجنة وأبيه إن صدق)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله أي الصدقة أعظم أجرا فقال: (أما وأبيك لتنبأنّه. أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى. ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا وقد كان لفلان)(٣).

وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة أقربها للصواب- والله أعلم- أن ذلك كان قبل النهي ثم نسخ ذلك بالأحاديث الناهية عن ذلك.

وهكذا كل ماورد يحمل على ذلك.

وهو اختيار كثير من العلماء.

كالماوردي والبيهقي والطحاوي(٤).

فتبين أن الحلف بغير الله لايجوز وأن مااحتج به من أجاز الحلف لايصلح للإحتجاج لما سبق والله أعلم.

-**رأي الإمام الشافعي رحمه الله في الحلف بغير الله:** قال رحمه الله ومن

---

(١) الآية ١ من سورة الأعلى.

(٢) صحيح مسلم كتاب الأيمان ١/ ٤٠-٤١.

(٣) المصدر السابق كتاب الزكاة ٢/ ٧١٦.

(٤) فتح الباري ١١/ ٥٣٤ مشكل الآثار للطحاوي١/ ٣٥٦-٣٥٧، تيسير العزيز الحميد٥٢٨.

حلف بالله أو باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل والكعبة وأبي وكذا وكذا ماكان. فحنث فلاكفارة عليه ومثل ذلك قوله لعمري لاكفارة عليه.

وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت) وساق بسنده سبب ورود الحديث وهو أن النبي ﷺ سمع عمر يحلف بأبيه فقال: (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، قال عمر رضي الله عنه والله ماحلفت بها بعد ذلك ذاكرا ولا آثراً)[١].

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

فكل من حلف بغير الله كرهت له وخشيت عليه أن تكون يمينه معصية وأكره الأيمان بالله على كل حال إلا فيما كان طاعة لله مثل البيعة على الجهاد ومأشبه ذلك[٢].

ويمكن تلخيص رأي الإمام الشافعي في الحلف بما يأتي:-

١ - كراهية الحلف مطلقا وقد دل على ذلك الكتاب والسنة[٣].

٢ - أن من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة.

٣ - أن الحلف بغير الله مكروه.

٤ - أن من حلف بغير الله فحنث فلا كفارة عليه لأنها ليست يمينا.

٥ - جواز الحلف بالله واستحبابه إذا كان في طاعة كالجهاد ونحوه[٤] وسواء فهمت الكراهة على التنزيه أو على التحريم فقد كره الإمام الشافعي

(١) سبق تخريجه.

(٢) الأم ٧/ ٦١ ونحوه في ٥/ ٢٩٩ وانظر: المناقب للبيهقي ١/ ٤٠٣.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ٧٠٩.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٤٠، ٢٠٤، ٣٣٦.

رحمه الله الحلف بغير الله وذكر في ذلك قصة عمر بن الخطاب وهي صريحة في النهي عن الحلف بغير الله.

وقد سبق الرد على من زعم جواز الحلف بغير الله.

قال النووي:

والمذهب القطع بأنه ليس بحرام بل مكروه....

قال الأصحاب فلو اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم مايعتقده في الله تعالى كفر(١).

وكأنه بهذا الكلام يحذر من الحلف بغير الله ويحمل النهي الوارد على الكراهة إلا إذا اعتقد الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو يكفره.

ولو سألت الحالف بغير الله عن سبب حلفه لوجدت أنه يعظم المحلوف به كتعظيم الله بل إن بعضهم يحلف بالله وهو كاذب ومن تعظيمه لشيخه أو من يعتقد صلاحه لايستطيع أن يحلف به وهو كاذب.

حتى اشتهر عند أهل البدع الآن أن من أراد أن يحلف أحدا لايحلفه إلا بشيخه لأنه لايستطيع أن يكذب في هذه اليمين.

وهذا من قلة الإيمان وعدم تقدير الله حق قدره وكله بسبب الجهل والإعراض عن دين الله ولاحول ولاقوة إلا بالله.

وقد سبق بيان الأدله على تحريم الحلف بغير الله سواء أكان الحالف معظما للمحلوف به أم لاوفيها ولله الحمد كفاية.

---

(١) روضة الطالبين ٦/١١.

والمتطير متعب القلب منكد الصدر كاسف البال سيىء الخلق يتخبل من كل مايراه ويسمعه.

أشد الناس خوفا وأنكدهم عيشا وأضيق الناس صدرا وأحزنهم قلبا. كثير الإحتراز والمراعاة لما لايضره ولاينفعه.

وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ومنعها من رزق.

وقطع عليها من فائدة(١).

والأدلة على تحريم التطير والتشاؤم كثيرة قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: فإذا جاء آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا مايحبون في دنياهم قالوا لنا هذه، نحن أولى بها.

(وإن تصبهم سيئة) يعني جدوب وقحوط وبلاء(يطيروا بموسى ومن معه).

يقول يتشاءموا بهم ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب منذ جاءنا موسى......

قال: يقول تعالى ذكره ألا إنما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر إلا عند الله ولكن

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١.

(٢) الآية ١٣١ من سورة الأعراف.

أكثرهم لايعلمون أن ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه)(١).

ومن السنة

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لاعدوى(٢) ولاطيرة(٣) ولاهامة(٤) ولاصفر(٥))(٦).

قال ابن القيم-رحمه الله:

وهذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهيا

أي لاتطيروا لكن قوله في الحديث ولاعدوى ولاصفر لاهامة يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي.

لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره.

والنهي إنما يدل على المنع منه(٧).

وفي حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- الذي يرفعه إلى النبي ﷺ (الطيرة شرك ومامنا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)(٨).

---

(١) تفسير ابن جرير ١٣/ ٤٧-٤٨ بتصرف.

(٢) لاعدوى: اسم من الإعداء وهو أن يصيبه مثل مايصاحب الداء- النهاية ٣/ ١٩٢.

(٣) لاطيرة: التشاؤم بالشيء النهاية ٣/ ١٥٢.

(٤) لاهامة: الهامة: الرأس، واسم طائر كانوا يتشاءمون بها النهاية ٥/ ٣٨٣.

(٥) لاصفر: كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها صفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وأنها تعدي فأبطل الإسلام ذلك وقيل أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله. النهاية ٣/ ٣٥.

(٦) رواه البخاري في كتاب الطب باب الجذام ٥/ ٢١٥٩ ومسلم ٤/ ١٧٤٣.

(٧) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده١/ ٣٨٩،

وأبوداود في كتاب الطب باب الطيرة ٤/ ١٧. =

فهذا الحديث صريح في تحريم الطيرة وأنها شرك تنافي كمال التوحيد وقد تنافي التوحيد إذا اعتقد المتطير النفع والضر في المتطير به.

ماروي عن الإمام الشافعي في التطير

روى ابن أبي حاتم بسنده عن الإمام الشافعي أنه قال في قول النبيﷺ (أقروا الطير على مكناتها)(١).

قال:

إن علم العرب كان في زجر الطير والبوارح والخط والإعتياف فكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طائر يراه فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال: هذا طير الأيامن. فمضى في حاجته ورأى أنه مستنجح وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير الأشائم فرجع وقال: هذه حاجة مشئومة.

قال الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري

لايزجر الطير سنحا إن عرضن له(٢)

ولايفيض على قسم بأزلام

= والترمذي في كتاب السير باب ماجاء في الطيرة ٣/ ٨٤،
وقال قال سليمان بن حرب شيخ البخاري إن قوله ومامنا..
من كلام ابن مسعود
ورواه ابن ماجة في كتاب الطب ٣٥٣٨. وإسناده صحيح،
وقد ذكر كثير من الحفاظ أن جملة ومامنا إلخ من كلام ابن مسعود مدرج في الحديث.
انظر: النهج السديد ١٦١-١٦٢.

(١) رواه أبوداود٣/ ١٠٥ عن أم كرز.
والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٣٧ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وإسناده صحيح انظر إرواء الغليل ١١٦٦.

(٢) انظر: اللسان ١٥/ ١٦٢ وآداب الشافعي لابن أبي حاتم١٥١.

قال: وكانت العرب في الجاهلية: إذا لم ير طائرا سائحا فرأى طائراً في وكره حركه من وكره ليطير فينظر أيسلك طريق الأشائم، أو طريق الأيامن.

فيشبه قول النبيﷺ (أقروا الطير على مكناتها) أي لاتحركوها فإن تحريكها وماتعملونه من الطيرة لايصنع شيئا[١].

إنما يصنع فيما تتوجهون به قضاء الله تعالى

وسئل النبيﷺ عن الطيرة فقال:

(إنما ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلايصدنكم)[٢][٣].

فعلم أن التطير محرم وأنه المتطيربه لايضر ولاينفع فوجب التوكل على الله عزوجل وترك الطيرة والتشاؤم والإعراض عنها بالكلية فإنه أسلم لحياة المرء ودينه.

---

(١) انظر: مختصر سنن أبي داود ٤/ ١٢٤.

(٢) رواه الإمام مسلم ٤/١٧٤٨, ١٧٤٩.

(٣) آداب الشافعي ومناقبه ١٥١، والمناقب للبيهقي ١/ ٣٠٥-٣٠٩
وانظر: طبقات السبكي٢/ ١٧٦-١٧٧.

المبحث السادس: الاستسقاء بالأنواء

من المعلوم أن الإسلام نهى عن الشرك بل وحذر من كل مايوقع به وسد كل الطرق المؤدية إليه ومن ذلك نهيه عن الحلف بغير الله وعن تعظيم القبور والبناء عليها واتخاذ المساجد والسرج عليها.

ويتبع ذلك النهي عن بعض الكلمات الموهمة للشرك وإن لم يعتقد قائلها مادلت عليه من شرك فمن ذلك النهي الوارد عن قول الرجل مطرنا بنوء كذا وكذا لأن ظاهره نسبة حصول المطر إلى النوء وهذا شرك في الربوبية كما لايخفى أو يكون فيه اعتقاد السببية بما ليس سبباً فيكون شركا في الألوهية.

وقد كانت العرب في الجاهلية تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطروينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا. أي نهض وطلع[١].

وقد نهى النبيﷺ عن هذا القول وإن زعم صاحبه أن النفع والضر بيد الله وذلك حماية للتوحيد وسدًا لكل طريق يوصل إلى الشرك.

فعن أبي مالك الأشعري أن رسول اللهﷺ قال(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والإستسقاء بالنجوم والنياحة)الحديث[٢].

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لايتركه الناس كلهم ذما

---

(١) الأنواء منازل القمر وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها ومنه قوله تعالى(والقمر قدرناه منازل) آية ٤ يس يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها في ذلك الوقت في الشرق فتختفي جميعها مع انقضاء السنة. النهاية ٥/ ١٣٣.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه٢/ ٦٤٤.

لمن لم يتركه وهذا يقتضي أن ماكان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في الدين وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾(١) فإن في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة(٢).

وقد فرق الإمام الشافعي رحمه الله بين من يقول مطرنا بنوء كذا على اعتقاد النفع والضر في النوء،

وبين من يعتقد أن النافع الضار هو الله ولكنه يقصد أنه مطر في الوقت الذي طلع فيه نوء كذا.

وروى بسنده عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذاقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)(٣).

قال الشافعي: رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي عربي واسع اللسان يحتمل قوله هذا معاني.

وإنما مطر بين ظهراني قوم أكثرهم مشركون لأن هذا في غزوة الحديبية.

وأرى معنى قوله والله أعلم:

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٤٥٣.

(٣) رواه البخاري ١/٣٥١ ومسلم ١/٨٣-٨٤.

أن من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك إيمان بالله لأنه يعلم أنه لايمطر ولايعطي إلا الله عزوجل،

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ماكان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفركما قال رسول الله ﷺ.

لأن النوء وقت والوقت مخلوق لايملك لنفسه ولالغيره شيئا ولايمطر ولايصنع شيئا.

فأما من قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا بوقت كذا فإنما ذلك كقوله مطرنا في شهر كذا ولايكون هذا كفرا وغيره من الكلام أحب إليَّ منه.

قال: أحب أن يقول مطرنا في وقت كذا.

وقد روي عن عمر أنه قال يوم الجمعة وهو على المنبركم بقي من نوء الثريا فقام العباس فقال لم يبق منه شيء إلا العواء فدعا ودعا الناس حتى نزل عن المنبر فمطر مطرا حيي الناس منه(١).

وقول عمر هذا يبين ماوصفت لأنه إنما أراد: كم بقي من وقت الثرياء ليعرفهم بأن الله عزوجل قدر الأمطار في أوقات فيما جربوه كما علموا أنه قدر الحر والبرد بماجربوا في أوقات وبلغني أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا أصبح وقد مطر الناس قال مطرنا بنوء الفتح ثم قرأ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾(٢)(٣).

---

(١) انظر: المناقب للبيهقي١/٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الآية ٢ من سورة فاطر.

(٣)عزاه في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم والرجل هو أبوهريرة ٥/ ٢٤٤.

وبلغني أن عمر بن الخطاب أوجف بشيخ من بني تميم غدا متكئا على عكازه وقد مطر الناس فقال: أجاد ماأقرى المجدح البارحة)(١)(٢).

فأنكر عمر قوله(أجاد ماأقرى المجدح) لإضافة المطر إلى المجدح.

وخلاصة كلام الشافعي رحمه الله.

أن من قال مطرنا بنوء كذا ونسب المطر إلى النوء وأنه النافع. الممطر فهذا كافر.

أما من قال مطرنا بنوء كذا على معنى وقت كذا كمن قال مطرنا في شهر كذا أو يوم كذا فهذا ليس كفرا وإن كان مكروها عنده.

وهذا الذي ذكره من تكفير من نسب المطر إلى النوء هو الذي ذكره العلماء واتفقوا عليه.

ونفي الشافعي رحمه الله الكفر عمن قال مطرنا بنوء كذا وهو يقصد وقت كذا لايدل على جوازه عنده، وإنما يدل على أنه ليس شركا وهو كما قال ولذلك قال وغيره من الكلام أحب إليَّ.

فإذا تبين هذا فإن قول القائل مطرنا بنوء كذا لايخلو من ثلاث حالات.

الحالة الأولى:

أن يقولها وهو يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم فهذا كفر وشرك في الربوبية ظاهر.

الحالة الثانية:

أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاد أن الله تعالى هو الفاعل

(١) المجدح نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطربه اللسان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الأم ١/ ٢٥٢.

لذلك المنزل له ولكن النوء سبب في ذلك وهذا- والله أعلم- هو عين اعتقاد المشركين كما قال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله**﴾(*).

فهذا الإعتقاد محرم أيضا لأنه من الشرك الخفي وهو الذي أراده النبيﷺ وأخبر به وأنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله وحذر منه وهو الذي لايزال موجودا في الأمة حتى اليوم.

ولذلك حذر منه النبيﷺ سدا للذرائع وحماية لجناب التوحيد.

الحالة الثالثة:

أن يقول هذه الكلمة على معنى مطرنا بوقت كذا، وفي شهر كذا وفي يوم كذا فهذا ليس شركا ولاكفراً ولكن الأولى تركه لأنه لفظ موهم وفيه مشابهة بالكفار وقد دل الحديث على المنع فوجب تركه.

والله أعلم(١).

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٤٥١-٤٦٦ شرح السنة ٤/٤٢١-وفتح المجيد ٣٢٦ وفتح الباري ٢/٥٢٣-٥٢٤. المنتقى للباجي ١/٢٣٥ شرح مسلم للنووي ٢/ ٦٠-٦١ التمهيد لابن عبدالبر ١٦/٢٨٦-٢٨٧.

(*) الآية (٦٣) من سورة العنكبوت.

المبحث السابع: بعض الألفاظ التي تقدح في كمال التوحيد

قال الشافعي رحمه الله:

مايكره من الكلام في الخطبة وغيرها

ثم ساق بسنده عن عدي بن حاتم قال: خطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى.

فقال رسول الله ﷺ (أسكت فبئس الخطيب أنت) ثم قال النبي ﷺ (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى.

ولاتقل ومن يعصهما[١].

قال الشافعي. فبهذا نقول:

فيجوز أن تقول ومن يعص الله ورسوله فقد غوى لأنك أفردت معصية الله وقلت ورسوله استئناف كلام.

قال: ومن أطاع الله فقد أطاع رسوله ومن عصى الله فقد عصى رسوله ومن أطاع رسوله فقد أطاع الله ومن عصى رسوله فقد عصى الله.

لأن رسول الله ﷺ عبد من عباده قام في خلق الله بطاعة الله وفرض الله تبارك وتعالى على عباده طاعته لما وفقه الله تعالى من رشده.

ومن قال ومن يعصهما كرهت ذلك القول له حتى يفرد اسم الله عزوجل ثم يذكر بعده اسم رسوله ﷺ لايذكره إلامنفردا[٢].

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩٤ كتاب الجمعة.

(٢) الأم ١/ ٢٠٢.

قال الشافعي:

وقال رجل يارسول الله ماشاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ (أمثلان قل ماشاء الله ثم شئت)(١).

قال الشافعي:

وابتداء المشيئة مخالفة للمعصية لأن طاعة رسول الله ﷺ ومعصيته تبع لطاعة الله تبارك وتعالى ومعصيته لأن الطاعة والمعصية منصوصتان بفرض الطاعة من الله عزوجل، فأمر بها رسول الله ﷺ فجاز أن يقال فيه من يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله لما وصفت والمشيئة إرادة الله تعالى.

قال الله عزوجل﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(*) فأعلم خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لاتكون إلا أن يشاء الله عزوجل فيقال لرسول الله ﷺ ماشاء الله ثم شئت.

ويقال: ومن يطع الله ورسوله على ماوصفت من أن الله تبارك وتعالى تعبد الخلق بأن فرض طاعة رسول الله ﷺ فإذا أطيع رسول الله ﷺ فقد أطيع الله بطاعة رسوله أهـ.

والذي يؤخذ من كلام الشافعي السابق كراهته لهذه الكلمات السابقة وهي قول (ومن يعصهما) فالجمع بين اسم الله واسم غيره كائناً من كان في ضمير واحد مكروه.

---

(١) راوه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٤٧.
وابن ماجة ٢١١٧ وغيرهما.
قال البوصيري في الزوائد في إسناده الأجلح بن عبدالله مختلف فيه ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد ووثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان والعجلي وباقي إسناده ثقات.
وقال الذهبي في المغني ٢٢٩ شيعي لابأس بحديثه.
وانظر النهج السديد ٤٧.

(٢) الأم ١/ ٢٠٢.

(*) الآية ٢٩ من سورة التكوير.

وقد أشكل على هذا الحديث حديث أنس عند البخاري ومسلم أن رسول اللهﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)(١) الحديث.

وقد أجيب عنه بعدة أجوبة فمنها:

الأول:

أنه ثنى الضمير هنا إيماءً إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لاكل واحدة فإنها وحدها لاغية.

وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله بعد ذكره لهذا الجواب: وهذا جواب بليغ جدا(٢).

الثاني:

حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى لأن المراد بالخطب الإيضاح وهذا على الإيجاز والجواز.

الثالث:

المنع من ذلك عند خشية اللبس فيكون من حماية التوحيد وسد الطرق المؤدية إلى الشرك.

والجواز عند أمن اللبس(٢).

---

(١) رواه البخاري في الصحيح ١/ ١٤، ومسلم في كتاب الإيمان ١/ ٦٦.

(٢) انظر: فتح الباري ١/ ٦٦.

تيشر العزيز الحميد ٤٧٨.

وعلى كل حال ينبغي للمؤمن أن يحتاط لدينه وعقيدته من كل ما فيه شبهة وهذا هو الذي يذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله، والله اعلم.

ومن هذا قول الرجل ماشاء الله وشئت فإن النصوص قد دلت على النهي عن هذه الكلمة لأنها تشعر بالتشريك بين مشئية الله ومشيئة خلقه.

فعن قتيلة(١) أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون وتقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة.

فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت)(٢) فوجب على المسلم أن يترك هذه الكلمة وما يشبهها كقول الرجل أنا متوكل على الله وعليك أو أنا في حسب الله وحسبك أو لولا الله وفلان.

وإذا كانت هذه الألفاظ محرمة فكيف حال من دعا غير الله أو استغاث به أو استعاذ به أو لجأ إليه كما هو حال غالب زوار المقابر من المتصوفة ونحوهم؟

---

(١) قُتَيْلَة: بالمثناة والتصغير الأنصارية أو الجهنية صحابية من المهاجرات لها حديث س التقريب رقم ٨٦٦٢ والإصابة ٤/ ٣٨٩.

(٢) رواه الإمام أحمد ٦/ ٣٧١، ٣٧٢،
والنسائي ٧/ ٦.
والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٧ وصححه ووافقه الذهبي وإسناده صحيح وانظر: النهج السديد ٢٢٩.

المبحث الثامن: الشفاعة

الشفاعة سؤال الخير للغير وهي ضد الوتر فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

والمراد بها يوم القيامة سؤال الله عز وجل أن يتجاوز عن ذنوب المشفوع له وأعظمها الشفاعة العظمى لنبينا محمد ﷺ لأهل الموقف يوم القيامة والشفاعة من حيث النفع وعدمه نوعان.

١- شفاعة مثبتة تنفع صاحبها وهي التي تحققت فيها شروط الشفاعة.

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع له.

والأدله على هذا كثيرة جدا.

منها قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[٤].

وغير ذلك من الآيات[٥].

---

(١) الآية ٢٦ من سورة النجم.

(٢) ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ٣ من سورة يونس.

(٥) انظر: معارج القبول ٢/٣٠٧.

٢- الشفاعة المنفية وهي التي لا تنفع أصحابها لعدم توفر شروط الشفاعة فيها.

وهي الشفاعة التي تعلق بها أهل الشرك ونحوهم ممن يتعلق بآمال أوهى من خيوط العنكبوت.

حيث ظنوا أن لبعض المخلوقات قدرة بحيث يشفعون عند الله بدون إذنه.

وهذه الشفاعة هي التي ضل بسببها قوم نوح ومن بعدهم من المشركين وعظموا من أجلها الأصنام ظانين أنها تشفع لهم عند الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٢).

وقد نفى الله هذا النوع من الشفاعة وبين أنه لا ينفع من تعلق به أبدا قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(٦).

---

(١) الآية ٣ من سورة الزمر.
(٢) الآية ١٨ من سورة يونس.
(٣) الآية ٤٨ من سورة البقرة.
(٤) الآية ٢٥٤ من سورة البقرة.
(٥) الآية ١٨ من سورة غافر.
(٦) الآية ٤٩ من سورة المدثر.

وقد أبطل الله تبارك وتعالى اعتقاد المشركين في شفعائهم ونفى عنهم جميع ما يتعلقون به في تعظيمهم فقال سبحانه: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)** ﴾(١).

فبين الله في هذه الآيات أن هناك شروطا يجب توفرها في المدعو حتى يكون قادرا على إجابة من دعاه.

الأول: الملك وقد نفاه الله عن كل ما سواه فقال ﴿**لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض**﴾.

الثاني: إذا لم يكن مالكا فيكون شريكا للمالك فنفاه كذلك بقوله: ﴿**ومالهم فيهما من شرك**﴾.

الثالث:

إذا لم يكن مالكا ولاشريكا للمالك فيكون عونا ووزيرا نفاه بقوله ﴿**وماله منهم من ظهير**﴾.

الرابع:

إذا لم يكن مالكا ولاشريكا ولا عونا فيكون شفيعا وهذا الذي ظنه المشركون بآلهتهم وهو الذي تعلق به عباد القبور، لكن الله تبارك وتعالى نفاه كما نفى ما قبله فقال: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له). فهو الذي يأذن للشافع ابتداء فيشفع بعد رضاه عن المشفوع له فبنفي هذه الأمور بطلت دعوة غير الله إذ ليس عند غيره من النفع والضر ما يوجب قصده

---

(١) سبأ الآيتان ٢٢ - ٢٣.

بشيء من العبادة كما قال تعالى: ﴿واتَّخَذُوا من دُونِه آلِهَةً لا يَخْلُقُون شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾(١).

وقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).

فهذه هي الشفاعة المنفية التي يتعلق بها المشركون ومن تشبه بهم من عباد القبور في هذا الزمان ويوم القيامة يتبرؤن منهم فلاهم نصروهم في الدنيا ولاهم شفعوا لهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾(٤).

والشفاعة المثبتة أنواع أعظمها شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لأهل الموقف أن يحاسبهم.

وهي المقام المحمود الذي قال الله عنه ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٥) ومنها: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها.

---

(١) الآية ٣ من سورة الفرقان.

(٢) الآيتان ٤٢ - ٤٤ من سورة الزمر.

(٣) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٩٤ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ٧٩ من سورة الإسراء.

ومنها شفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف عنه ومنها شفاعة النبي ﷺ والأنبياء والصالحين لأهل الكبائر من الموحدين فيشفعون لمن استحق النار أن لا يدخلها ولمن دخلها أن يخرج منها والأدلة على هذا كثيرة جدا وهي مشهورة وليس هذا موضع بسطها[١].

وقد روي عن الشافعي - رحمه الله - ما يفيد إقراره بشفاعة النبي ﷺ العظمى يوم القيامة.

حيث قال في كتابه الرسالة[٢] في حق النبي ﷺ فكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته وأعم ما أرسل به مرسل قبله.

المرفوع ذكره مع ذكره في الأولى والشافع المشفع في الأخرى.

لكنه في موضع آخر يبين أن للشفاعة شروطا لابد من توفرها في الشافع. حيث قال: واستنبطت البارحة آيتين فما أشتهي باستنباطها الدنيا وما قبلها.

﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾[٣].

وفي كتاب الله هذا كثير ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[٤].

فتعطل الشفعاء إلا باذن الله[٥].

وكلام الشافعي هنا يرد على من ظن أن الشفاعة ملك للشافع وأن له

---

(١) راجع تيسير العزيز الحميد ٢٧٣ - ٢٩٧. معارج القبول ٢/ ٣٠٥ - ٣١٠.

(٢) الرسالة ١٢ - ١٣.

(٣) الآية ٣ من سورة يونس.

(٤) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٥) أحكام القرآن ٢/ ١٨٠ - ١٨١.

قدرة أن يشفع بدون إذن الله عز وجل وهو كلام لايصدر إلا من جاهل بعظم قدر الله عز وجل حيث شبهوه بملوك الدنيا ممن هو محتاج إلى من يساعده من الخلق فيقبل شفاعتهم لحاجته اليهم.

أما الله عز وجل فإنما يشفع من يشفع من الخلق إظهارا لكرامتهم أمام الخلائق وإظهاراً لرضاه عن المشفوع له.

بقيت مسألة في توضيحها فائدة إن شاء الله وهي ماحكم ما يفعله كثير من الناس اليوم من سؤال النبي ﷺ الشفاعة؟

فالجواب على ذلك:-

١- إن هذا لايجوز لأن الشفاعة حق الله عز وجل فلايجوز أن تسأل من غيره قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾(١).

٢- ولأن النبي ﷺ لم يُعط الشفاعة الآن وإنما يعطاها يوم القيامة بعد أن يستأذن الله عز وجل(٢).

٣- ولأن في هذا مشابهة اعتقاد المشركين حيث قال الله عنهم ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾(٣).

٤- فإن كان الذي يطلب الشفاعة من النبي ﷺ يريد الشفاعة العظمى فهي حاصلة له لامحالة يوم القيامة لأن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف كلهم كما في حديث الشفاعة المشهور.

٥- وإن كان يعني شفاعاته الأخرى فإن طرق تحصيلها ليس بسؤال النبي ﷺ وإنما بتحقيق شروطها فقد سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) الآية ٤٥ من سورة الزمر.

(٢) انظر حديث الشفاعة الطويل وفيه (فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستاذن ربي) الحديث رواه البخاري ٥/ ٢٤٠١ ومسلم ١/ ١٨٠.

(٣) الآية ١٩ من سورة يونس.

من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله فقال: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث.

أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه)(١).

وقال ﷺ (من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة)(٢).

ومن يسأل الشفاعة من النبي ﷺ فإنه يهدم أعظم سبب لحصول الشفاعة له يوم القيامة وهو تحقيق لا إله إلا الله.

٦- أن النبي ﷺ بين أن من أمته من يدخل الجنة بلا حساب ولاعذاب(٣) ومن أمته من يشفع للناس(٤) ولايحتاج لشفاعة أحد فلماذا لا يحرص المسلم أن يكون من هؤلاء.

٧- أن النبي ﷺ بين المستفيد من شفاعته يوم القيامة حيث قال (لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله منهم من مات لايشرك بالله شيئا)(٥).

وقال (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)(٦).

---

(١) البخاري ٥/ ٢٤٠٢.

(٢) مسلم ١/٢٨٨، ٢٨٩ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) البخاري ٥/ ٢٣٩٦ ومسلم ١/ ١٧٨.

(٤) انظر: الترمذي ٤/ ٤٦.

(٥) رواه مسلم ١/ ١٨٩ وهو في البخاري مختصرا في التوحيد ٦/ ٢٧١٨.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢١٣ وأبو داود ٤/ ٢٣٦ والترمذي ٤/ ٤٥ وقال حديث حسن صحيح غريب وإسناده صحيح.
انظر: صحيح الجامع ٢/ ٢٣٠.

فإذا حقق الإنسان التوحيد لايحتاج إلى شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة إلا الشفاعة في الموقف والشفاعة في دخول الجنة وهي حاصلة له بتحقيقه للتوحيد.

أما الشفاعة الثالثة فهي لأهل الكبائر وعلى المسلم أن يبادر بالتوبة ولايلقى الله وهو مصر على الكبائر كما قال جابر بن عبدالله (من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة)[١].

٨- فإن كان المسلم مصراً على سؤال الشفاعة فعليه بسؤالها من مالكها وهو الله عز وجل فيقول اللهم شفع فيَّ نبيك محمداً ﷺ أو اللهم اجعلني من أهل شفاعة نبيك محمد ﷺ ونحو هذا فهذه وسيلة شرعية مفيدة ولعل فيما مضى بيانًا واضحًا شافيا لكل من أراد معرفة الشفاعة الحقيقية النافعة.

وبيانًا واضحًا لعقيدة السلف الصالح في ذلك ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله.

(١) الترمذي ٤/ ٤٥.

المبحث التاسع: الرقى

الرقى جمع رقية والرقية هي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالصرع والحمى وغير ذلك من الآفات وقد جاءت أحاديث كثيرة في الرقية بعضها يجيزها وبعضها ينهى عنها[١].

فمن الأحاديث الواردة في جوازها:

حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ (كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها)[٢].

وعنها رضي الله عنها قالت: (أمرني رسول الله ﷺ أو: أمر أن يسترقى من العين)[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: (استرقوا لها فإن بها النظرة)[٤]، والسفعة الصفرة.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يارسول الله كيف ترى في ذلك فقال: (اعرضوا عليَّ رقاكم. لابأس بالرقى مالم يكن فيه شرك)[٥].

---

(١) النهاية ٢/٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) رواه البخاري في الطب ٥/٢١٦٥ ومسلم ٤/١٧٢٣.

(٣) رواه البخاري في الطب٥/ ٢١٦٦ ومسلم ٤/١٧٢٥.

(٤) رواه البخاري في الطب ٥/٢١٦٧ ومسلم ٤/١٧٢٥.

(٥) رواه أبو داود في كتاب الطب ٤/٩ وابن ماجة ٢/١٦٦ - ١٦٧ والإمام أحمد في مسنده ١/٣٨١ وإسناده صحيح انظر صحيح الجامع ١/٢٣٦. والنهج السديد ٥٩.

ومن الأحاديث الـتي تمنع من الرقـى أو فيها كراهة الـرقى قوله ﷺ (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)(*).

وقوله ﷺ (لم يتوكل من استرقى أو اكتوى)[١].

وقوله ﷺ في حديث الـسبعين ألفا (هم الذين لا يستـرقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربـهم يتوكلون)[٢] وفي رواية لمسلم (هـم الذين لايرقون ولايسترقون)[٣].

وقد أجاب العلماء بأن هذه الأحاديث ليس فيها تعارض أبدا.

فالرقية جائزة بشرط اجتماع شروطها وممنوعة إذا لم توجد.

قال السيـوطي: قد أجمع العـلماء على جواز الـرقى عند اجتمـاع ثلاثة شروط:-

الشـــرط الأول: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

الشـــرط الثاني: أن يكون باللسان العربي وبما يعرف معناه.

الشرط الثـالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى[٤].

فإذا اختل شرط من هـذه الشروط لم تجز الرقية فتحـمل أحاديث الجواز على الرقيـة التي توفرت فيها الشـروط وأحاديث المنع على الرقـية التي لم تتوفر فـيها هذه الشروط كذلك يـؤخذ من الأحاديث السابقـة أن الاسترقاء

---

(١) رواه الإمام أحمد ٤/ ٢٥١ والترمذي في أبواب الطب بـاب ماجاء في كراهية الرقية ٣/ ٢٦٥ - ٢٦٦ نحوه وابن ماجة في كتاب الطب ٢/ ١١٥٤ وإسناده صحيح انظر: صحيح الجامع ٢/ ١٠٤٩.

(٢) البخاري ٥/ ٢٣٩٦ ومسلم ١/ ١٩٨.

(٣) مسلم ١/ ١٩٩ - ٢٠٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١٦٧.

(*) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجة (٣٥٣٠) وإسناده حسن.

وهو طلب الرقية ينافي كمال التوكل وفرق بين أن ترقي نفسك أو يرقيك أحد بدون طلبك وبين أن تطلب من أحد أن يرقيك وعلى هذا يحمل حديث السبعين ألفا.

أما رواية مسلم وهي (لا يرقون ولايسترقون)

فقد تكلم العلماء في هذه الزيادة وبينوا أنها معلولة.

قال شيخ الإسلام: هذه الرواية وهم من الراوي لم يقل النبي ﷺ لايرقون. لأن الراقي محسن إلى أخيه وقد قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن الرقى (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه[١] وقال لابأس بالرقى مالم يكن شركا) ورقى النبي ﷺ أصحابه.

والفرق بين الراقي والمسترقي في أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه والراقي محسن وإنما المراد وصف السبعين ألفا بتمام التوكل فلايسألون غيرهم أن يرقيهم ويكويهم ولايتطيرون[٢].

والحاصل أن الرقية جائزة بشروطها المذكورة وأنه لابأس بأن يرقي الإنسان نفسه ولايطلب من غيره أن يرقيه.

قول الإمام الشافعي في الرقية:

قال الربيع سئل الشافعي فقال: لابأس أن يرقى بكتاب الله أوذكر الله جل ثناؤه.

فقلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين.

فقال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله أو ذكر الله.

---

(١) رواه مسلم ١٧٢٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٠٨.

فقلت: وما الحجة في ذلك.

فقال: غير حجة، فأما رواية صاحبنا وصاحبكم:

فإن مالكا أخبرنـا عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي، ويهودية ترقيها فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله(١).

فقلت للشافعي: إنا نكره رقية أهل الكتاب.

فقال ولم؟

وأنتـم تروون هـذا عن أبي بـكر، ولا أعـلمـكم تروون عـن غيـره من أصحـاب النبي ﷺ خـلافه، وقد أحل الله طـعام أهل الـكتاب ونسـاءهم وأحسب الرقية إذا رقوا بكتاب الله مثل هذا أو أخف(٢).

فمذهب الشافعي رحمه الله جواز الرقية لكن بشرط أن تكون بكتاب الله أو ذكر الله جل ثناؤه.

وهذا هو الصواب إن شاء الله.

أما رقيـة أهل الكتاب للـمسلمين ففـيها خلاف بين الـعلماء فمنـهم من أجازها ومنهم من منعها.

أقوال العلماء في رقية أهل الكتاب للمسلمين:

القول الأول: الجواز.

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٤٣. وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٤٧ رقم ٢٣٥٨١ والـبيهقي في السنن الكبرى ٩/٣٤٩. وإسناده صحيح انظر: المجموع للنووي ٩/٦٥ - ٦٦.

(٢) انظر: الأم ٧/٢٢٨. والسنن الكبرى للبيهقي ٩/٣٤٩. طبقات السبكي ٢/١٣٦ - ١٣٧. والمجموع للنووي ٩/٦٥ - ٦٦ وفتح الباري ١٠/١٩٧.

وبه قال الإمام الشافعي والإمام مالك في رواية عنه إذا رقوا بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله وسلمت رقاهم من الشرك[١].

ودليلهم حديث أبي بكر في الموطأ وقد مر وفيه قال أبو بكر رضي الله عنه (إرقيها بكتاب الله).

قال ابن بطال:

المراد بذلك التوراة والإنجيل لأن ذلك كلام الله الذي فيه الشفاء[٢]. وقال الزرقاني:

قول أبي بكر إرقيها بكتاب الله: أي القرآن إن رجى إسلامها أو التوراة إن كانت معربة أو أمن تغييرهم[٣].

وقال الباجي:

ظاهره أنه أراد التوراة لأن اليهودية في الغالب لاتقرأ القرآن ويحتمل والله أعلم أن يريد كون الرقية بذكر الله عز اسمه أو رقية موافقة لما في كتاب الله تعالى.

ويعلم صحة ذلك بأن تظهر رقيتها فإن كانت موافقة لكتاب الله تعالى أمر بها[٤].

القول الثاني:

القول بالكراهة وبه قال الإمام مالك في الرواية الأخرى عنه والربيع بن

---

(١) الأم للشافعي ٧/ ٢٢٨ والمجموع للنووي ٩/ ٦٥ والفتح ١٠/ ١٩٧ شرح البخاري لابن بطال خ لوحة ١٨٧، المنتقى ٧/ ٢٦١.

(٢) شرح البخاري لابن بطال خ لوحة ١٨٧.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ ٤/ ٣٢٨.

(٤) المنتقى ٧/ ٢٦١.

سليمان صــاحب الإمام الشافعي ونسبــه السبكي إلى محمــد بن الحسن من الأحناف[١].

قال الباجي:

وفي المستخرجة عن مالك لا أحب رقى أهل الكتاب وكرهه.

وذلك والله أعلم إذا لم تكن رقيتهم مـوافقة لما في كتاب الله تعالى وإنما كانت من جنس السحر وما فيه كفر مناف للشرع[٢].

وقال المازري:

اختلف في استرقــاء أهل الكتاب فأجازها قوم وكرهها مــالك لئلا يكون مما بدلوه[٣].

والذي يفهم من كلام من كره رقية أهل الكتاب أنهم كرهوها لأمرين:-

الأمر الأول: الخوف من أن تكون رقيتهم من التوارة المبدلة.

الأمر الثاني: الخوف من أن يرقوا برقية لايعرف معناها فتكون من السحر أو الشعوذة وهذا محرم من الكتابي والمسلم.

وأجاب من أجاز الرقية.

بأن مثل هذا يبعد أن يقولوه.

وهو كالطب سـواء فإن غير الحاذق لايحسن أن يـقول والحاذق يأنف أن يبدل حرصا على استمرار وصفه بالحذق لتروج صناعته[٤].

---

(١) الأم ٧/٢٢٨، والمنتقى ٧/٢٦١ طبقات السبكي ٢/١٣٧.

(٢) المنتقى ٧/٢٦١.

(٣) فتح الباري ١٠/١٩٧.

(٤) المصدر السابق.

الراجح:

من المعلـوم أن الإسترقاء الذي هو طلب الـرقية من الغير منـاف لكمال التوكل كما دل على ذلك حديث السبعين ألفا المتقدم فعلى المسلم أن يجتهد في رقيـة نفسه فإذا اضـطر جاز له مع الـكراهة طلب الـرقية من المســلمين بشروطها المتقدمة.

فإذا كان هذا مـكروهاً مع المسلمين فـلأن يكون مكروهاً من غـيرهم من أهل الكتاب من باب أولى حتى وإن توفرت شروط الرقية السابقة أما إذا لم تتوفر فممنوع من المسلمين ومن غيرهم.

ومما يدل عـلى كراهة رقـية أهل الكـتاب للمـسلمين ولـو توفرت فيـها الشروط ما روته زيـنب امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عـنه قالت: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى البـاب تنخع وبزق كراهة أن يهجم منا على شيء يكرهـه قالت وإنه جاء ذات يوم فتنحنح قـالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة(١).

فأدخلتها تحت السرير.

فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا.

قال: ما هذا الخيط:

قلت خـيط رقي لي فـيه قالت: فـأخذه فقطـعه ثم قال: إن آل عـبدالله لأغنـياء عن الشـرك سمعت رسـول الله ﷺ يقول: (إن الـرقى والتمـائم والتولة شرك)(٢).

---

(١) مرض جلدي يحمـر فيه موضع الإصابة يصحبـه حمى عالية، المعجم الوسـيط ١٩٧ وفي القاموس الحمرة ورم من جنس الطواعين ٤٨٥.

(٢) التولة: بكـسر التاء وفتح الواو ما يـحبب المرأة إلى زوجها من الـسحر وغيره. النهايـة في غريب الحديث ١/ ٢٠٠.

قالت لم تقول هذا وقد كـانت عيني تقذف[١] فكنت أختـلف إلى فلان اليهـودي يرقيها وكان إذا رقـاها سكتت قال إنمـا ذلك عمل الشيـطان كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنـها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ (أذهب البأس رب الـناس واشف أنت الشافي لاشـفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما)[٢].

فهذا يدل على كراهة عبدالله بن مسـعود رضي الله عنه لرقية اليهود ولم يسألها أكان يرقيها بكلام الله أم لامما يدل على كراهته لها مطلقا.

ومما ينبغي فهمه أنه لايجوز قياس المشركين والكهنة والمشعوذين على أهل الكتاب لأن أهل الكـتاب عندهم كتاب وهو كلام الله ولايزال عـندهم منه شيء وإن حرِّف. أما الكهنة والسحرة ونحـوهم من المشركين فغالب رقاهم قائمة على السحر واستعمال الجـن وهذا لايجوز أبدا وقد سبق بيان هذا في حكم السحر والساحر والله أعلم.

---

(١) القذف هو الرمي كأنها تعني أنها كانت تتحرك بقوة انظر النهاية ٤/ ٢٩.

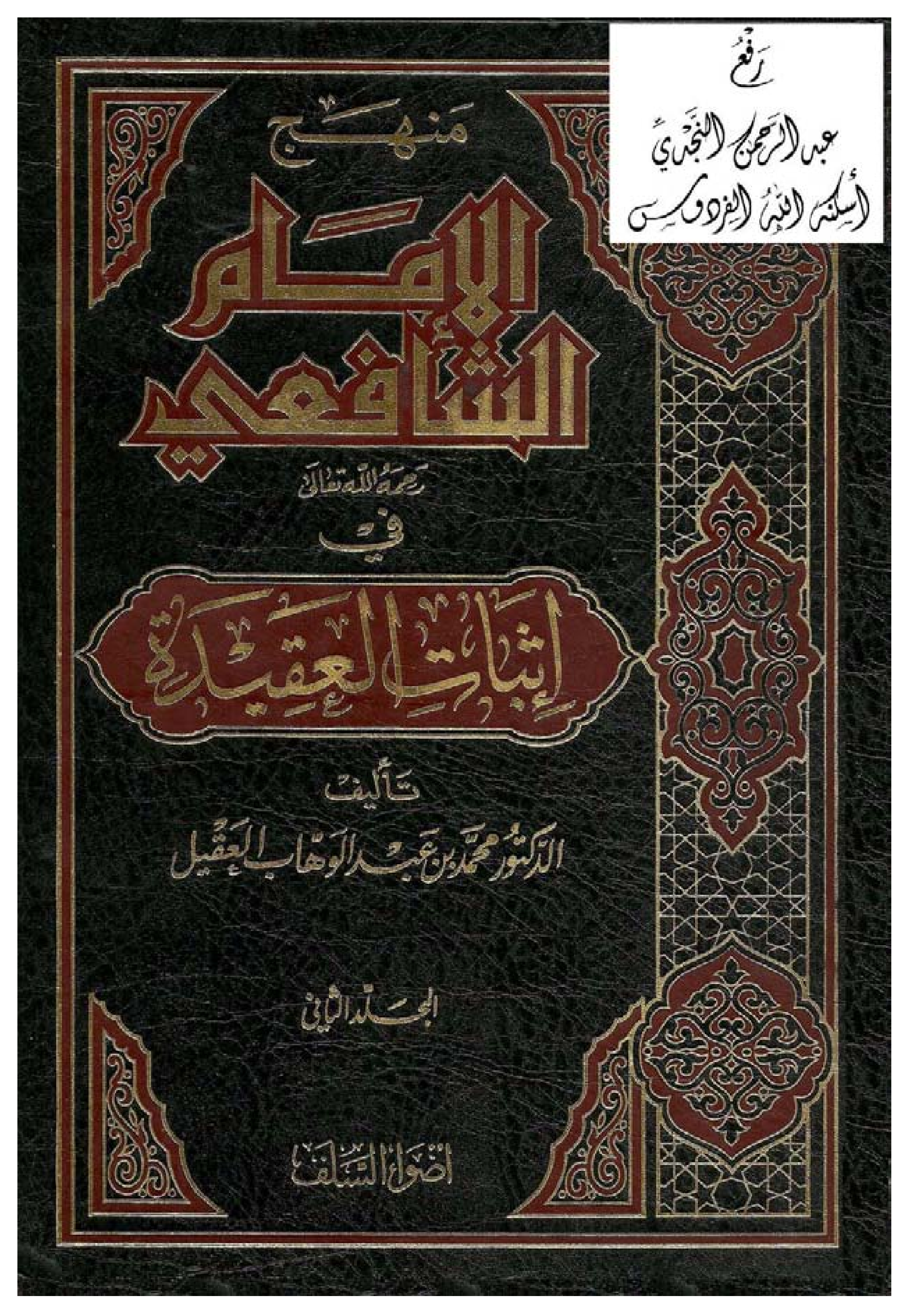
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٨١.
وأبو داود رقم ٣٨٨٣.
وابن ماجة ٣٥٣٠.
والحاكم في المستدرك ٤/ ٤١٧، ٤١٨.
وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم ١٦٢٨.
وقال صاحب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد صفحة ٥٩ إسناده حسن - والله أعلم.

تم بحمد الله المجلد الأول

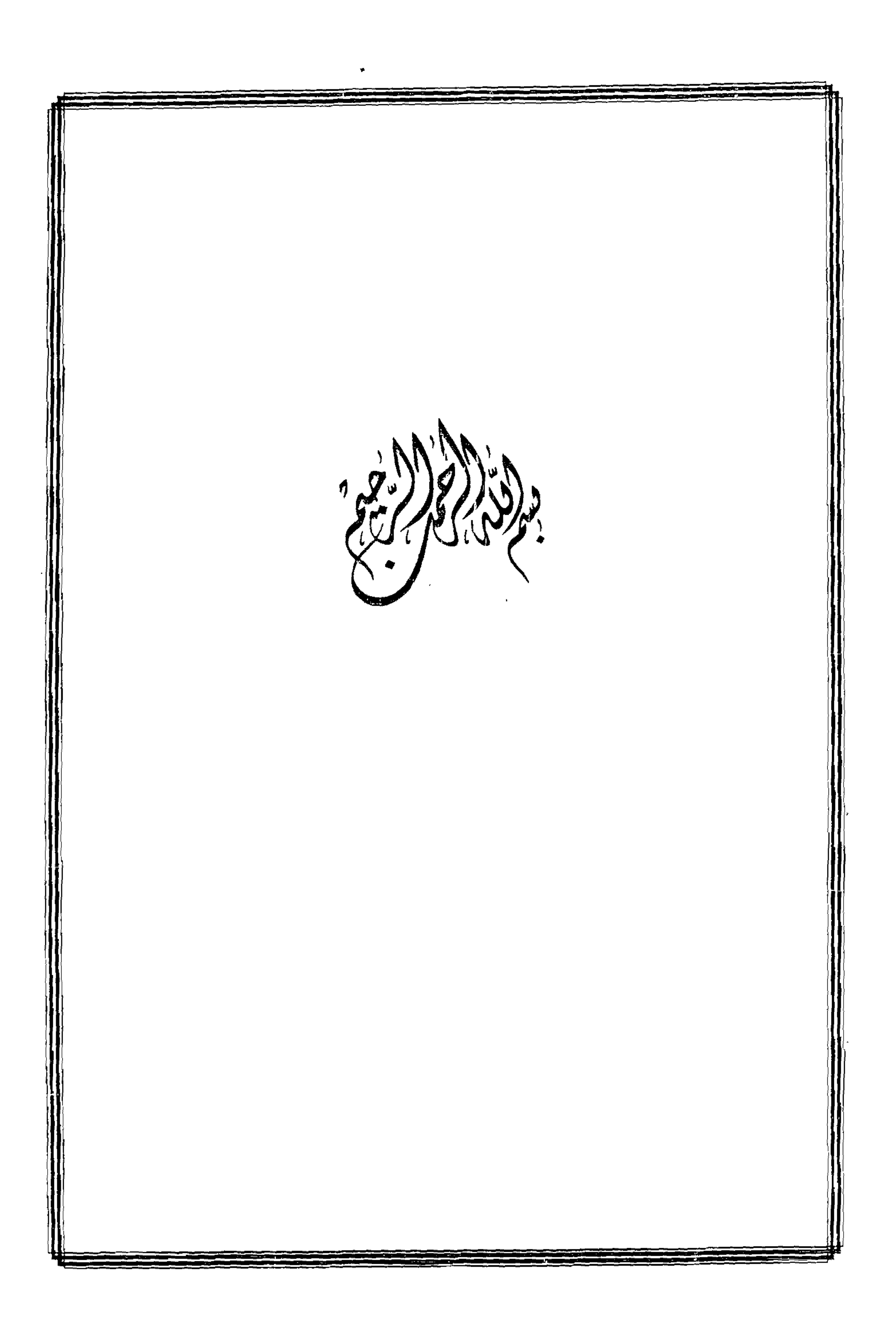
من كتاب: منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة

ويتلوه إن شاء الله المجلد الثاني

وأوله: الفصل الثاني: توحيد الربوبية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
منهج
الإمام الشافعي
رحمه الله تعالى
في
إثبات العقيدة
تأليف
الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل
المجلد الثاني
أضواء السلف


منهج الإمام الشافعي
رحمه الله تعالى
في
إثبات العقيدة


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

منهج الإمام الشافعي

رحمه الله تعالى

في

إثبات العقيدة

تأليف
الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل

المجلد الثاني

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزيمي

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص.ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٢٣٢١٠٤٥ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي .
مصر : مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية ـ ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤ .
باقي الدول : دار ابن حزم ـ بيروت ـ ت ٧٠١٩٧٤

الفصل الثاني

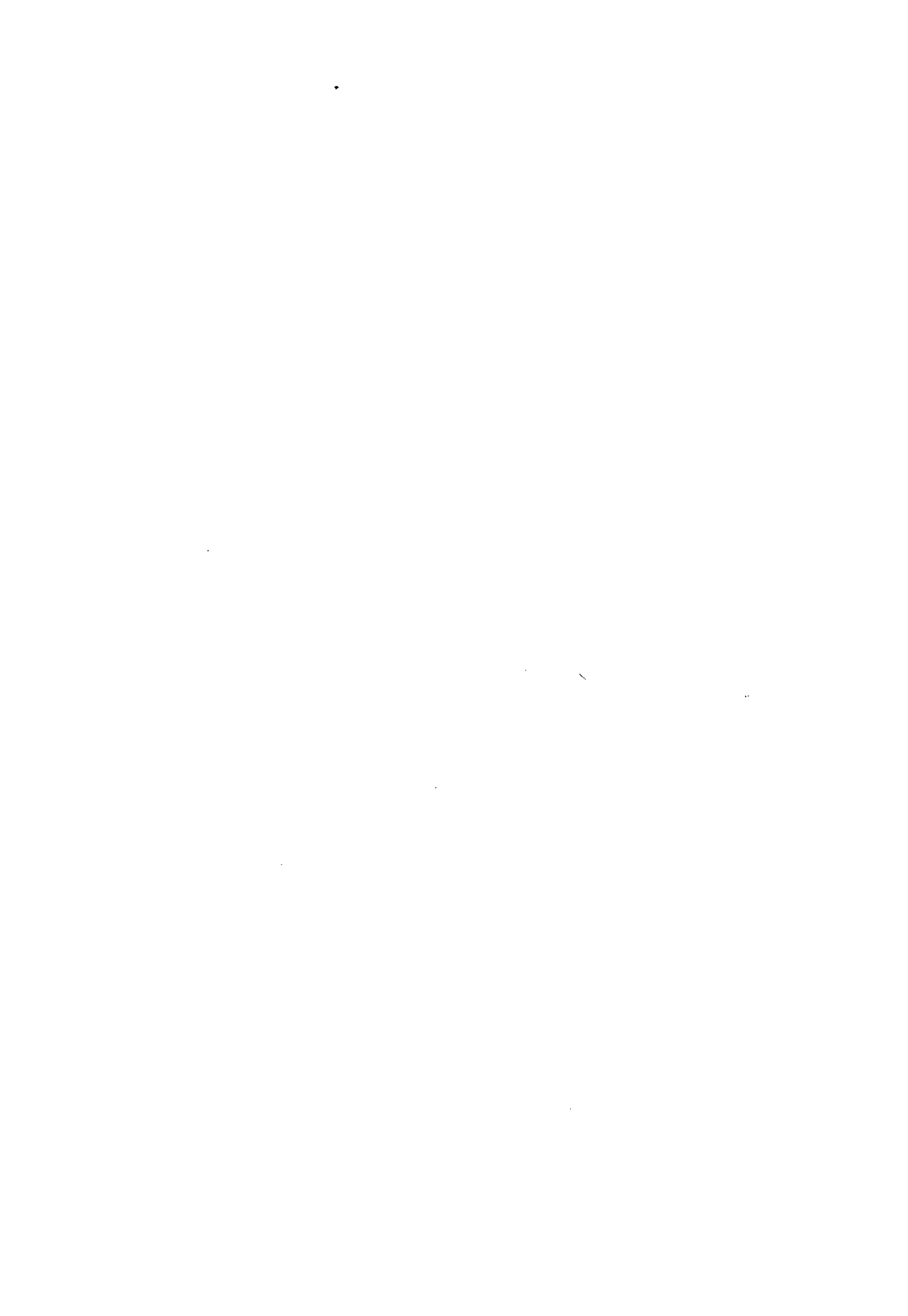
توحيد الربوبية

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طريقة السلف في الإستدلال على وجود الله.

المبحث الثاني: طريقة المتكلمين.

المبحث الثالث: طريقة الإمام الشافعي.



تمهيد

من المعلوم أن الإيمان بوجود الله ووحدانيته وربوبيته على خلقه أمر فطرت عليه القلوب وجبلت عليه النفوس وأجمعت عليه الأمم. فهو سبحانه وتعالى وتقدس أبين وأظهر من أن يجهل فيطلب الدليل على وجوده.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾(١).

ولذلك لم تبرز هذه القضية في كتاب الله بل جعلها الله من الأمور المسلمة التي لا تحتاج إلى دليل واحتج بذلك على لازمها وهو حقيقة دعوة الرسل وزبدة أهدافهم، أعني إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والعبودية ويتضمن هذا الكفر بجميع ما يعبد من دون الله فيقول سبحانه وتعالى في أول أمر في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾(٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة(٣).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قلت يارسول الله أي الذنب أعظم عند الله قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) الحديث(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- :

وحدانية الربوبية معلومة بالشرعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل(٥).

---

(١) الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٢١ - ٢٢ من سورة البقرة

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٧.

(٤) البخاري (٤/ ١٦٢٦). ومسلم رقم (٨٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠١)، وانظر بسط هذه الأدلة في (٢/ ٣٨).

وقال: كيف يطلبُ الدليل على من هو دليل على كل شيء وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل[١]

قال ابن القيم - رحمه الله ـ بعد ذكره لكلام ابن تيمية السابق:-

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها[٢].

ولذلك لما فسدت فطر بعض الطوائف وتظاهرت بإنكار الخالق سبحانه وتعالى وزعمت أن العالم لم يزل وأن المهلك لهم تعاقب الليل والنهار وهم الدهرية جاء في القرآن الرد على هؤلاء وأشباههم بما لا مزيد عليه ولا حاجة معه إلى غيره من ردود أهل الكلام.

وصارت هذه الردود أدلة عظيمة لوجود الله سبحانه وتعالى ولوجوب إفراده بالعبادة والكفر بعبادة من سواه.

(١) تهذيب مدارج السالكين(٥٨).
(٢) انظر: تهذيب مدارج السالكين ص٥٨.

المبحث الأول: طريقة السلف في الاستدلال على وجود الله

وأول الأدلة التي ذكرها القرآن على ذلك.

الفطرة:

وهذه الفطرة هي التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٢).

وقد اختلف العلماء في تعريف الفطرة على عدة أقوال ذكر ابن عبدالبر - رحمه الله - ستة أقوال في ذلك.

فمنهم من قال إنها الخلقة التي عليها المولود من المعرفة بربه ومنهم من قال إنها الإسلام.

ومنهم من قال إنها البدأة التي بدأهم عليها من سعادة وشقاوة وإنهم صائرون إلى ما فطروا عليه.

ومنهم من قال إن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة والكفر والإيمان وقال بعضهم: الفطرة ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق. وقال أصحاب القول السادس: الفطرة هي ما يقلب الله قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء فالفطرة عندهم هي القضاء والقدر.

وقد رجح ابن عبدالبر القول الأول وقال إن معنى الفطرة الخلقة التي خلق عليها المولود وهي خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة. فهي خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقها إلى معرفة الله(٣).

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الروم.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٧٩٢ ومسلم في كتاب القدر ٤/ ٢٠٤٧.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ٦٨ - ٩٥ بتصرف.

وقد رجح شيخ الإسلام - ابن تيمية - رحمه الله - قول من فسر الفطرة بالإسلام أو الدين وأن الفطرة نفسها تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته والذل له وإخلاص الدين له وأن فيها قوة موجبة لذلك إذا سلمت من المعارض.

فقال - رحمه الله - : الآثار المنقولة عن السلف لاتدل إلا على هذا القول الذى رجحناه(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله - :

فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملا ومفصلا بعض التفصيل فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفائها أثرها(٢).

وهذا القول اختاره الإمام البخاري - رحمه الله- في صحيحه.

حيث قال الفطرة الإسلام وساق حديث أبي هريرة السابق(٣).

وقد رد شيخ الإسلام قول ابن عبدالبر(*) فى ذلك فقال: صاحب هذا القول إن أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فإن مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون حنيفاً ولا أن يكون على الملة.. وإن أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع إرادتها فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على أنهم فطروا على القدرة على المعرفة وإرادتها وذلك مستلزم للإيمان(٤).

وقد ذكر - رحمه الله - جميع التفسيرات للفطرة ونقل كلام ابن عبدالبر

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤١٠.

(٢) شفاء العليل (٥٩٢).

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٧٩٢ باب لاتبديل لخلق الله.

(٤) درء التعارض ٨/ ٣٨٥ باختصار.

(*) قول ابن عبد البر رحمه الله: الفطرة: الخلقة التي خلق الله عليها المولود وهي خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة فهي خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقها إلى معرفة الله التمهيد ١٨/ ٦٨.

- رحمه الله- وغيره ورجح أنها الإسلام كما سبق ثم قال وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ من أن كل مولود يولد على الفطرة مما تقوم الأدلة العقلية على صدقه كما أخبر الصادق المصدوق وتبين أن من خالف مدلول هذا الحديث فإنه مخطيء في ذلك وبيان ذلك من وجوه.

ثم ذكر ثمانية وجوه ثم قال:

وحينئذ فلا تكون مفطورة لاعلى يهودية ولا على نصرانية فعلى المجوسية أولى ويلزم أن تكون مفطورة على الحنيفية المتضمنة لمعرفة الحق والعمل به وهو المطلوب(١).

وبهذا يتضح لنا أهمية هذا الدليل(*) وصحة الاستدلال به على ألوهية الله على خلقه وعلى ربوبيته من باب أولى بل جميع الأدلة بعده مبنية عليه.

يقول شيخ الإسلام: وهذا شأن الحق الذي يطلب معرفته بالدليل فلابد أن يكون مشعوراً به في النفس حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض أحواله وأما مالا تشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها البتة(٢).

الدليل الثاني:

الاستدلال بالآيات الكونية وغيرها وهذا من أعظم الأدلة فائدة وأسهلها طريقة وأسرعها نتيجة وأسلمها وأبعدها عن الخطأ ولذلك لما سئل بعض الأعراب عن وجود الرب تعالى قال: ياسبحان الله إن البعر ليدل على البعير وإن الأثر ليدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألايدل ذلك على وجود اللطيف الخبير(٣).

---

(١) انظر: درء التعارض ٨/ ٣٥٩ - ٣٦٨ باختصار راجع دقائق التفسير ١/ ٤٩.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٥٣٢ بمعناه.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٨ - ٥٩.

(*) أعني دليل الفطرة السابق

وقال أبو نواس وقد سئل عن ذلك:

تأمل فى نبات الأرض وانظر .·. إلى آثار ماصنع المليك

عيون من لجين شاخصات .·. بأحداق هى الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات .·. بأن الله ليس له شريك(١)

وقال ابن المعتز:

فواعجبا كيف يعصى الإله .·. أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة .·. وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية .·. تدل على أنه واحد(٢)

وقال آخر:

سل الواحة الخضراء والماء جاريا

وهذي الصحارى والجبال الرواسيا

سل الروض مزدانا سل الزهر والندى

سل الليل والإصباح والطير شاديا

وسل هذه الأنسام والأرض والسماء

وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا

فلوجن هذا الليل وامتد سرمدا

فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٥٨ - ٥٩.

(٢) المصدر السابق ١/٥٩.

وانظر: عقيدة المسلمين للبليهي رحمه الله (١/ ١٢٥).

وفي معرض الرد على من فسدت فطرهم وأنكروا وجود الله تبارك وتعالى أو أشركوا معه في ألوهيته شيئا ذكر الله سبحانه وتعالى أعظم هذه الآيات دلالة وأظهرها وضوحا في الاستدلال ألاوهي آية الخلق من العدم وأول سورة نزلت في القرآن ذكرت هذا حيث يقول سبحانه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾(١) فذكر الخلق مطلقا ومقيدا ليذكر أن هذا الخلق لابد له من خالق وهذا ما يسميه العلماء دليل الخلق والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦)﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٦).

---

(١) الآيتان ١، ٢ من سورة العلق.

(٢) الآيتان ٥، ٦ من سورة الطارق.

(٣) الآية ١٧ من سورة الغاشية.

(٤) الآية ٣٥ من سورة الطور.

(٥) الآية ٧٣ من سورة الحج.

(٦) الآية ١٩ من سورة إبراهيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠)﴾[3].

ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن وكلها تدل ضرورة على تفرد الخالق سبحانه وتعالى بالربوبية.

واستحقاقه للألوهية وحده لاشريك له[4].

دليل العناية

وقد استنبط العلماء دليلا آخر سموه دليل العناية وهو داخل تحت دلالة الآيات على وحدانيته سبحانه وتعالى فنحن إذا نظرنا إلى هذا العالم المحسوس حولنا وجدناه مترابطاً يسير بنظام محكم دقيق يقول بعض العلماء: لو لم يكن للعالم صانع لكان أضيع ضائع هل رأيت مصنوعاً بلا صانع وسقفاً مرفوعا بلا رافع وهل نفي الصانع إلا مكابرة وما يجحده إلا النفوس الكافرة.

وقال آخر «قم إلى السماء تقصي النظر وقص الأثر واجمع الخبر والخبر كيف ترى ائتلاف الفلك واختلاف النور والحلك وهذا الهواء المشترك وكيف ترى الطير تحسبه قد ترك وهو في شرك تعالى الله دل الملك على الملك

(١) الآية ٩ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٦٤ من سورة النمل.

(٣) الآية ٢٠ من سورة الروم.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٧٤ وشرح حديث النزول ٢٨ - ٣٠ والملل والنحل ٣/ ٧٩.

وقف بالأرض سلهـا من زم السحاب وأجراها وعقل الريـاح وعراها ويحل صباها حتى تخرله في غد جباها وسـل الجبال من بدأها غبرات ثم جمعها صخرات ثم فـرقها مشمخـرات وسل النمل من أدقـها خلقا وملأهـا خلقا وسلكـها طرقا لـتبتغي رزقـا وسل النحـل من قلدها الإبـر وألبسهـا الحبر وأطعمها صفو الزهر وصيرها طاهية للبشر»(١).

والآيات التي أشارت إلى هذا المعنى كثيرة.

فمنها قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا

---

(١) انظر: عقيدة المسلمين للبليهي (١/١٠١ - ٢١٤).
مفتاح دار السعادة لابن القيم والبراهين القاطعة للسعدى والتوحيد لابن مندة
(٢) الآية ٥٣ من سورة فصلت.
(٣) الآيات ٣-٦ من سورة الجاثية
(٤) الآيات ٦-١٦ من سورة النبأ.

الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[(٢)].

إلى غير ذلك من الآيات التي تذكر بالكون وما فيه من مخلوقات تسير بنظام عجيب دقيق والتي يدل النظر والتفكر فيها ضرورة إلى خالقها الحكيم المدبر المتفرد بالتصرف سبحانه وتعالى بل جعل الله تبارك وتعالى الإنسان وما فيه دليلا على تفرده سبحانه وتعالى بالربوبية واستحقاقه للعبادة وحده لاشريك له كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[(٣)].

والآيات في هذا المعنى كثيرة[(٤)].

وقد أضاف بعض العلماء إلى ذلك دليلا ثالثاً وهو ما يسمى دلالة المعجزة مع غيرها من أدلة صدق الأنبياء.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - قال أبو يعلى في عيون المسائل مسألة: ومثبتو النبوات حصل لهم المعرفة بالله تعالى بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلاقا للأشعرية في قولهم لاتحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول:

وقال: - أي القاضي أبو يعلى - نحن لا نمنع صحة النظر ولانمنع حصول المعرفة به وإنما خلافنا هل تحصل بغيره واستدل بأن النبوة إذا ثبتت

(١) الآيات ٢٤ - ٣٢ من سورة عبس
(٢) الآية ١٩٠ من سورة آل عمران.
(٣) الآية ٢١ من سورة الذاريات.
(٤) انظر: تلبيس الجهمية ١/ ١٧٤.
وانظر: عقيدة المسلمين ١/ ١٣١ - ١٣٤.
وانظر: التوحيد للزنداني جـ١، جـ٢ فقد أسهب في هذا الموضوع جداً.

بقيام المعجزة علمنا أن هناك مُرسلا أرسله. إذ لا يكون هناك نبي إلا وهناك مرسل وإذا ثبت أن هناك مرسلاً أغنى ذلك عن النظر والاستدلال في دلائل العقول على إثباته.

ثم نقل - رحمه الله - كلاما للبيهقي حول هذا المعنى[١] ثم قال: وأما الطريقة التي ذكرها المتقدمون فصحيحة إذا حررت - وقد جاء القرآن بها في قصة فرعون فإنه كان منكراً للرب. قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)﴾[٢] فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة وهي المعجزات التي أجراها الله على يد موسى عليه السلام التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين وفي أن له إلـها غير فرعون يتخذه.

---

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي ٤٥ - ٤٨.

(٢) الآيات ١٦ - ٣٣ من سورة الشعراء

وكذلك قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

فبين أن المعجزة، التي هي فعل خارق للعادة - تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث بل هي أخص من ذلك لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة. ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم مالا يكون عند المعتاد. ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لايحصل للمعتادة. إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول. وإذا تبين بأنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله فتتقرر بها الربوبية والرسالة(٢).

هذه أهم الأدلة التي استنبطها العلماء للرد على من أنكر ربوبية الله على خلقه أو أشرك معه غيره في ملكه وأفعاله أو في ألوهيته وهي بحمد الله أدلة شرعية نطق القرآن بها ودلت عليها سنة نبينا محمد ﷺ وهي كافية شافية صالحة لكل إنسان من عرب قديماً وحديثاً ولانحتاج معها إلى ما سلكه كثير من المتكلمين لتقرير ربوبية الله مما ورثوه عن الفلاسفة الضالين والذي جعلوه أصلا من أصول الدين عندهم بل زعموا أن من لم يعرف الله سبحانه وتعالى بالطرق التي أصلوها فلايصح إيمانه(٣) وهذه من الطوام التي جرها علم الكلام على أهله نسأله الله العافية إذ يلزم منها الحكم بعدم صحة إيمان أمم من المسلمين وسوف أذكر بإيجاز طريقة المتكلمين في هذه المسألة مع رد موجز لها حتى لايغتر بها من لم يفقه كلامهم.

---

(١) الآية ١٤ من سورة هود.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى جـ ١١/ ٣٧٧ - ٣٨٠.

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٤٩).

المبحث الثاني: طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله

سلك المتكلمون في الاستدلال على وجود الله طريقة الأعراض والجواهر واستدلوا بحدوث كل منهما وإمكانه على حدوث العالم.

وأشار عضد الدين الإيجي إلى هذه الطريقة في المواقف العضدية فقال:

قد علمت أن العالم إما جوهر أوعرض، وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منها أو بحدوثه فهذه وجوه أربعة[١]، ويشرح المتكلمون هذه الطريقة فيقولون بأن العالم ينقسم إلى جواهر وأعراض وإن الأعراض لاتبقى زمانين متتاليين وإنما يطرأ عليها التغير والتحول فهي حادثة.

والجواهر لا تتعرى عن الأعراض التي هي ملازمة لها وما دامت الجواهر لاتنفك عن الأعراض فهي حادثة بحدوثها لأن مالازم الحادث فهو حادث، ومادام العالم مكونا من الجواهر والأعراض وقد ثبت حدوثها فالعالم حادث وكل حادث فلابد له من محدث وهو الله سبحانه[٢].

وقد نقض ابن رشد هذا الدليل في كتابه مناهج الأدلة وتتبع أجزاءه ورد عليها وقال: (وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لايتجزأ وهو الذي يسمونه الجوهر الفرد طريقة معتاصة تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية ولامفضية بيقين إلى وجود الباري[٣].

---

(١) المواقف ص ٥.

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ٤٣ وابن تيمية وموقفه من التأويل ٢١٣.

(٣) مناهج الأدلة ٤٣ - ٦٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

هذه الطريقة مما يعلم بالإضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام - كالأشعري وغيره - بأنها ليست طريقة الرسل واتباعهم ولاسلف الأمة وأئمتها وذكروا أنها محرمة عندهم بل المحققون على أنها طريقة باطلة وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه فاحد الأمرين لازم له:

إما أن يطلع على ضعفها ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم.

فتتكافأ عنده الأدلة أو يرجح هذا تارة وهذا تارة كما هو حال طوائف منهم.

وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل. كما التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار.

والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة.

والتزم قوم لأجلها - كالأشعري وغيره - أن الماء والتراب له طعم ولون وريح ونحو ذلك(*).

(*) معنى هذا أن المتكلمين ومنهم الأشاعرة استدلوا على وجود الله بحدوث العالم واستدلوا على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها وهو مبني على مقدمتين: إحداهما: أن الأجسام لاتخلو عن الأعراض التي هي الصفات.

والثانية: أن مالا يخلو عن الصفات التى هى الأعراض فهو محدث لأن الصفات - التي هي الأعراض لاتكون إلا محدثة. قالوا والأعراض تعرض فتزول فلا تبقى بحال. فلذلك التزم أهله هذه اللوازم الفاسدة فلذلك قالوا كل حادث لابد أن تكون له صفات من لون وريح وطعم حتى ما علم بالحس عدم وجودها به كالهواء والماء وانظر درء التعارض ١/ ٣٧ - ٤٢.

والتزم قوم لأجلها ولأجل غيرها أن جميع الأعراض كالطعم واللون وغيرهما لايجوز بقاؤهما بحال لأنهم احتاجوا إلى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الإستدلال على حدوث الأجسام بصفاتها فقالوا صفات الأجسام أعراض، أي أنها تعرض فتزول فلاتبقى بحال بخلاف صفات الله فإنها باقية ...... إلى أمثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم. ولكن ليست من الدين الذي شرعه الله لعباده) (١).

وقال رحمه الله في موضع آخر:

ثم إنهم أيضا يوجبون مالم يوجبه بل حرمه ويحرمون مالم يحرمه بل أوجبه فيوجبون اعتقاد هذه الأقوال والمذاهب المناقضة لخبره وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها ويوجبون النظر المعين في طريقهم الذي أحدثوه كما أوجبوا النظر في دليل الأعراض الذي استدلوا به على حدوث الأجسام وقالوا يجب على كل مكلف أن ينظر فيه ليحصل له العلم بإثبات الصانع. قالوا لأن معرفة الله واجبة ولا طريق إليها إلا هذا النظر وهذا الدليل، ولما علم كثير من موافقيهم أن الإستدلال بهذا الدليل لم يوجبه الرسل خالفوهم. في إيجابهم مع موافقتهم لهم على صحته.

والتحقيق ما عليه السلف أنه ليس بواجب أمراً ولا هو صحيح خبراً بل هو باطل منهي عنه شرعا فإن الله تعالى لا يأمر بقول الكذب والباطل بل

(١) درء تعارض العقل والنقل. (١/ ٣٩ - ٤١).

ينهى عن ذلك. لكن غلطوا حيث اعتقدوا أنه حق وأن الدين لايقوم إلاعلى هذا الأصل الذي أصلوه[١].

وبهذا يتبين لنا خطأ المتكلمين في هذه المسألة وبعدهم عن المنهج القرآني والذي يوجب على من كان على آرائهم في هذا الزمان أن يتقوا الله ويتوبوا مما هم فيه من بعد عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتمسك بآراء ساقطة موروثة عن فلاسفة اليونان يصدون بها عن دين الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا[٢].

(١) النبوات (٩٥).

(٢) وانظر في ذم طريقة أهل الكلام الحجة في بيان المحجة (١/٩٩-١٠٦).

المبحث الثالث: طريقة الشافعي في الإستدلال على وجود الله

الشافعي - رحمه الله - أحد أئمة السلف ومن أعظم من حارب الكلام وأهله سلك في هذه القضية طريق السلف المستنبط من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فكان - رحمه الله- إذا سئل عن هذه المسألة يستدل على ذلك بدليل الآيات السابق فقد روى أبو نعيم بسنده مناظرة حدثت بينه وبين بشر المريسي بحضرة هارون الرشيد(١).

قال بشر: أخبرني ما الدليل على أن الله تعالى واحد فقال الشافعي يابشر ما تدري من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم(٢) إلا أنه لابدلي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت، الدليل عليه به ومنه وإليه(٣).

---

(١) أبو نعيم في الحلية ٩/٨٣. والبيهقي في المناقب ١/٣٩٩ - ٤٠٠ وذكره مختصرا في الإعتقاد ٤٢ والمناقب للرازي ١٠٧ - ١١٢.

(٢) الخواص عند الإمام الشافعي هم علماء السنة أهل الحديث والأثر وليس علماء الكلام فإن بشرًا المريسي من أهل الكلام ويعرف لسانهم ولكن الذي لا يعلمه بشر هو طريقة السلف في الإستدلال. لذلك ذكر له دليل الآيات المشهور.

(٣) معنى هذا- والله أعلم- أن الشافعي - رحمه الله - يستدل على الله بالله وهذا يشبه قول شيخ الإسلام - رحمه الله - (كيف تطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء).
ونقل شيخ الإسلام عن أبي محمد عبدالله- بن أحمد الخليدي: في (كتابه شرح اعتقاد أهل السنة) لأبي على الحسين بن أحمد الطبري وهذا لعله ممن أدرك أحمد وغيره قال الخليدي في معرفة الله: وهي أول الفرض الذي لايسع المسلم جهله ولا تنفعه الطاعة وإن أتى بجميع طاعة أهل الدنيا مالم تكن معه معرفة وتقوى. فالمسلم إذا نظر في مخلوقات الله تعالى وما خلق من عجائبه مثل دوران الليل والنهار والشمس والقمر وتفكر في نفسه وفي مبدئه ومنتهاه فتزيد معرفته بذلك قال الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات.
وقال النبي ﷺ: (من عرف نفسه عرف ربه).
ولسنا نقول: إن الله يعرف بالمخلوقات بل المخلوقات كلها تعرف بالله لكن معرفته تزيد بالنظر في مخلوقات الله.
وسئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن رجل يقول: عرفت الله بالعقل والإلهام. فقال: من قال عرفت الله بالعقل والإلهام فهو مبتدع عرفنا كل شيء بالله. =

واختلاف الأصوات من المصوت إذا كـان المحرك واحداً واختلاف الصور دليل على أنه واحد(١).

وعدم الضـد في الكل علـى الدوام دليل علـى أنه واحد(٢) وأربع نيران مختلفـات في جسد واحد متفقات الدوام عـلى تركيبه في استقـامة الشكل دليل على أن الله تعالى واحد(٣).

= وسئل ذو النون المصري: بماذا عرفت ربك فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.
وقال عبدالله بن رواحة.
والله لولا الله ما اهتدينا.. ولا تصدقنا ولاصلينا. إلى أخره وكان هذا بين يدي النبى ﷺ فلم ينكره عليه فدل على صحة قول علمائنا إن الله يعرف بالله والأشياء تعرف بالله.
انظر: مجموع الفتاوى ٢/٢، ١٦، ٢٠.

(١) يعنى أن آلات الصوت والكلام في الإنسان من لسان وأسنان وشفتين وحلق وحنجرة وحبال صوتية وقوة دافعة للهواء واحـدة في كل بني آدم ومع ذلك تجد بين الأفراد اختلافا كـبيرا بل نجد الإختلاف في ذلك بين الوالد وأبنائه حتى إن الأطباء في هـذا الزمان يقولون إن اختلاف الصوت مثل اختلاف بصمات الأصـابع فمن الذي فرق بين الأصـوات بهذا الشكل الدقـيق الذي لانجد اثنين مهـما كانت قرابتهما متفقين في صوتيهما فهذا يدل على وجود الله ووحدانيته في الربوبية والله أعلم.
ومعنى قوله واختـلاف الصور أن الله خلق آدم من تراب وخلق ذريته من مـاء مهين ومع ذلك لانجد اثنين في الدنيا يتشابهان في كل شيء حتى فى ابناء الأب الواحد.
والى نـحو هذا والله أعلـم أشار الله تبارك وتـعالى في قـوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ الروم آية (٢٢)..

(٢) قوله وعدم الضد في الكل على الدوام معناه أن الإنسان مع ما فيه تغير وتبدل من حال إلى حال فهو قد كان نطفة ثم علقة ثم تطور إلى أن خرج وصار طفـلاً ثم شاباً ثم كهلا ثم شيخاً ومع ما يعتريه فى حياتـه من مرض وصحة وسمـن وهزال ومع ذلك فالإنسـان هوهو لم يتغـير صوته ولم تتـغير صورته.
انظر: مناقب الرازي ١٠٩.

(٣) وتفسيره: أن في البدن نيرانا أربعة.
أحدها: نار الشهوة. وهي الحرارة التى تؤثر في بدن الإنسان عند قضاء الشهوة من الجماع.
وثانيها: حرارة الغضب وهي الحرارة التي تثور عند استيلاء الغضب.
وثالثها: الحرارة القائمة بأعضاء الغذاء وهي الحرارة الغريزية المؤثرة في هضم الغذاء.
ورابعها: الحرارة الغريزية المتولدة في قلبه وهي الحرارة المؤثرة التي يتم بها أمر الحياة.
فهذه الأنواع الأربعة مـن الحرارة: نيران مختلفة بالماهـية ثم إنها اجتمعت في بدن الإنـسان تبقى كل واحدة منها علـى صفتها المخصوصة وطبيعـتها المخصوصة. وهي كامنة في بـدن الإنسان لاتظهر إلا عند وقت الحاجة إليها. ثم إنهـا مع اختلافها وتباينها متوافقه متعاونة علـى تحصيل مصلحة الإنسان وموجبة لاستقامة سلامة ذلك الجسد. مناقب البيهقي (١/ ٤٠٠). مناقب الرازي (١٠٩).

وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على صلاح الأحوال دليل على أن الله واحد(١).

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ البقرة كل ذلك دليل على أن الله واحد لاشريك له.

وروى ابن عساكر بسنده عن المزني قال: لما وافى الشافعي مصر قلت في نفسي إن كان أحد يخرج ما في ضميرى وتعلق به خاطري من أمر التوحيد فهو فصرت إليه وهو جالس في مسجد مصر فلما جثوت بين يديه قلت له

---

(١) وتفسيره أن أبدان الحيوانات (على قول الأطباء) متولدة من الأرض والماء والهواء والنار.. ثم إنها أضداد متغايرة متنافرة متعاندة بطبائعها فاجتماعها في البدن الواحد لابد وأن يكون بقدرة قادرة وتدبير مدبر قدير.

الرازي ١١١.

وقال البيهقى - رحمه الله (وقدبين الله تعالى، في كتابه العزيز تحول أنفسنا من حالة إلى حالة وتغيرها ليستدل بذلك على خالقها ومحولها فقال: **﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) ﴾** نوح.

وقال **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ﴾** المؤمنون.

فالإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبرة وعلى أحوال شتى مصر فة ..... فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال لأنه لايقدر أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ رشده عضوا من الأعضاء ولايمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز فيستدل بذلك على أن له صانعا صنعه وناقلا نقله من حال إلى حال.

الاعتقاد ٤٢ - ٤٣ بتصرف.

إنه قد هجز[١] في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذى عندك فغضب ثم قال لي أتدري أين أنت جالس قلت: نعم أنا جالس بفسطاط مصر في مسجدها بين يدي أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعي قال: هيهات إنك بتاران جبلاه[٢] يضربك تياره وأنت لا تعلم وهذا هو الموضع الذي غرق فيه فرعون.

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك فقلت لافقال هل تكلم فيه الصحابة فقلت لافقال لي تدري كم نجم في السماء فقلت لاقال فكوكب من هذه الكواكب الذي تراه تعرف جنسيته طلوعه وأفوله مما خلق قلت لاقال فشيء تراه بعينك خلق ضعيف من خلق الله لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب في شيء منه ثم قال لي شيء تحتاج إليه في اليوم مراراً خمسة تدع تعلمه وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله تعالى.. وإلى قوله ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]. الآية فاستدل بالمخلوق على الخالق ولاتتكلف علم مالايبلغه عقلك.

فقلت: قد تبت إن عدت في ذلك[٤].

زاد البيهقي فيها ولأن يبتلى العبد بكل ماخلق الله من مضاره خير له من أن يبتلى بالكلام.

---

(١) هجز: الهجز لغة في الهجس وهي النبأة الخفية، اللسان (٥/٤٢٣).

(٢) تاران: مكان في بحر القلزم وهو أخبث مكان في البحر به دوران ماء في سفح جبل يقلب السفن فلا سبيل إلى سلوكه، معجم البلدان (٢/٦).
وقد تحرف جبلاه إلى جنبلان وهو خطأ واضح.

(٣) الآية ١٦٣-١٦٤ من سورة البقرة.

(٤) تبيين كذب المفتري ٣٤٢.
وانظر: السير ١٠/٢٦، ٣٢

قال البيهقي: تاران في بحر القلزم يقال فيها غرق فرعون وقومه(١). أهـ

فالشافعي- رحمه الله- كان يبغض علم الكلام ويبغض الجدل مع أهله ولما سأله المزني عن مسائل ألقيت إليه عن طريق بعض الملاحدة زجره وغضب من سؤاله وأرشده إلى الطريق الشرعي في هذه المسائل الخطيرة التي زلت فيها أقدام طوائف من علماء الكلام وهي من أحسن الطرق وأسهلها وأسلمها من الخطأ ولذلك أرشده إليها. وقال له: فاستدل بالمخلوق على الخالق ولاتتكلف علم مالايبلغه عقلك.

وروي عنه أنه قال: استقبلني سبعة عشر زنديقا في طريق غزة فقالوا مالدليل على الصانع؟ فقلت لهم: إن ذكرت دليلاً شافياً هل تؤمنون؟ قالوا: نعم، قلت: ورق الفرصاد(*) طعمها ولونها وريحها سواء فيأكلها دود القز فيخرج من جوفها الإبريسم ويأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر فالطبع واحد وإن كان موجبا عندك فيجب أن يوجب شيئا واحداً لأن الحقيقة الواحدة لاتوجب إلا شيئا واحدا ولاتوجب متضادات متنافرات ومن جوز هذا كان عن المنقول خارجاً وفي التيه والجاً فانظر كيف تغيرت الحالات عليها فعرفت أنه فعل صانع عالم قادر يحول عليها الأحوال ويغير التارات.

قال فبهتوا ثم قالوا: لقد أتيت بالعجب العجاب فآمنوا وحسن إيمانهم(٢).

ويقول- رحمه الله-: (رأيت قلعة حصينة ملساء ولافرجة فيها ظاهرها كالفضة وباطنها كالذهب وجدرانها حصينة محكمة ثم رأيت الجدار ينشق

(١) المناقب ١/ ٤٥٨.
(٢) مفيد العلوم للقزويني ٢٥-٢٦.
(*) الفرصاد: التوت، انظر اللسان ٣/ ٣٣٣.

فيخرج من القلعة حيوان سميع بصير مصوت، فعلمت ضرورة أن الطبيعة لاتقدر على ذلك وأنه فعل صانع حكيم. فالقلعة هي البيضة والحيوان هو الدجاجة[1].

وكان رحمه الله كثيرا مايتمثل بهذه الأبيات:

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[2]

والخلاصة أن الشافعي رحمه الله اتبع في هذا الباب منهج السلف رحمهم الله وحذر تلاميذه من الخروج عن مذهب السلف ونرى كذلك خلو كلامه من كلام أهل البدع وألفاظهم المذمومة التي ملأ أهل الكلام بها كتبهم فهذه المسألة فطرية لاتحتاج إلى نصب للأدلة والحجج فمن فسدت فطرهم واحتجنا معهم لإقامة الأدلة فإن فى كتاب الله الغنية عن كلام أهل البدع والفلاسفة ومع ذلك فهي لاتؤدي إلى المطلوب بل قد توصل بعد جهد وقد لاتوصل وقد تخرج صاحبها إلى مذاهب الفلاسفة المعطلة نسأل الله العافية[3] وقد سبق بيان كلام الأئمة في علم الكلام وذمهم له[4].

---

(١) مفيد العلوم ٢٦ وقد روي نحو هذا عن الإمام أحمد رحمه الله انظر: عقيدة المسلمين للبليهي ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: المناقب للبيهقي ٢/ ١٠٩.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ١-٢٤.

(٤) انظر: منهج السلف في إثبات العقيدة في الباب الأول.

الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

وفيه: تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مجمل عقيدته في الاسماء والصفات.

المبحث الثاني: مفصل عقيدته في الأسماء.

المبحث الثالث: مفصل عقيدته في الصفات.



تمهيد
عقيدة السلف فى الأسماء والصفات

منهج أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته أن يوصف الله بما وصف به نفسه أووصفه به رسول اللهﷺ من غير تأويل ولاتكييف ولاتمثيل ولاتشبيه على حد قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

قال أبوعثمان الصابوني- رحمه الله:

أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالواحدانية ولرسول اللهﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عزوجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أوشهد له بها رسوله ﷺ على ماوردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ماأثبت لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولايعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله عز من قائل﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾(٢) ولايحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله ولايكيفونهما بكيف أوتشبيههما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف وَمنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عزوجل﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣).

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٧٥ من سورة ص.

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى.

وكذلك يقولون فـي جميع الصفات التي نزل بذكـرها القرآن ووردت بها الأخبار الـصحاح . . . من غـير تشبيـه لشيء من ذلـك بصفات المـربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها إلـى ماقال الله تعالى وقال رسول الله ﷺ من غير زيادة عليه ولاإضافة إليه ولاتكييـف له ولاتشبيه ولاتحريف ولاتبديل ولاإزالة للفـظ الخبر عما تـعرفه العرب وتـضعه علـيه بتأويل مـنكر ويجرونـه على الظاهر(١) . . .

وقال شيخ الإسلام- ابن تيمية رحمه الله-

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصـف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل ونعلم أن ماوصف الله به من ذلك فهو حق لـيس به لغز ولاأحاجي بل معناه يعـرف من حيث يعرف مقصود المتكلـم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخـلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان الـعلم وأفصح الخلق في البيان والتـعريف والدلالة والإرشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شـيء لافي نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولافي أفعالـه فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقـيقية وله أفعال حقيقيـة فكذلك له صفات حقيـقية وهو ليس كمثلـه شيء لافي ذاته ولافي صفاته ولافي أفـعاله وكل ماأوجب نقصـا أوحدوثا فإن الله منزه عنه حـقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لاغاية فوقه(٢).

وقال ابن كثـير- رحمه الله- وأما قولـه تعالى﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾(٣) فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث ابن سعـد، والشافعـي، وأحمد، وإسحـاق بن راهوية وغـيرهم من أئـمة المسلمين قـديما وحديثا وهو إمرارها كمـا جاءت من غير تكييـف ولاتشبيه

(١) عقيدة أصحاب الحديث ١٠٦-١٠٧ بتصرف حـ ١/ من الرسائل المنيرية.

(٢) مجموع الفتاوى٥/ ٢٦.

(٣) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

ولاتعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لايشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد شيخ البخاري: قال: من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف به نفسه ولارسوله تشبيه. فمن أثبت لله تعالى ماورد في الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى(١).

هذه خلاصة مذهب السلف رحمهم الله في هذا الباب أما الطريق الذي سلكوه في الإثبات والنفي فهو قائم على الكتاب والسنة وقد سبق بيان منهجم في إثبات العقيدة(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠.

(٢) راجع في معرفة منهج السلف في الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان رحمه الله.
دراسات في الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

المبحث الأول: عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله في الأسماء والصفات إجمالا

الإمام الشافعي رحمه الله أحد أئمة السلف سلك في هذا الباب منهج السلف بل عقد المناظرات مع المخالفين وأقام الحجة عليهم بل ثبت عنه رحمه الله أنه كفر بعض من ناظرهم ممن هو مخالف لمنهج السلف- رحمهم الله- مما يدل على تمسكه رحمه الله بمنهج السلف وبوصف الله بما ثبت في الكتاب والسنة من غير تكييف، ولا تمثيل ومن غير تشبيه أو تأويل أو تعطيل.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- عن رجلين اختلفا في الإعتقاد فقال أحدهما: من لايعتقد أن الله سبحانه وتعالى في السماء فهو ضال وقال الآخر: إن الله سبحانه لاينحصر في مكان وهما شافعيان فبينوا لنا مانتبع من عقيدة الشافعي- رضي الله عنه- وما الصواب في ذلك.

فأجاب - رحمه الله- الحمد لله. اعتقاد الشافعي رضي الله عنه واعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبدالله التستري وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وامثالهم نزاع في أصول الدين.

وكذلك أبوحنيفه- رحمه الله عليه- فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ماكان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وهو مانطق به الكتاب والسنة.

قال الشافعي في أول خطبة الرسالة(الحمد الله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق مايصفه به خلقه)(١).

فبين رحمه الله- أن الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ(٢).

ومن هذا النص وغيره تعرف مذهب الشافعي رحمه الله في هذا الباب ونعرف سلامة مذهبه من بدع الكلام والضلال التي قدموها على الكتاب والسنة واعتقدوها دينا فقد ذكر أبويعلى بسنده عن يونس بن عبدالأعلى المصري قال: سمعت أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله ومايبنغي أن يؤمن به فقال: لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخير بها نبيهﷺ أمته لايسع أحداً قامت عليه الحجة(ردها لأن)(٣) القرآن نزل بها وصح عن رسول اللهﷺ القول بها فيما روى عنه العدل فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر. فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لايدرك بالعقل ولابالرؤية والفكر... فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسولهﷺ مما لايدرك حقيقته بالفكر والرؤية فلايكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها. فإن كان الوارد بذلك خبرا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة عليه

(١) قال الشافعي- رحمه الله- (الحمد الله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

والحمد لله الذي لايؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها ولايبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه وفوق مايصفه به خلقه. الرسالة ٧-٨..

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٥٦-٢٥٧.

(٣) من السير ١٠/٧٩-٨٠.

كما عاين وسمع من رسول اللهﷺ ولكن يثبت هذه الصفات وينفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

وروى البيهقي بسنده عن سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي رحمه الله ماتقول في حديث الرؤية فقال لي: ياابن أسد اقض عليّ حييت أومت أن كل حديث يصح عن رسول اللهﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني(٢).

وقال ابن كثير- رحمه الله- وقد روي عن الربيع وغير واحد من رؤوس أصحابه مايدل على أنه كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل ولاتحريف على طريقة السلف(٣).

وقد سئل الإمام محمد بن شهاب الزهري والإمام مكحول سئلا عن تفسير أحاديث الصفات فقالا، أمروها كما جاءت.

وروي مثل هذا الجواب عن الإمام مالك والليث والثوري فقالوا جميعا في أحاديث الصفات(أمروها كما جاءت)(٤).

ومما سبق يتضح لنا مذهب الشافعي رحمه الله في الباب ويتلخص في القواعد الآتية:

١ - الأولى- يثبت لله جميع الاسماء والصفات التي نطق بها القرآن أودلت عليها السنة الصحيحة اثباتا بلاتشبيه وتنزيها بلاتعطيل على حد قوله

(١) الآية ١١ من سورة الشورى، والخبر في طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٣، ٢٨٤، وبعضه في السير ١٠/ ٧٩-٨٠.
(٢) الاعتقاد ١٣١، والمناقب ١/ ٤٢١-٣.
(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٥.
(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٣١.

تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١].

٢ - الثانية: ينزه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه مع إثبات حقيقة هذه الصفات.

٣ - الثالثة: التوقف عن الخوض فيما لامجال للعقل فيه مع اليأس وقطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات كما روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي إسحاق بن محمد قال سمعت الشافعي يقول، (إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حدا ينتهي إليه)[٢].

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ٢٧١.

المبحث الثاني: عقيدته في أسماء الله

أجمع أهل السنة والجماعة على أن لله أسماء سمى بها نفسه وأن هذه الأسماء كلها حسنى كما قال سبحانه ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾(١).

قال ابن القيم- رحمه الله:-

إن أسماء الله تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظا لامعاني فيها لم تكن حسنى ولاكانت دالة على مدح ولاكمال...

وقال رحمه الله:

إن الإسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ويدل على الصفة الأخرى باللزوم فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالإلتزام وكذلك سائر أسمائه وصفاته(٢).

ولذلك أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالدعاء بهذه الأسماء الحسنى وحذرنا من الإلحاد فيها وهو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع.

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأعراف.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ٣٧-٤٣.

وانظر: القواعد المثلى للشيخ محمد الصالح العثيمين٦-١٧.

أنواع الالحاد في أسماء الله

الأول: أن ينكر شيئا منها أومادلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه وذلك لأن التشبيه معنى باطل لايمكن أن تدل عليه النصوص بل هي دالة على بطلانه فجلعها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له(الأب) وتسمية الفلاسفة إياه(العلة الفاعلة) وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية فتسمية الله تعالى بمالم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون(١) وأسماء الله سبحانه وتعالى ليست محصورة بعدد معين لقولهﷺ في الحديث المشهور: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أوعلمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)(٢).

وماستأثر الله به في علم الغيب لايمكن أحدًا حصره ولاالإحاطة به.

فأما قولهﷺ (إن لله تسعة وتسعين اسمامائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة)(٣).

فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٤٥-٦٤٦. وانظر: القواعد المثلى ١٦-١٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٩١، ٤٥٢ والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩ وإسناده صحيح انظر: الفتح الرباني ١٤/ ٢٦٢.
تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٧ مشكاة المصابيح ٢/ ٥٥٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ٦/ ٢٩١.

=

العبارة إن اسـماء الله تعالى تسعة وتـسعون من أحصاها دخل الجـنة أونحو ذلك.

إذاً فمعنى الحديث: إن هـذا العدد من شأنـه أن من أحصاه دخـل الجنة وهذا نظير أن تقول عـندي مئة درهم أعددتها للصدقة فـإنه لايمنع أن يكون عندك دراهم غيرها.

وإحصاؤها: حفظها لفظا وفهما معنى وتمامه أن يعبد الله بمتقضاها[1] وقد جاء تعـيين هذه الأسمـاء في بعض طـرق حديث أبي هـريره السابـق قال الترمذي: حدثنا إبراهيم بن يعقوب أخـبرنا صفوان بن صالح أخبرنا الوليد ابن مسلم أخبـرنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الـزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسـول اللهﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسما مـائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة.

هو الله الذي لاإله إلا هو الرحمن الرحيـم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الـعزيز الجبار المتكبر الخـالق البارىء المصور الغفار الـقهار الوهاب الرزاق الفتـاح العليم القـابض الباسط الخافـض الرافع المعز المذل الـسميع البصير الحكـم العدل اللطيف الخبير الحـليم العظيم الغفور الـشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجلـيل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجـيد الباعـث الشهيـد الحق الوكيـل القوي المتـين الولي الحمـيد المحصي المـبدىء المعيد المحيـي المميت الحي الـقيوم الواجد الماجـد الواحد الصمـد القادر المقـتدر المقدم المـؤخر الأول الآخر الظـاهر الباطـن الوالي المتعالي البـر التواب المنتقم العفو الرؤوف مـالك الملك ذو الجلال والإكرام

= ومسلم في كتاب الذكر، باب في أسماء الله ٢٠٦٣/٤
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) انظر: القواعد المثلى ١٣-١٤.

المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور)(١).

(١) الترمذي في الدعوات جـ ٥/ ١٩٣ رقم ٣٥٧٤ وابن حبان الموارد رقم ٢٣٨٤ والخطابي في شأن الدعاء ٩٨-٩٩ والحاكم في المستدرك ١/ ١٦/ ١٧ والبيهقي فى الأسماء والصفات ص ٥ والبغوي في شرح السنة ٥/ ٣٢-٣٢ مع بعض الخلاف في بعض الأسماء.

وقد قال الترمذي بعد ذكره لهذا الحديث، هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولانعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبيﷺ لانعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا فى هذا الحديث وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبيﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناده صحيح وقال الحاكم هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامى فيه والعلة عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره وليس هذا بعلة فإنه لاأعلم اختلافا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم وأحفظ وأعلم من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب ثم ذكربعض طرقه الأخرى والتي تشهد به وهذا يدل على أن صفوان بن صالح لم ينفرد به بل تابعه أبوعمران موسى بن أيوب النصيبي كما هو عند الحاكم١/ ١٦ والبيهقي ص٥.

وقال ابن حجر: موسى بن أيوب بن عيس النصيبي أبوعمران الأنطاكي صدوق من العاشرة التقريب رقم ٦٩٤٧.

وجاء الحديث من طريق موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة عند ابن ماجه رقم ٣٨٦١ ولكن في إسناده عبدالملك بن محمد الصنعاني قال عنه ابن حجر لين الحديث من التاسعة. . التقريب ٤٢١١ ولذلك أعله البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ١٤٨ وله طريق آخر عن ابن سيرين عن أبي هريرة.

أخرجه من هذا الطريق الخطابي في شأن الدعاء ٩٨-٩٩ والحاكم في المستدرك ١/ ١٧ ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات ص٧ كلهم من طريق عبدالعزيز بن الحصين ين الترجمان وثقه الحاكم وقال الذهبي بل ضعفوه.

وقال البخاري ليس بالقوي عندهم وضعفه يحيى وابن عدي التاريخ الكبير ٦/ ٣٠ الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٢٤.

وقد سبق تخريج هذا الحديث وأن أصله في الصحيحين.

وقد استقصى الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث ثم قال: واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الجزء من بعض الرواة فمشى كثير منهم على الأول واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيرا من هذه الأسماء كذلك.

وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه ونقله عبدالعزيز النخشبي عن كثير من=

مسألة الاسم والمسمى:

قال شيخ الإسلام رحمه الله فصل في الاسم والمسمى هل هو هو أوغيره؟ أولايقال هو هو ولايقال غيره أوهوله أو يفصل في ذلك.

فإن الناس قد تنازعوا في ذلك والنزاع اشتهر بعد الأئمة بعد أحمد وغيره والذي كان معروفا عند أئمة السنة أحمد وغيره، الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة.

فيقولون: الاسم غير المسمى. وأسماء الله غيره وماكان غيره فهو مخلوق.

وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق بل هو المتكلم به وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء والجهمية، يقولون: كلامه مخلوق وأسماؤه مخلوقة وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولاسمى نفسه باسم هو المتكلم به بل قد يقولون إنه تكلم به وسمى نفسه بهذه الأسماء بمعنى أنه خلقها في غيره لابمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به. فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه.........

والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم..

= العلماء... ثم بين سبب ترك الشيخين للتعيين فقال وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج، الفتح ١١/ ٢١٥، وانظر: ١٣/ ٣٧٨-٣٧٩ وممن ذهب إلى ذلك البيهقي في الأسماء والصفات ٨ وابن كثير في التفسير ٣/ ٥١٦.

وقال شيخ الإسلام-رحمه الله.

تعيينها ليس من كلام النبيﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه، مجموع الفتاوى ٦/ ٣٨٢. والله أعلم.

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه هو ماذهب إليه غالب العلماء وهو الراجح ولذلك اختلف العلماء في تعيينها فمنهم من وافق الوليد بن مسلم في هذا التعيين ومنهم من خالفه فزاد ونقص وذلك عائد إلى عدم ثبوت هذا التعيين عن النبيﷺ.

ولم يعرف أيضا عن أحد من السلف أنه قال: الإسم هو المسمى بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السنة عليهم.

ثم منهم من أمسك عن القول في هذ المسألة نفيا وإثباتا إذ كان كل من الإطلاقين بدعة(١).

وقال في موضع آخر:

الداعي يقول يالله يارحمن ومراده المسمى ودعاء الإسم هو دعاء مسماه.

وهذا هو الذي أراده من قال من أهل السنة إن الاسم هو المسمى أرادوا به أن الاسم إذا دعي وذكر يراد به المسمى فإذا قال المصلي الله أكبر فقد ذكر اسم ربه ومراده المسمى لم يريدوا به أن نفس اللفظ هو الذات الموجودة في الخارج فإن فساد هذا لايخفى على من تصوره ولو كان كذلك كان من قال نار احترق لسانه(٢).

وقد فصل ابن أبي العز الحنفي رحمه الله ذلك فقال وكذلك قولهم الإسم عين المسمى أو غيره وطالما غلط كثير من الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه: فالإسم يرادبه المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى فإذا قلت قال الله كذا أو سمع الله لمن حمده ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه وإذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحيم من اسماء الله تعالى ونحو ذلك فالإسم هاهنا هو المراد لاالمسمي. ولايقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٦/ ١٨٥-٢١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٢٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١٢٧ط. المكتب الإسلامي الثامنة.

ولذلك روي عن الشافعي- رحمه الله- التغليظ على من زعم أن الاسم غير المسمى ورميه له بالزندقة فقد روى البيهقي بسنده عن الشافعي- رحمه الله- قال: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة(١).

وذلك لأن هذا التعبير اشتهر عند من يزعم أن كلام الله عزوجل مخلوق.. وقد بسط شيخ الإسلام رحمه الله تعالى الكلام عن مسألة الاسم والمسمى فراجعه إن أردت الزيادة(٢).

وروى البيهقي-رحمه الله- بسنده إلى الربيع بن سليمان قال أخبرنا الشافعي قال: من حلف بالله أو باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة. ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل والكعبة وأبي وكذا وكذا ماكان فحنث فلاكفارة عليه ومثل ذلك لعمري لاكفارة عليه وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ (إن الله عزوجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أوليسكت)(٣).

قال البيهقي فجعل اليمين باسم من أسماء الله كاليمين بالله ثم قال- يعني الشافعي- ومن حلف بشيء غير الله فلاكفارة عليه. فبين بذلك أنه

(١) مناقب البيهقي ١/٤٠٥.
وانظر: السير ١٠/ ٣٠ وانظر: جامع بيان العلم
وطبقات السبكي ٢/١٧٤
(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٥-٢١٢.
وانظر: معارج القبول ١/٧٨.
(٣) مناقب البيهقي ١/٤٠٣.
والحديث رواه البخاري ٦/٢٤٤٩ ومسلم ٣/ ١٢٦١ وغيرهما.

لايقال في أسماء الله وصفاته إنها أغيار وإنما يقال أغيار لما يكون مخلوقا(١).

وروى البيهقي بسنده أيضا عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فعليه الكفارة لأن أسماءه غير مخلوقة، ومن حلف بالبيت والكعبة فلا كفارة عليه(٢).

وقد أطال البيهقي النقل عن الشافعي رحمه الله في هذا الباب وبسط الكلام في ذلك(٣).

وبهذا يتضح رأي الإمام الشافعي رحمه الله في هذه المسألة ويتضح موافقته لمذهب السلف رحمهم الله وذمه لمن خالفهم من أهل البدع والضلال.

مسألة- هل الدهر اسم من أسماء الله-

ذكر البيهقي بسنده عن الشافعي قال: يقول الله عزوجل(٤):

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)(٥).

قال الشافعي: إنما تأويله- والله أعلم- أن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هدم أو تلف مال أو غير ذلك وتسب الليل والنهار وهما الجديدان والفتيان ويقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم فيجعلون الليل والنهار اللذين

(١) مناقب البيهقي ١/ ٤٠٤.
(٢) نفس المصدر ١/ ٤٠٥ وانظر: الأم ٥/ ٢٩٩.
(٣) مناقب البيهقي ١٠٠/ ٤٠٣-٤٠٦ وانظر: الأم ٧/ ٥٦.
(٤) الجاثية ٢٤.
(٥) مسلم ٤/ ١٧٦٣.

يفعلان ذلك فقال رسول اللهﷺ(لاتسبوا الدهر) على أنه الذى يفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبون الله عزوجل فإن الله تعالى فاعل هذه الأشياء[١].

فالدهر إذا ليس اسما من أسماء الله عزوجل.

وإنما نهى النبيﷺ عن سبه لأنه لاعلاقة له في تصريف الأمور ولما كان الذى يسبه إنما يسبه لأجل ماجرى له فيه من المصائب صار السب واقعاً على من قدر وأراد هذه المصائب وهو الله عزوجل ولذلك نهى النبيﷺ عن سبه ويوضح ذلك ماجاء في صحيح مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ (قال الله عزورجل: يؤذيني ابن آدم يقول: ياخيبة الدهر فلايقولن أحدكم ياخيبة الدهر فإني أنا الدهر: أقلب ليله ونهاره فإن شئت قبضتهما)[٢].

فبين في هذا الحديث أن الدهر لاتصرف له ولاقدرة ولاشأن له في تصريف الأمور وإنما هو مخلوق مربوب لله عز وجل من جملة الخلق وأن التصرف والتدبير لله وحده.

---

(١) مناقب البيهقي ١/٣٣٦، الأسماء والصفات ١٩٠.
(٢) مسلم ٤/١٧٦٢.

المبحث الثالث: عقيدته في صفات الله عز وجل

الصفة الأولى:(العلو)(*)

العلو صفة من صفات الله الذاتية التي لاتنفك عنه عزوجل وهي كغيرها من صفات الله عزوجل تلقاها أهل السنة والجماعة بالإيمان والتصديق ووصفوا الله سبحانه وتعالى بها، على حد قوله تعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشورى.

وهذه الصفة دل عليها السمع والعقل والفطرة فقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة فى تقرير علو الله سبحانه وتعالى على خلقه.

فمما ورد من الآيات في ذلك.

١- قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣).

٤- وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٤).

٥- وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(٥).

٦- وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(٦).

---

(١) الآية ١٦ من سورة الملك.
(٢) الآية ١٠ من سورة فاطر.
(٣) الآية ٥٠ من سورة النحل.
(٤) الآية ٥٥ من سورة آل عمران.
(٥) الآية ١ من سورة الأعلى.
(٦) الآية ٤ من سورة المعارج.
(*) انظر صفحة (٣٥٢ - ٣٥٤).

والآيات المصرحة بعلو الله على خلقه كثيرة اكتفي بما سبق.

أما الأحاديث فهي أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وقد ذكر غير واحد من العلماء أنها بلغت حد التواتر ومنهم الإمام الذهبي[1] بل قد أفرد لهذه الصفة مصنفا سماه العلو[2] وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرحه للطحاوية عشرين نوعاً من الأدلة على علو الله على خلقه ثم قال: وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل فعلي المتأول أن يجيب عن هذا كله وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك[3].

فمن الأحاديث المصرحة بعلو الله على خلقه:

١- حديث معاوية بن الحكم السلمي وفيه قال: (وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية. فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ قلت يارسول الله أفلا أعتقها؟ قال (أتني بها) فأتيته بها فقال لها (أين الله)؟ قالت في السماء قال (من أنا)؟ قالت: أنت رسول الله قال (أعتقها فإنها مؤمنة)[4].

قال الذهبي - رحمه الله - بعد سوقه لهذا الحديث:-

(١) انظر: مختصر العلو ٨٠

(٢) اختصره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وقد طبع مرارا.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢٨٨ط المكتب الإسلامي.

وانظر في تفصيل الأدلة في هذه القضية اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم رحمه الله.

(٤) رواه الامام مسلم في صحيحه ١/ ٣٨٢.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم(١) وأبو داود(٢) والنسائي(٣) وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يمرونه كما جاء ولايتعرضون له بتأويل ولاتحريف. قال وهكذا رأينا كل من يسأل: أين الله يبادر بفطرته ويقول: في السماء ففى الخبر مسألتان.

إحداهما: شرعية قول المسلم أين الله؟

وثانيهما: قول المسؤول: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ(٤). وهذا كلام لامزيد عليه وضح الشاهد من الحديث بعبارات مختصره مفيدة فرحم الله السلف ما أعظم فقههم وما أشد تمسكهم بظاهر الكتاب والسنة. وإذا شئت أن تعقد مقارنة بين علم السلف والخلف فانظر ما كتبه الكوثري معقباً على هذا الحديث في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي(٥).

الحديث الثاني:

حديث الإسراء والمعراج وهو حديث متواتر ذكر ذلك غير واحد من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله(٦).

وفي ألفاظ هذا الحديث ما يدل على علو الله على عرشه ومنها قوله (فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى بي السماء الدنيا استفتح)

---

(١) رواد الإمام مسلم في صحيحه ١/ ٣٨٢.

(٢) ابو ذاود في كتاب الصلاة ١/ ٢٤٥.

(٣) النسائي في كتاب السهو ٣/ ١٤.

(٤) مختصر العلو ٨١.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ٥٣٢. واذا أردت أن تعرف حقيقة هذا الرجل فأقرأ كتاب التنكيل للمعلمي رحمه الله.
وانظر: مختصر العلو للألباني ٨٢ - ٨٣.

(٦) إجتماع الجيوش الإسلامية ٤٧.

الحديث وصعوده ﷺ حتى تجاوز السماء السابعة حتى انتهى إلى ربه فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات.

ومنه تردده بين موسى عليه السلام وبين ربه وينزل من عند ربه تبارك وتعالى إلى عند موسى حتى خفف الله عن أمته وقد صرح في بعض ألفاظ الحديث عند البخاري وغيره بلفظ العلو كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري وغيره وفيه (ثم علابه - يعني جبرائيل. فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى .... ثم هبط حتى بلغ موسى فأحتبسه)(١) الحديث وهذا الحديث من أعظم الأحاديث دلالة على علو الله على خلقه(٢).

الحديث الثالث

حديث أبي سعيد رضي الله عنه وفيه قال رسول الله ﷺ (ألا تأمنونى وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء مساء وصباحا)(٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا(٤).

وكما دل السمع على هذه الصفة فقد دل العقل عليها قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله -:

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع ثابت بالعقل والفطرة أما ثبوته بالعقل فمن وجوه: أحدها العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائما به كالصفات وإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته والأول باطل: أما أولا فبالاتفاق وأما ثانياً فلأنه

(١) الحديث متفق عليه فقد أخرجه البخاري ١/٩١ ومسلم في كتاب الإيمان ١/١٤٥.

(٢) انظر: إجتماع الجيوش الإسلامية ٤٧ - ٤٨ ومختصر العلو ٨٩ - ٩٠.

(٣) البخاري في كتاب المغازي ٥/١١ ومسلم في كتاب الزكاة ٢/٧٤٢.

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٧ - ٦١ ومختصر العلو ٨١ - ١٢٥.

يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبير والثاني يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لاداخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول فيكون موجودا إما داخله أو خارجه والأول باطل فتعين الثاني ولزمت المباينة(١).

وأما الفطرة فإن كل من دعا الله عز وجل ارتفع قلبه ورفع يديه بل وربما بصره إلى جهة العلو وهذا أمر يستوي فيه الكبير والصغير والعالم والجاهل بل يجده الإنسان وهو في سجوده ولن يستطيع أحد أن ينكر ذلك ويقول إن قلبه يلتفت نحو اليمين أو الشمال أو إلى الأرض.

ومن طريف ما يروي في ذلك أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس أبي المعالى الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان.

فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلاوجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولايسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل - وأظنه- قال: وبكى وقال: حيرنى الهداني حيرنى الهداني(٢).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٩.

وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٥/ ١٥٢.

وانظر: رسالة النصيحة في صفات الرب جل وعلا لأحمد بن إبراهيم الواسطي بتحقيق زهير الشاويش.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٩١.

هذه بعض الأدلة في إثبات صفة العلو وهي أدلة كالشمس وضوحا لاتحتاج إلى تعليق، وفيها كفاية لمن نور الله بصيرته وفقهه وسلمه من كلام أهل البدع(١).

الصفة الثانية: صفة الإستواء

وهي صفه فعلية ثابتة لله عز وجل فقد وردت هذه الصفة في القرآن الكريم في سبع آيات وهي : -

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾(٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾(٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٤).

٤- وقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(٥).

٥- وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾(٦).

---

(١) راجع للزيادة مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام المجلد الخامس واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ومختصر العلو للذهبي والأسماء والصفات للبيهقي ٤٩٧ - ٥٤٠.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٣ من سورة يونس.

(٤) الآية ٢ من سورة الرعد.

(٥) الآية ٥ من سورة طه.

(٦) الآية ٥٩ من سورة الفرقان.

٦- وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(١).

٧- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢).

هذه الآيات الكريمات، كلها تدل على استواء الله على عرشه كيف شاء بعد أن خلق السموات والأرض استواء يليق بجلاله وعظمته.

كما جاءت السنة بإثبات هذا الإستواء في أحاديث كثيرة ومنها:-

١- حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده في كتاب وهو عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي) (٣).

٢- حديث أبي هريرة وفيه أن رسول الله ﷺ قال (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإن سألتم الله فسئلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)(٤).

(١) الآية ٤ من سورة السجدة

(٢) الآية ٤ من سورة الحديد.

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٦/ ٢٧٠٠ ومسلم في كتاب التوبة باب سعه رحمه الله وأنها سبقت غضبه ٤/٢١٠٧ بلفظ قريب.

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٦/ ٢٧٠٠.

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - معلقا على هذا الحديث فالخبر يصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته وقد أعلمنا جل وعلا أنه مستو على عرشه فخالقنا فوق عرشه الذي هو فوق جنته)[١].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة[٢].

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه النصوص ويمرونها على ظاهرها مع اعتقاد مادلت عليه من إثبات صفة الإستواء لله عز وجل كما يليق به.

قال إمام الائمة ابن خزيمة - رحمه الله -:

فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا: أن خالقنا مستو على عرشه لانبدل كلام الله ولانقول قولا غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروأ أن يقولوا حطة فقالوا: حنطة مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية[٣].

وقد أجمع السلف رحمهم الله على أن الله تعالى مستو على عرشه وأنه لايخفى عليه شيء من أعمالهم والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وسلف الأئمة رحمهم الله كثيرة جدا.

منها ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (العرش فوق الماء والله فوق العرش لايخفى عليه شيء من أعمالكم)[٤] ومنها ما أخرجه البيهقي

---

(١) التوحيد ١/ ٢٤١.

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٣١ - ٢٨٩ واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٤٨ - ٦١ ومختصر العلو ٨١ وما بعدها.

(٣) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٣٣.

(٤) قال الذهبي في العلو رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة له وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال و... اللالكائي - والبيهقي وابن عبدالبر في تواليفهم وإسناده صحيح (١٠٣).

بسنده عن الأوزاعي قال: كنا- والتابعون متوافرون تقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)(١).

ومن أشهر ما يروى فى ذلك قول الإمام مالك - رحمه الله - وقد سأله رجل عن قول الله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(*).

كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله تعالى استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

القول بأن الله فوق العرش هو ما اتفقت عليه الأنبياء كلهم، وذكر في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف)(٣).

وللسلف رحمهم الله في تفسير الاستواء أربع عبارات:

١- العلو.

٢- الارتفاع.

٣- الصعود.

٤- الاستقرار.

وقال ابن القيم - رحمه الله في ذلك:

(١) الأسماء والصفات ٥١٥ وصححه شيخ الإسلام الفتاوى ٥/٣٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة [٣/٣٩٨] وعقيدة السلف للصابوني (١٧) وذكره ابن عبدالبر في التمهيد ٧/١٣٨ وابن أبي زيد القيرواني في رسالته والذهبي في العلو (١٠٣) وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية (٧٥). وقد جمع أخونا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر طرق هذا الأثر فراجعه فإنه مفيد جداً.

(٣) نقض التأسيس ٢/٩.

(*) الآية ٥ من سورة طه.

فلهم عبارات عليها أربع .. قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ارتفـ .. ـع الذي ما فيه من نكران

وكذلك قد صعد الذي هو رابع .. وأبو عبيدة[٢] صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره .. أدرى من الجهمي بالقرآن[٣]

وهذا كله يوضح مذهب السلف رحمهم الله في الإيمان بصفات الله عز وجل وأنهم يعتقدون أن لهذه الصفات معان تليق بالله عز وجل لا أنها ألفاظ جوفاء جامدة لامعاني لها كما يظن ذلك بعض من لامعرفة له بمذهب السلف ويزعم أن ذلك مذهب السلف.

والحاصل أن السلف يؤمنون بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته.

ومما ورد عن الإمام الشافعي - رحمه الله - في ذلك ما ذكره الذهبي في العلو فقال:

روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي بإسنادهم إلى أبي ثورو أبي شعيب كلاهما عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ناصر الحديث رحمه الله تعالى قال:

(القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما. الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٥/٥١٨ - ٥٢٧.

(٢) معمر بن المثنى التيمي مولاهم النحوي اللغوي صاحب الإمام أحمد صدوق ت سنة ٢٠٨ التقريب ٢/٢٦٦ - ٣.

(٣) النونية بشرح الهراس ١/٢١٥.

الدنيا كيف شاء...... وذكر سائر الاعتقاد)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

قال الشافعي: (خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه الله تعالى في سمائه وجمع عليه قلوب عباده).

ثم قال لو يجمع ما قاله الشافعي في هذا الباب لكان فيه كفاية[٢].

وقد استدل الإمام الشافعي على علو الله سبحانه وتعالى بخبر معاوية بن الحكم المتقدم وأنه أراد أن يعتق جارية فامتحنها النبي ﷺ ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها:- (أين ربك؟) فأشارت إلى السماء فقال: (من أنا؟) فقالت رسول الله ﷺ، قال (اعتقها فإنها مؤمنة).

فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفه العلو والفوقيه[٣].

وقال البيهقي - رحمه الله - في الأسماء والصفات:

بعد أن ذكر الأدلة على استواء الله تبارك وتعالى على عرشه والآثار عن السلف في معنى هذا كثيرة وعلى هذه الطريق يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه[٤].

(١) مختصر العلو ١٧٦ وذكره شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله - من رواية عبدالرحمن بن أبي حاتم عن أبي ثور وأبي شعيب في اجتماع الجيوش الإسلامية ٩٤.
وانظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١٨١.
وانظر: عون المعبود ١٣/ ٤١ و ٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ١٣٩.
والأثر في عقيدة الحافظ عبدالمغني المقدسي (٤٧).
واجتماع الجيوش الإسلامية (٩٥).

(٣) الأم ٥/ ٢٨٠ ومجموع الفتاوى ٥/ ١٩٢. والصواعق المرسلة ٤/ ١٣٠.
وانظر: المناقب للبيهقي ١/ ٣٩٤ - ٣٩٨.

(٤) الأسماء والصفات ٥١٧.
وانظر: فتح الباري ١٣/ ٤٠٧.

هذه بعض النصوص الدالة على اعتقاد الشافعي - رحمه الله - وإنه يؤمن بجميع ما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ على مذهب السلف وهذه النصوص دلت على إيمانه بالصفات الآتية:

١- العلو ٢- الاستواء على طريقة السلف رحمهم الله جميعا.

الصفة الثالثة النزول

النزول من الصفات الخبرية الفعلية وقد دلت الأدلة على أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له كما وردت في ذلك الأخبار.

قال أبو عثمان الصابوني - رحمه الله-:

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولاتمثيل ولاتكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله(١).

وقال ابن خزيمة - رحمه الله -:

باب ذكر أخبار ثابتة السنة صحيحة القوام:

رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولانبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١١١.

غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول[١].

ثم شرع رحمه الله بذكر الأحاديث الدالة على ذلك ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني؟ فأغفر له؟)[٢].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا الحديث بجزءٍ شرحه فيه سماه «شرح حديث النزول» ومما قال فيه: (فإن هذا القول الذي قال - يعني نزول الله كل ليلة - قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول الله ﷺ فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغاً عاماً لم يخص به أحدًا دون أحد ولا كتمه عن أحد وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة: كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين[٣].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١/ ٣٨٤) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين رقم ١٦٨، ٤/ ٥٢١.
وانظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٩٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢٢ والرسالة المذكورة في المجلد الخامس ٣٢١ - ٥٨٢.

وقد روي عن الإمام الشافعي - رحمه الله - ما يفيد أنه يؤمن بهذه الصفة ويصف الله سبحانه وتعالى بها من غير تكييف ولا تشبيه ومن غير تحريف ولاتعطيل فقد روى أبو الحسين محمد بن أبي يعلى بسنده عن الإمام الشافعي قوله (وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ)(١).

وفي اجتماع الجيوش عن عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي حدثنا أبو شعيب وأبو ثور عن أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال. . . وإن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وإن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء)(٢).

وهذا الذي ذكره الإمام الشافعي رحمه الله هو مادلت عليه النصوص الشرعية وهو عين اعتقاد السلف وهو ما يجب على كل مسلم اعتقاده فى حق الله عز وجل.

الصفة الرابعة: كلام الله

هذه المسألة من أعظم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين بقية الفرق وقد تفرق الناس فيها إلى أقوال كثيرة(٣) وجرت على المسلمين ويلات ومحن عظيمة واستبيحت بسببها دماء أهل السنة والجماعة وأقام المعتزلة ومن وافقهم المحاكم لابتلاء الناس في هذه المسألة وأعظم من ابتلي في هذه المسألة وامتحن إمام أهل السنة أبو عبدالله أحمد ابن حنبل الشيباني رحمه الله رحمة واسعة فثبت على الحق وثبت الله به

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٤.
وانظر : مجموع الفتاوى ٥/ ١٨٢ - ١٨٣.
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ٩٤.
وانظر: مختصر العلو ١٧٦.
(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١٦٨.

الأمة حتى قيل إن الله نصر الإسلام برجلين بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة - أي فتنة القول بخلق القرآن(١).

والذى عليه أهل السنة والجماعة:

أن لله تعالى صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه لا ابتداء لاتصافه بها ولا انتهاء يتكلم بها بمشيئته واختياره.

وكلامه تعالى أحسن الكلام ولايشبه كلام المخلوقين إذ الخالق لايقاس بالمخلوق.

ويكلم به من شاء من خلقه: من ملائكته ورسله وسائر عباده بواسطة إن شاء وبغيرها ويسمعه على الحقيقة من شاء من ملائكته ورسله ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه كما أنه كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى.

وكما أن كلامه تعالى لايشبه كلام المخلوقين فإن صوته لايشبه أصواتهم.

وكلماته تعالى لا نهاية لها.

ومن كلامه

القرآن، والتوراة، والإنجيل.

فالقرآن كلامه، سوره وآياته، وكلماته تكلم به بحروفه ومعانيه ولم ينزله على أحد قبل محمد ﷺ.

أسمعه جبريل عليه السلام وأسمعه جبريل محمداً ﷺ وأسمعه محمد ﷺ أمته وليس لجبريل ولا لمحمد ﷺ إلا الأداء وهو المكتوب في اللوح المحفوظ والذي في المصاحف يتلوه التالون بألسنتهم ويقرؤه المقرئون

---

(١) انظر: للزياده تاريخ ابن جرير الطبري ٨/٦٣١ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٣٨٧ والبداية والنهاية ١٠/٣٤٥ - ٣٥٤.

بأصواتهم ويسمعه السامعون بآذانهم وينسخه النساخ ويطبعه الطابعون بآلاتهم وهو الذي في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه تكلم الله به على الحقيقة فهو كلامه على الحقيقة لاكلام غيره منه بدأ وإليه يعود وهو قرآن واحد منزل غير مخلوق كيف ماتصرف: بقراءة قاريء أو بلفظ لافظ أو بحفظ حافظ أو بخط كاتب وحيث تلي وكتب وقريء فمن سمعه فزعم أنه مخلوق فقد كفر.

وكتب تعالى التوراة لموسى بيده وكتب في اللوح المحفوظ ماهو كائن قبل أن يخلق آدم بأربعين سنة كما صح به الخبر(١).

وكلام الله تعالى ينقسم ويتبعض ويتجزأ فالقرآن من كلامه والتوراة من كلامه والإنجيل من كلامه والقرآن غير التوراة والتوراة غير الإنجيل والفاتحة بعض القرآن وآيه الكرسي بعض البقرة وسورة البقرة غير سورة آل عمران وهكذا سائر كلامه كما أنه تعالى تكلم باللغات. فالتوراة بالعبرانية والقرآن بالعربية والإنجيل بالسريانية.

وفي القرآن من المعاني ماليس في التوراة وفيها من المعاني ماليس في القرآن وهكذا سائر كلامه كما أن كلامه تعالى يتفاضل فيكون بعضه أفضل من بعض فآية الكرسي أفضل من سواها من الآيات وسورة الفاتحة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولافي القرآن مثلها وقل هو الله أحد تعدل ثلث

---

(١) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى يا آدم: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى - عليهما السلام).

أخرجه البخاري في كتاب القدر ٧/ ٢١٤.

ومسلم في القدر ٤/ ٢٠٤٢.

وانظر الحديث بطرقه في التوحيد لابن خزيمة ١/ ١١٨.

القرآن كما أن كلامه تعالى يتعاقب أي يتلو بعضه بعضا كـ (بسم الله) فكلمه (الله) عقب (بسم) والسين عقب الباء والميم عقب السين وكل ذلك كلام الله تعالى غير مخلوق بألفاظه وحروفه لايشبه كلام الخلق وأصوات العباد وحركاتهم بالقرآن وورق المصحف وجلده ومداد الكتابة كل ذلك مخلوق مصنوع والمؤلف من الحروف المنطوقة المسموعة المسطورة المحفوظة كلام الله تعالى غير مخلوق بحروفه ومعانيه(١).

وقد استدل أهل السنة والجماعة بأدلة كثيرة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

فمن الأدلة من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾(٤).

٤- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٥).

---

(١) انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبدالله بن يوسف الجديع ٦٣، وانظر: للزيادة خلق أفعال العباد للبخاري ١٣٦ والرد على الجهمية للدراقطني ٢٢٤ ضمن عقائد السلف وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني ١/١٠٧ - ١١٠ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، مجموع الفتاوى المجلد الثانى عشر وغيرها من كتب عقيدة السلف.

(٢) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٦٤ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٥) الآية ٣٠ من سورة القصص.

٥- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

٦- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

والآيات في ذلك كثيرة جمع بعضها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -(٣).

وكذلك جاءت السنة دالة على إثبات صفة الكلام لله وأن الله يتكلم بما شاء متى شاء.

الحديث الأول

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى(٤). ثلاثا).

الحديث الثاني

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار)(٥) الحديث.

---

(١) الآية ٤٠ من سورة النحل.

(٢) الآية ٦ من سورة التوبة.

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ٦٦.

(٤) متفق عليه فقد أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٦/ ٢٧٣٠ ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليها السلام ٤/ ٢٠٤٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ الآية(٢٣)من سورة سبأ ٦/ ٢٧٢٠

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه لذلك بابا فقال: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(١).

قال رحمه الله (ولم يقل: ماذا خلق ربكم)(٢) وهذا من فقهه رحمه الله ودقة فهمه وحسن اعتقاده في أن كلام الله صفة له وليس مخلوقاً.

الحديث الثالث

حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما منكم إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبين ترجمان)(٣) الحديث.

والآيات والأحاديث الدالة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأن القرآن كلامه غير مخلوق كثيرة جدا لا تترك لطالب الحق أدنى شبهة أوشك.

ذكر أكثرها ابن خزيمة في التوحيد(٤) واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة(٥).

وقد عاصر الإمام الشافعي رحمه الله أول هذه الفتنة وعقد المناظرات مع دعاتها الأوائل وحذرهم وحذر الأمة منهم وأمر الناس بهجرهم بل لقد كفر - رحمه الله - من عاند منهم من أمثال حفص الفرد(٦) والنصوص التي توضح هذا كثيرة جدا.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة سبأ.

(٢) البخاري ٦/ ٢٧١٩.

(٣) البخاري في التوحيد ٦/ ٢٧٢٩ ومسلم ٣/ ٧٠٣.

(٤) ١/ ٣٢٨ - ٤٠٤.

(٥) ٢/ ٢١٦.

(٦) تقدمت ترجمته.

فقد روى البيهقي - رحمه الله - بسنده إلى أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي قال: (القرآن كلام الله غير مخلوق)[١].

ولقد كان - رحمه الله - شديداً على من خالف قول أهل السنة في ذلك.

فقد روى البيهقي بسنده إلى أبي شعيب المصرى قال حضرت الشافعي محمد بن إدريس وعنده يوسف بن عمرو بن يزيد وعبدالله بن الحكم في منزله فدخل عليهم حفص الفرد وكان متكلما مناظرا فقال ليوسف: ما تقول في القرآن فقال: كلام الله ليس عندي غير هذا وجعلوا يحيلون على الشافعي فأقبل حفص الفرد على الشافعي فقال: إنهم يحيلون عليك فقال له الشافعي: (دع هذا عنك فلم يزل به فقال له الشافعي ما تقول أنت في القرآن قال: أقول: إنه مخلوق قال: من أين قلت. قال فلم يزل يحتج عليه حفص الفرد بأنه مخلوق ويحتج الشافعي رضي الله عنه بأنه كلام الله غير مخلوق حتى كفره الشافعي وقطعه قال أبو شعيب وحججها عندي في كتاب قال أبو شعيب فلما كان من الغد لقيني حفص الفرد في سوق الزجاج فقال: أما رأيت ما صنع بالشافعي.

أحب أن يريهم أنه عالم.

ثم اقبل علي فقال: مع أنه ماتكلم أحد في هذا مثله ولا أقدر منه على هذا)[٢].

---

(١) المناقب ١/٤٠٧.
وانظر: الشريعة صفحة ٨٢.
(٢) المناقب ١٨/٥٦.

وساق نحوها البيهقي بإسناد آخر عن الربيع بن سليمان وقال في آخرها قال حفص الفرد: (أراد الشافعي قتلي)(١) وبسنده إلى الربيع قال: لما كلم الشافعي - رحمه الله - حفصا الفرد فقال حفص: (القرآن مخلوق قال الشافعي: كفرت بالله العظيم)(٢).

وهذه مناظرة وقعت للإمام الشافعي رحمه الله فقد روى البيهقي بسنده عن أبي محمد الزبيري قال: قال رجل للشافعي: أخبرني عن القرآن خالق هو قال الشافعي اللهم لا قال: فمخلوق قال الشافعي: اللهم لاقال فغير مخلوق قال الشافعي اللهم نعم قال: فما الدليل على أنه غير مخلوق فرفع الشافعي رأسه وقال تقر بأن القرآن كلام الله قال: نعم: قال الشافعي: سبقت في هذه الكلمة قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

﴿وكلم الله موسى تكليما ﴾(٤).

قال الشافعي: فتقر أن الله كان وكان كلامه أوكان الله ولم يكن كلامه.

قال الرجل: بل كان الله وكان كلامه.

قال فتبسم الشافعي وقال: (يا كوفيون إنكم لتأتون بعظيم من القول إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل. وكان كلامه فمن أين لكم الكلام أن الكلام الله؟ أوسوى الله؟ أو غير الله؟ أو دون الله؟ قال فسكت الرجل وخرج) (٥).

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٤٥٥.

(٢) انظر: ١/ ٤٠٧ المرجع السابق.

وانظر: الشريعة للآجري (١١) والأسماء والصفات للبيهقي (٣٢٢ - ٣٢٣).

(٣) الآية ٦ من التوبة.

(٤)الآية ١٦٤من التوبة.

(٥) المناقب للبيهقي ١/ ٤٠٨.

مقصود الإمام رحمه الله أن من أقر أنَّ كلام الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته وأنه لا بداية لـه كذاته سبحانه وتعالى وأقر أن القـرآن كلامه سبحانه وتعالى وجب عليه أن يقر بأن القرآن غير مخلوق ووجب عليه أن يبتعد عن هذه المغالـطات وهذه الشبهات الـتي يلقيها الشـيطان عليهم وهـذه الأسئلة وذكر رحمه الله نموذجاً مما يلقيه الشيـطان عليهم ومع الأسف لاتزال تسمع هذه الأسئلة حتى زماننا الحاضر من بعـض من يعتقد أن القرآن مخلوق فقد قال قائلهم: الأشياء شيئان خالق ومخلوق، فاجعل القرآن من أيهما شئت.

ويظنـون أنهم بمثل هذه الخـزعبلات يدلسرن عـلى الناس ويمرون علـيهم معتـقداتهم الفـاسدة، فإن القرآن من كـلام الله عز وجل وكلامه صـفة من صفاته غير مخلوق كبقية صفاته عز وجل.

ويذكر الشافعي رحمه الله أن هذا الاعتقـاد ـ الذي هو عليه ـ هو ما عليه سلف الأمة.

فقد روى البيهقي بـسنده عنه أنه قال: (رأيت سفيان بن عييـنة قائما على باب كتّاب فقـلت يا أبا محمد ما تعـمل هاهنا قال لي: إليـك عني ويحك فإني أحب أن أسمع كلام ربي من هذا الغلام)(١).

ووقف - رحمه الله - موقـفاً قوياً ضد من قال. بخلق الـقرآن فقد ذكر عنده إبراهيم بن إسمـاعيل ابن عُلَيَّة(٢) فقال: أنـا مخالف له فـي كل شيء وفي قوله لا إله إلا الله لست أقول كـما يقول، أنا أقول لاإله إلا الله الذي كلم موسى من وراء حـجاب وذلك يقول الذي خلق كلاما أسـمعه موسى من وراء حجاب)(٣).

---

(١) المناقب ١/ ٤٠٩، ٤١٠.

(٢) إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلية جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن مات سنة ٢١٨هـ الميزان ١/ ٢٠.

(٣) المناقب ١/ ٤٠٩ ق والإعتقاد له ٩٦.

وهذا من فقهـه رحمه الله حيث بين أن إنكار صفـات الله عز وجل يؤثر حتى عـلى كلمة الـتوحيد لا إله إلا الله وفـيه رد على مـن استهان بتـوحيد الأسماء والصفات وزعم أن نـشر هذا التوحيد لايفيد الأمة بل يـفرق بينها. فهذا كلام الإمام وهو يذكر براءته ومخالفـته لمن خالف عقيدة السلف وقال بخلق القرآن وهـو حجة في وجوب نشر هذا التوحيد والـبراءة ممن خالفه. وأن أنواع التوحيد متلازمة.

ولـم يثبت أن الإمام الشافعي - رحمه الله - تكلم في مسألة اللفظ وكأن هذه المسألة حدثت بعده لذلك لم يرد له فيها كلام ثابت السند.

ولكن روي عـنه - رحمه الله - ما يشـعر أنه يفرق بين صـوت القاريء والمقروء بدون أن يصرح بشيء وهذا من عقيدة السلف.

فقد روى البيهقـي بسنده عن الربيع بن سليمان قال قـال الشافعي رحمه الله (أستحب القراءة في الطواف والقراءة أفضل ما تكلم به المرء)[1].

قال شيـخ الإسلام رحمه الله ولهـذا اتفق سلـف الأمة وأئمتهـا على أن القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله تـعالى ولم يقل أحد منهم إن أصوات العـباد ولامداد المـصاحف قـديم مع اتفـاقهم عـلى أن المثـبت بين لـوحي المصحف كلام الله وقد قال النبـي ﷺ (زينوا القرآن بأصواتكم)[2] فالكلام الذي يقرؤه المسلمون كلام الله والأصوات الـتي يقرؤون بها أصواتهم . . . والله أعلم[3].

---

(١) المناقب ١/ ٤١١.

(٢) ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم في التوحيد (٦/ ٢٧٤٣)
ورواه في خلق أفعال العـباد موصولا من حديث البراء بن عازب (٣٤) ووصله ابن حـجر في تغليق التعليق (٥/ ٣٧٥ - ٣٧٧) من عدة طرق وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣) وأبو داود رقم (١٤٦٨) والنسائي (٢/ ١٧٩) وابن ماجة (١٣٤٢) وهو حديث صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٥٨.

وقال فى موضع آخر:

وإذا كان كذلك فالمداد الذي يكتب به الشكل والنقط كالمداد الذي يكتب به الحروف والمداد كله مخلوق ليس منه شيء غير مخلوق - والصوت الذي يقرأ به الناس القرآن هو صوت العباد لكن الكلام كلام الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**﴾ وقال النبي ﷺ (زينوا القرآن بأصواتكم) فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاريء وهذا ليس هو الصوت الذي ينادي الله به عباده ويسمعه موسى وغيره كما دل على ذلك الكتاب والسنة. وكلام الله غير مخلوق عنه سلف الأمة وأئمتها(١).

وخلاصة مذهب الشافعي رحمه الله في هذه المسألة أنه يرى أن الكلام صفة لله عز وجل وأن القرآن من كلامه وكلامه غير مخلوق وقد كَفَّرَ من قال بخلق القرآن وهو يفرق بين صوت القاريء والقرآن فصوت القاريء مخلوق والمقروء كلام الله غير مخلوق.

وأختم هذه المسألة بما رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسنده عن علي ابن سهل الرملي قال: سألت الشافعي عن القرآن فقال كلام الله تعالى منزل غير مخلوق قلت فمن قال بالمخلوق فما هو عندك قال لي كافر قال: وقال الشافعي رضي الله عنه: مالقيت أحدًا منهم يعني أساتذته إلاقال من قال في القرآن إنه مخلوق فهو كافر)(٢).

وقال في كتابه الإعتقاد: وقد ذكر الشافعي - رحمه الله - مادل على أن ما نتلوه في القرآن بالسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عز وجل وأن الله عز وجل كلم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٧٧.

(٢) الأسماء والصفات ٣٢٣.

(٣) الإعتقاد ١٠٨.

الصفة الخامسة : اليد

وهى من الصفات الذاتية الخبرية وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وصف الله سبحانه وتعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾(١).

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٣).

ومن السنة:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى عليهما السلام. فقال موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم: ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى - عليهما السلام)(٤).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا(٥).

وقد درج أهل السنة والجماعة على إثبات جميع ما وصف الله به نفسه وما صفه به رسوله ﷺ. قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله:

---

(١) الآية ٧٥ من سورة (ص).

(٢) الآية ٦٤ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٤) متفق عليه فقد أخرجه البخاري في التوحيد باب (وكلم الله موسى تكليما) ٦/ ٢٧٣٠، ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/ ٢٠٤٢.

(٥) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ١١٩.

أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أوشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿**يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين**﴾(١).

ولايحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القولين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ومَنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(٢)-(٣).

وقد ورد عن الشافعي - رحمه الله - ما يدل على إيمانه بهذه الصفة ووصفه سبحانه وتعالى بها من غير تشبيه على حد قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

فقد روى أبو يعلى بسنده إلى الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال (لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته...... أتانا أنه سميع وأن له يدين بقوله ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾(٤) وأن له يمينا بقوله ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(٥)- (٦).

---

(١) الآية (٧٥) من سورة (ص).
(٢) الآيه ١١ من سورة الشورى.
(٣) عقيدة أصحاب الحديث ١/١٠٦ ضمن مجموع الرسائل المنيريه.
(٤) الآية ٦٤ من سورة المائدة.
(٥) الآية ٦٧ من سورة الزمر.
(٦) طبقات الحنابلة ١/٢٨٣.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية معتقد الإمام الشافعي رحمه الله وعزاه لشيخ الحرمين: أبي الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي[١] في كتابه الذي سماه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول) وكان من أئمة الشافعية[٢].

الصفة السادسة: الوجه

صفة الوجه لله من الصفات الذاتية الخبرية وقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه في كتابه ووصفه نبيه ﷺ بأن له وجها فوجب اعتقاد ذلك ووصف الله سبحانه وتعالى به على ما يليق بجلاله وعظمته فمن الأدلة المصرحة بذلك قوله تعالى:

١ - ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة[٥].

ومن السنة:

---

(١) أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي سمع الكثير في بلاد شتى وكان فقيها مفتياً وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول يذكر فيه اعتقاد السلف في باب الإعتقاد وكان لايقنت في الفجر ويقول لم يصح ذلك في حديث وقد كان إمامنا الشافعي يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط البداية ١٢/ ٢٢٩ وقد نسب إليه قصيدة في الاعتقاد تزيد على المائتين صرح فيها باعتقاد السلف ورد على من خالفهم كالأشاعرة ونحوهم فثارت لذلك ثائرة المتعصبة من الأشاعرة ورموه بكل تهمة ونسبوه إلى التجسيم انظر: كلام السبكي في ذلك في طبقاته ٤/ ١٣٧.

وانظر: طبقات الشافعية لابن شهبة ١/ ٣٤٩.

وانظر : البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٩.

وهذا الاعتداء الذي حصل له منهم ليس بمستغرب فهذا ديدن المبتدعة منذ ظهروا حتى يومنا هذا، والله يحكم بيننا وبينهم.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١٧٥ - ١٨٣

(٣) الآية ٨٨ من سورة القصص.

(٤) الآية ٢٧ من سورة الرحمن.

(٥) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٤.

حديث جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ قال النبي ﷺ (أعوذ بوجهك) قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال النبي ﷺ أعوذ بوجهك الكريم) قال: ﴿أويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾[١].

قال (هاتان أهون وأيسر)[٢].

الحديث الثاني:

حديث عبدالله بن قيس عن النبي ﷺ قال: (جنتان من فضة. آنيتهما وما فيها وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن)[٣].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة[٤].

واستدل الإمام الشافعي رحمه الله على إثبات صفة الوجه لله عز وجل بآيات من كتاب الله عز وجل فقال - رحمه الله - أتانا أنه سميع .... وأن له وجها بقوله ﴿كلُ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَه﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٦].

فعلم أن الإمام الشافعي رحمه الله يثبت هذه الصفة لله عز وجل على طريقة السلف رحمهم الله عز وجل[٧].

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٦/ ٢٦٩٤.

(٣) البخاري في كتاب التوحيد ٦/ ٢٧١٠.

(٤) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٧.

(٥) الآية ٨٨ من سورة القصص.

(٦) الآية ٢٧ من سورة الرحمن.

(٧) انظر: طبقات أبي يعلى ١/ ٢٨٣ ومجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢.

وقد فسر قول الله عز وجل ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١) قال يعني قبلة الله وهذا لايدل على تأويله لهذه الصفة لأن العلماء فسروا هذه الآية بهذا التفسير أخذاً من سبب نزولها كما روي ذلك عن مجاهد وغيره من أئمة التفسير(٢).

الصفة السابعة: القدم

القدم من الصفات الخبرية التي جاءت بها السنة المطهرة، وقد آمن السلف رحمهم الله بما صح عن النبيﷺ من وصف الله سبحانه وتعالى بها. أما المؤولة فهم كعادتهم في باب أسماء الله وصفاته ردّوا خبر رسول اللهﷺ وتأولوا ذلك بتأويلات بعيدة، بل سخروا ممن أثبت هذه الصفة، وهم بهذا يسخرون من أئمة الإسلام، فهم يثبتون ماأثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ(٣).

ومن المثبتين لهذه الصفة الإمام الشافعي- رحمه الله- حيث يقول: وإن له قدما بقول النبيﷺ: (حتى يضع الرب فيها قدمه يعني جهنم)(٤).

وهذا الحديث الذي احتج به- رحمه الله- قطعة من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما.

فقالت الجنة: أي رب مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسَقَطهم، وقالت النار: أي رب إنما يدخلها الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة: فإن الله لايظلم من خلقه أحدًا وأنه ينشيء لها نشئاً،

(١) الآية ١١٥ من سورة البقرة.

(٢) انظر: كلام الشافعي في أحكام القرآن ١/ ٦٤ ومجموع الفتاوى ٣/ ١٩٣. وانظر كلام أهل التفسير في الطبري (٥٢٦-٥٣٦)

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي هامش صفحة ٤٤٣-٤٤٤ بقلم أحد المعطلة المؤولة الذي حاول إفساد الكتاب بهذا التحقيق.

(٤) انظر تخريجه في الصفحة التالية.

وأما النار فيلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟! ويلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه هناك تمتلىء ويدنو بعضها إلى بعض وتقول: قط قط)(١).

فأهل السنة والجماعة يصدقون بما ورد عن نبيهم ﷺ ولا يعملون أذهانهم ولا أقيستهم ولاعقولهم فيما لاقدرة لهم عليه لأن الشأن في هذا الباب التسليم كما قال السلف: هذه الأحاديث (أمروها كما جاءت)(٢).

الصفة الثامنة: الضحك

الضحك صفة خبرية فعلية دلت عليها السنة الصحيحة وما ثبت بالسنة كالذي ثبت بالقرآن دون فرق ومن الأحاديث الدالة على هذه الصفة:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة: يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد)(٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة(٤).

ولقد كانت هذه الأحاديث تتلى على الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يسمعونها من رسول الله ﷺ ويفهمون معناها ويعتقدون مادلت عليه بل كانت تؤثر فيهم تأثيراً عظيماً.

ومن هذه الاحاديث قوله ﷺ: (إن آخر من يدخل الجنة لرجل يمشي على الصراط فينكب مرة ويمشي مرة... وفيه (فيقول ربنا تبارك وتعالى: ما يصريني منك أي عبدي أيرضيك أن أعطيك من الجنة ومثلها معها؟!قال أتهزأ بي وأنت رب العزة). قال: فضحك عبدالله حتى بدت نواجذه ثم قال ألا

(١) الحديث متفق عليه رواه البخاري في التوحيد ٦/ ٢٧١١ ومسلم ٤/ ٢١٨٦ وانظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٠٨.

(٢) انظر: شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٣١.

(٣) متفق عليه فقد رواه البخاري في كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم ٤/ ١٠٤٠ ومسلم ٣/ ١٥٠٤ - ١٥٠٥.

(٤) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٥٦٣.

تسألوني لم ضحكت قالوا لم ضحكت قال: لضحك رسول الله ﷺ ثم قال لنا رسول الله ﷺ: (ألا تسألوني لم ضحكت قالوا لم ضحكت يارسول الله قال: لضحك الرب تبارك وتعالى، حين قال أتهزأ بي وأنت رب العزة)(١).

وقال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله -

باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل

بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه لا ولايشبه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ﷺ ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عمالم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه(٢).

وفي هذا النص أعظم دليل على سلامة مذهب السلف رحمهم الله في هذا الباب وبعدهم عن الخيالات العقلية والتحريفات الكلامية وبراءتهم مما ينسب إليهم من الحشو والتشبيه والتجسيم فهم دائما وقافون عند النصوص يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وينفون كذلك مانفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير زيادة ولانقصان فهل يستحق هؤلاء أن يوصفوا بهذه الصفات الشنيعة التي رماهم بها أهل الكلام بل هم أبعد الناس عن هذه التهم.

والشافعي رحمه الله سلك في هذا الباب منهج السلف الكرام فأثبت لله هذه الصفات كما يليق بجلاله وعظمته.

يقول رحمه الله (وأنه يضحك من عبده المؤمن يقول النبي ﷺ - للذي قتل في سبيل الله (إنه لقي الله وهو يضحك إليه)(٣- ٤).

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٧٠٤) ومسلم (١/ ١٧٤) واللفظ له.

(٢) التوحيد ٢/ ٥٦٣.

(٣) النص في طبقات ابن أبي يعلى ١/ ٢٨٤ ومجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢.

(٤) انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٦٢٣ بتحقيق الألباني.
وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٥٩٥.

وهذا الحديث الذي احتج به الإمام رحمه الله على إثبات صفه الوجه جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويبشرهم الذى إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول انظروا إلى عبدي كيف صبر لي نفسه)(١) الحديث وقد سرد البيهقي رحمه الله الأحاديث في إثبات صفة الضحك لله عز وجل لكنه اشتغل عن الإثبات بنقل بعض تأويلات المتكلمة وكأنه بعد ذلك استدرك وقال:

(فأما المتقدمون من أصحابنا فإنهم فهموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيب فيه من هذه الأعمال - التي يضحك الله لمن عملها وما وقع الخبر عنه من فضل الله سبحانه - ولم يشتغلوا بتفسير الضحك مع اعتقادهم أن الله ليس بذي جوارح ومخارج وأنه لايجوز وصفه بكشر الأسنان وفغر الفم تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كثيرا)(٢).

فرحم الله البيهقي فلو أنه اكتفى بفهم السلف وترك الخوض فيما خاض فيه الخلف لسلم من هذه الخزعبلات فهل قال أحد إن ضحك الله مستلزم لما ذكر من كشر الأسنان وفغر الفم. ولكنها عبارات ابتدعوها واعتقدوها دينا ونصبوا أنفسهم لردها وكأنها أمور واردة عن أحد من السلف وهم أبعد الناس عن هذه العبارات المبتدعة(٣) رحمهم الله رحمة واسعة.

الصفه التاسعة: الأصابع

يذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى إثبات صفة الأصابع لله عز وجل

(١) انظر: الترغيب والترهيب ١/ ٦٢٣ بتحقيق الألباني.
وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٥٩٥.

(٢) الأسماء والصفات ٥٩٨.

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٥٦٣.

وهي صفة خبرية جاءت السنة بإثباتها ويستدل على ذلك بقوله ﷺ (ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل)(١).

وهو بهذا يوافق كعادته رحمه الله أهل السنة والجماعة فهم يثبتون صفة الأصابع لله ويحتجون لذلك بأحاديث ثابتة عن النبي ﷺ منها.

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول بيده أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾(٢).

وقد تكلف كثير من أهل الكلام تأويل هذا الحديث وزعموا أن ضحك النبي ﷺ إنما هو إنكار على الحبر وزعموا أن اليهود مجسمة ولذلك ضحك النبي ﷺ وقد رد هذا الإمام ابن خزيمة رحمه الله وشدد النكير عليهم وقال: وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ على أن يوصف الخالق الباريء بحضرته بماليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله.

لايصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته(٣).

وممن أنكر هذا التأويل والتحريف في معنى الحديث الحافظ ابن حجر في فتح الباري حيث قال: ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي - من أن ضحكه ﷺ كان تصديقا لكلام الحبر وتعجبا منه - بالظن للزم منه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته على الإنكار وحاشا الله

(١) انظر: طبقات ابن أبي يعلي ١/ ٢٨٤ ومجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢.

(٢) البخاري في كتاب التوحيد ٦/ ٢٧١٢.
ومسلم ٢/ ٢١٤٧ والآية رقم ٦٧ من سورة الزمر.

(٣) التوحيد ١/ ١٧٨.

من ذلك(١).، والعجب أن أهل الكلام انصب تأويلهم على هذا الحديث ظنا منهم بعدم ورود أحاديث أخرى تشهد لهذا الحديث والحقيقة خلاف ما اعتقدوا وظنوا، فالأحاديث في إثبات صفة الأصابع لله عز وجل كثيرة جدا منها ما استدل به الإمام الشافعي في حكاية معتقده وهو ماروواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا(٣).

الصفة العاشرة: العين لله عز وجل

صفة العين لله عز وجل من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

١- وقد ذكرت العين مضافة إلى الضمير المفرد مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾(٤).

٢- ذكرت العين بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع مثل قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾(٦).

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٩٩.
(٢) مسلم ٤/ ٢٠٤٥.
(٣) وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٨٩.
(٤) الآية ٣٩ من سورة طه.
(٥) الآية ١٤ من سورة القمر.
(٦) الآية ٣٧ من سورة هود.

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾(١).

وذكر العين مفردة في بعض الآيات لايدل على أنها عين واحدة فقط لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٢) فالمراد نعمه المتنوعة التي لاتدخل تحت الحصر والعد.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾(٣).

فالمراد بها جميع ليالي رمضان(٤).

وقال ابن خزيمة - رحمه الله - بعد سرده للآيات التي تثبت صفة العين فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبت الخالق الباريء لنفسه من العين.

وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبينا عنه عز وجل في قوله ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل).

فبين النبي ﷺ أن لله عينين فكان بيانه موافقا لبيان محكم التنزيل الذى هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب(٥).

وقد ورد عن الإمام الشافعي - رحمه الله - ما يدل على إثباته لهذه الصفة فقال: (وإنه ليس بأعور) بقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «إنه

(١) الآية ٤٨ من سورة الطور.
(٢) الآية ٣٤ سورة إبراهيم.
(٣) ١٨٧ سورة البقرة.
(٤) انظر: الصفات الإلهية ٣١٧ ومختصر الصواعق ٢٥.
(٥) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٩٧.

أعور وإن ربكم ليس بأعور»(١).

وهو يشير إلى حديث ابن عمر في الصحيحين وفيه (إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية)(٢).

فقد ذكر النبي ﷺ أن من صفات المسيح الدجال أنه أعور العين اليمنى وأنه على الرغم من دعوى الألوهية ومايجري له من الأمور الخارقة للعادة امتحانا للناس فيه عيوب ونقائص وهو عاجز عن دفع ذلك عن نفسه فلن يلتبس عليكم الأمر في شأنه لأنه ناقص إذ به عور وربكم ليس بأعور بل له سبحانه عينان يبصر بهما لأنه سميع بصير فلذلك أورد الإمام الشافعي هذا الحديث مستدلاً به على إثبات صفة العين لله عز وجل(٣).

الصفة الحادية عشرة: العلم

صفة العلم لله عز وجل صفه ذاتية دل عليها الكتاب والسنة. قال الله عز وجل ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ** ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾(٦).

---

(١) طبقات ابن أبي يعلى ١/ ٢٨٤.
وانظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢.

(٢) البخاري كتاب التوحيد باب (ولتصنع على عيني) ٦/ ٢٦٩٥ ومسلم ١٨/ ٥٩ - ٦٠ شرح النووي.

(٣) انظر: الاسماء والصفات ٣٩٥.
والصفات الإلهية ٣١٧ - ٣٢٠.

(٤) الآية ١٦٦ من سورة النساء.

(٥) الآية ٧٨ من سورة التوبة.

(٦) الآية ٥٤ من سورة الأحزاب.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا(١).

ومن السنة:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لايعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولاتدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول لنا إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ويسميه بعينه الذي يريد - خيراً لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي وبارك لى فيه اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمري أوقال في عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به)(٣).

والأحاديث الدالة على علم الله سبحانه وتعالى كثيرة جدا وقد جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله ما يدل على إثباته لصفة العلم وأنها صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى وأن علمه أزلي سابق للأشياء قبل حدوثها فقد قال رحمه

(١) انظر: المعجم المفهرس مادة علم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً ٦/ ٢٦٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾ ٦/ ٢٦٩٠ - ٢٦٩١.

الله في قـول الله تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾(١).

قال: (وعلم الله كـان قبل اتباعهـم وبعده سواء)(٢) فهو يثبت علم الله سبحانه وتعالى السابق للأشياء قبل حدوثها.

وقد اختلف المفسرون في معنى هذه الآية.

قال الإمام ابن جرير - رحمه الله - (يعني جل ثناءوه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ ولم نجعل صرفك عن القبلـة التي كنت على التوجه إليها يا محـمد فصرفناك عنها إلا لنعـلم من يتبعك ممن لايتبعـك ممن ينقلب على عقبيه)............... قال: فـإن قال لنا قائل: أوما كان الله عالما بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا بعد اتباع المتبع وانقلاب المنقلب على عقبيه حتى قال: ما فعلـنا الذي فعلنا من تحول القبلة إلا ليعلم المتبع رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبيه.

قيل: إن الله جل ثناؤه هو الـعالم بالأشياء كلها قبل كونـها وليس قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ يخبر عن أنه لم يعلم ذلك إلا بعد وجوده.

فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له: أما معناه عندنا، فإنه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائـي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عـقبيه فقال جل ثناؤه (إلالنعلم) ومعناه ليعلم رسلي وأوليائي.

إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه(٣) ثم ذكر الأدلة على ذلك من كلام العرب ثم قال:

(١) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٢) انظر: مناقب البيهقي ١/٤٠٦ وأحكام القرآن للشافعي جمع أبي بكر البيهقي ١/٦٧.

(٣) تفسير الطبرى ٣/١٥٥-١٥٩ باختصار.

وقال بعضهم: إنما قيل ذلك من أجل أن العرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم...... فيكون المعنى إلا لنرى من يتبع الرسول ثم رده بقوله هذا تأويل بعيد ثم قال: وقال آخرون: إنما قيل إلا لنعلم من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه. وقالوا إذا قيل لهم إن قوما من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة: ذلك غير كائن أوقالوا وذلك باطل فلما فعل الله ذلك وحول القبلة وكفر من أجل ذلك من كفر قال الله جل ثناؤه: ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه أني عالم بما هو كائن ممالم يكن بعد. فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله (إلا لنعلم) إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. قال وهذا وإن كان وجيها له مخرج فبعيد من المفهوم.

وقال آخرون: إنما قيل (إلا لنعلم) وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته............... فمعناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم إذ كنتم جهالاً به قبل أن يكون فأضاف العلم إلى نفسه رفقا بخطابهم)[١].

وقال ابن كثير - رحمه الله -:

يقول تعالى: إنا شرعنا لك يامحمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه)[٢].

وقال السعدي:

---

(١) المصدر السابق ٣/١٥٩ - ١٦٢ باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٩١.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ وهي استقبال بيت المقدس أولا (إلا لنعلم) أي: (علما يتعلق به الثواب والعقاب وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها)(١).

ويوضح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

- وكأن السعدي اختصره من كلامه - فيقول:

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾(٢).

ونحو ذلك فهذا هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده وهو العلم الذي يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب والأول هو العلم بأنه سيكون ومجرد ذلك العلم لايترتب عليه مدح ولاذم ولاثواب ولاعقاب، فإن هذا إنما يكون بعد وجود الأفعال. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: لنري(٣) وكذلك المفسرون قالوا: لنعلمه موجودا بعد أن كنا نعلم أنه سيكون(٤).

الصفة الثانية عشرة الرؤية

اعتاد السلف رحمهم الله ذكر رؤية الله عز وجل في مباحث الأسماء

(١) تفسير السعدي ١/١٥٩.

(٢) الآيه ١٢ من سورة الكهف.

(٣) الذي في تفسير الطبري عن ابن عباس. إلالنميز أهل اليقين من أهل الشك ٣/ ١٦٠.
وانظر: الدر المنثور ١/٣٥٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٤٩٦.

والصفات مع أن الرؤية صفة للمؤمنين لأن الخلاف قد وقع فيها بين السلف والخلف.

ورؤية الله يوم القيامة دل عليها الكتاب والسنة فمن أدلة الكتاب قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٣).

وقد جمع الإمام ابن القيم آيات الرؤية في كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح(٤).

وأما الأحاديث المصرحة برؤية الله عز وجل يوم القيامة فقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أنها متواترة وذكر عددا منها(٥).

فمنها حديث أبي هريرة وأبي سعيد في الصحيحين (أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ فقالوا لا يارسول الله قال: هل تضارون في رؤية شمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك)(٦) الحديث.

ومنها حديث جرير بن عبدالله قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشر فقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا

---

(١) الآية ٢٢ من سورة القيامة.

(٢) الآية ٢٦ من سورة يونس وانظر: معناها في صحيح مسلم ١/١٦٣.

(٣) الآية ١٥ من سورة المطففين.

(٤) حادى الأرواح ٤- ٢ - ٢١٢.

(٥) حادى الأرواح ٢١٢.

(٦) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ٦/٢٧٠٤. ومسلم في كتاب الإيمان ١/١٦٣.

لاتضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾(١)(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا(٣).

وقد ذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى إثبات رؤية الله يوم القيامة وقد ورد عنه ما يدل على ذلك.

منها ما رواه البيهقي بسنده عن الربيع بن سليمان قال: كنت ذات يوم عند الشافعي رحمه الله وجاءه كتاب من الصعيد - وهو اسم موضع - يسألونه عن قوله الله جل ذكره ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٤).

فكتب فيه لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا.

قال الربيع: أوتدين بهذا يا سيدي.

فقال والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا)(٥).

وبسنده عن ابن هرم القرشي يقول سمعت الشافعي فى قوله الله عز وجل ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، قال فلما حجبهم في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه في الرضا)(٦).

---

(١) الآية ٣٩ من سورة ق

(٢) رواه البخاري في التوحيد (٦/٢٧٠٣).

(٣) انظر: حادى الارواح ٢١٢.

(٤) الآية ١٥ من سورة المطففين.

(٥) انظر: مناقب البيهقي ١/٤١٩ وحادى الأرواح ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٦) المصدر السابق ١/ ٤٢٠.

وبسنده إلى سعيد بن أسد قال قلت للشافعي: ما تقول في حديث الرؤية:

فقال لي يا ابن أسد: (أقض عليّ حييت أومت إن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني)(١).

وروى البيهقي أيضا بسنده عن المزني قال سمعت ابن هرم القرشي يقول سمعت الشافعي يفول في قول الله عز وجل.

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٢)

قال: (هذا دليل على أن أولياءه يرونه يوم القيامة)(٣) وفي طبقات ابن أبي يعلى عنه رحمه الله قال (وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر)(٤).

فهذه عقيدة الشافعي - رحمه الله - تعالى في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهو في هذا يوافق مذهب السلف كعادته في بقية الصفات.

قول الإمام الشافعى رحمه الله في بقية الصفات.

سبق في هذا الفصل بيان منهج الإمام الشافعي في أسماء الله وصفاته وأنه يؤمن بجميع ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه أووصفه به رسوله ﷺ على مذهب السلف وأنه كان يمر آيات الصفات كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل ولاتحريف وسوف أورد هنا بعض النصوص عنه تدل على ذلك.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٢١ والاعتقاد له ١٣١.

(٢) الآية ١٥ من سورة المطففين.

(٣) المناقب والاعتقاد ١/ ٤٢٠.

وانظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٤٩٩ وحادى الأرواح ٢٠٨.

(٤) سبق تخريجه.

قال الربيع بن سليمان: سألت الشافعي رحمه الله عن صفات الله تعالى فقال: (حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلاما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام)(١).

وقال رحمه الله (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله)(٢).

وقال لابن أسد وقد سأله عن حديث الرؤية .

قال: (أقض عليّ حييت أومت أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني)(٣).

فيعلم بعد ذلك قول الإمام في بقية الصفات التي لم ينص عليها في كلامه، وهو أنه يثبت لله جميع ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل ولاتحريف على طريقة السلف.

والله أعلم

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٢، ٦/٣٥٤ .

ذم التأويل لابن قدامة ص ١١، ص ٤٤ .

(٣) المناقب ١/٤٢ ق والاعتقاد ١٣١ .

الباب الرابع

بقية المعتقد ومنهجه في إثباته

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالأنبياء عليهم السلام.

الفصل الثاني: الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الرابع: عقيدته في الصحابة.



الفصل الأول

الإيمان بالأنبياء عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالأنبياء.

المبحث الثاني: حاجة الناس إلى بعثة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: فضائل نبينا محمد ﷺ.



المبحث الأول: معنى الإيمان بالأنبياء عليهم السلام

الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان ومعنى الإيمان بهم التصديق بنبوة جميع من قص الله علينا خبره وتصديقهم بما أخبروا به عن الله عزوجل. وأنهم قد بلغوا ماأمروا أن يبلغوه وأن حجة الله قد قامت على عباده بإرسالهم إليهم ومن الإيمان بهم الإيمان بمن سمى الله في القرآن وعددهم خمسة وعشرون منهم ثمانية عشر ذكرهم الله تعالى في قوله﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم* ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاهدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العلمين* ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم**﴾(١).

وأما السبعة الباقون فقد ذكروا في آيات متفرقة وهم (إدريس، هود، شعيب، صالح، ذوالكفل، آدم، محمد عليهم الصلاة والسلام).

وقد جمعهم الناظم بقوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانية . ٠ . من بعد عشر يبقى سبعة وهموا

إدريس هود شعيب صالح وكذا . ٠ . ذوالكفل آدم بالمختار قد ختموا

ومن الإيمان بهم الإيمان بمن لم يسم الله لنا منهم فنؤمن بهم إجمالا وهو أن الله قد أرسل غير هؤلاء الذين سمى لنا منهم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾(٣).

---

(١) الآيات ٨٣-٨٧ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٧٨ من سورة غافر.

(٣) الآية ١٦٤ من سورة النساء.

ومن الإيمان بهم الإيمانُ بأنهم أرسلوا لدعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة وأن دين الأنبياء عليهم السلام واحد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن الإيمان بهم الإيمان بجميع ماأخبر الله عنهم من صفات وبما أخبروا به عن أنفسهم من كونهم عباداً لله وأنهم بشر فضلهم الله واصطفاهم على الناس برسالته وكلامه وأنهم مع هذا لايخرجون عن مقام العبودية بل كلما ازداد الواحد منهم تحقيقا لمقام العبودية ازداد قرباً من الله عز وجل فلايجوز بعد هذا صرف أي نوع من أنواع العبادة لهم بأي وجه من الوجوه بل دعوتهم كلها من أجل أن يعبد الله وحده.

ومن الإيمان بهم،

الإيمان بماوقع على أيديهم من معجزات باهرات كالآيات التي أجراها الله على يد موسى وعيسى ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

ومن الإيمان بهم،

التصديق بهم جميعا وعدم الكفر بواحد منهم لأن الكفر بواحد منهم يستلزم الكفر بهم جميعا.

ومن الإيمان بهم،

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء.

الإيمان بأن النبوة والرسالة قد ختمتا ببعثة نبينا محمدﷺ وأنه آخر الأنبياء وخاتمهم ولانبي بعده وأن رسالته خاتمة الرسالات وبالجملة فإن الإيمان بالرسل والأنبياء أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان عبد إلا به كما جاء في حديث جبريل المشهور وقد قرره القرآن في آيات كثيرة.

قال الله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾(٢).

ففي هذه الآيات قرن الله الإيمان بالرسل بالإيمان به وبملائكته وكتبه وحكم بكفر من فرق بين الله ورسله فآمن ببعض وكفر ببعض.

وفي حديث جبريل قال رسول اللهﷺ:

(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)(٣).

بعض ماروى عن الإمام الشافعي في باب النبوة

قال الشافعي-رحمه الله-

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.
(٢) الآيتان ١٥٠-١٥١ من سورة النساء.
(٣) رواه الإمام مسلم١/ ٣٧.

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

قال الشافعي رحمه الله تعالى: خلق الله الخلق لعبادته ثم أبان جل وعلا أن خيرته من خلقه أنبياؤه فقال تبارك اسمه ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٢).

فجعل النبيين عليهم الصلاة والسلام من أصفيائه دون عباده بالأمانة على وحيه والقيام بحجته فيهم.

ثم ذكر من خاصة صفوته فقال جل وعز ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٣).

فخص آدم ونوحا بإعادة ذكر اصطفائهما وذكر إبراهيم فقال جل ثناؤه ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾(٤).

وذكر إسماعيل بن إبراهيم فقال عز ذكره ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾(٥).

ثم أنعم الله عزوجل على آل إبراهيم وآل عمران في الأمم فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٦)(٧).

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.
(٢) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٣٣ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ١٢٥ من سورة النساء.
(٥) الآية ٥٤ من سورة مريم.
(٦) الآيتان ٣٣، ٣٤ من سورة آل عمران.
(٧) انظر: كتاب الأم(٤/ ١٥٩).

المبحث الثاني: حالة الناس قبل بعثة النبي ﷺ وبيان حاجتهم إلى بعثته

قال الشافعي رحمه الله في خطبة كتابه الرسالة

.... وأشهد أن لإإله إلاالله وحده لاشريك وأن محمدا عبده ورسوله بعثه والناس صنفان

أحدهما: أهل الكتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم فذكر تبارك وتعالى لنبيه من كفرهم فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ

---

(١) الآية ٧٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٧٩ من سورة البقرة.

(٣) الآيتان ٣٠-٣١ من سورة التوبة.

الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾(١).

وصنف كفروا بالله فابتدعوا مالم يأذن به الله ونصبوا بأيديهم حجارة وخشبا وصورا استحسنوها ونبزوا أسماء افتعلوها ودعوها آلهة عبدوها فإذا استحسنوا غير ماعبدوا منها ألقوه ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه فأولئك العرب وسلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا وفي عبادة ماستحسنوا من حوت ودابة ونجم ونار وغيره.

فذكر الله لنبيه جوابا من جواب بعض من عبد غيره من هذا الصنف فحكى جل ثناؤه عنهم قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٢).

وحكى تبارك وتعالى عنهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾(٤).

وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾(٥).

وقال في جماعتهم يذكرهم من نعمه ويخبرهم ضلالتهم عامة ومنة على من آمن منهم﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

---

(١) الآيتان ٥١-٥٢ من النساء.

(٢) الاية ٢٣ من سورة الزخرف.

(٣) الآية ٢٣ من سورة نوح.

(٤) الآيتان ٤١ ـ ٤٢ من سورة مريم.

(٥) الآيات ٦٩-٧٣ من سورة الشعراء.

بنعْمَته إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاته لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

فكانوا قبل إنقاذه إياهم بمحمد ﷺ أهل كفر في تفرقهم واجتماعهم يجمعهم أعظم الأمور الكفر بالله.

وابتداع مالم يأذن به الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

لاإله غيره وسبحانه وبحمده رب كل شيء وخالقه من حيَّ منهم فكما وصف حاله حيا، عاملا قائلا بسخط ربه مزدادا من معصيته.

ومن مات فكما وصف قوله وعمله: صار إلى عذابه.

خلاصه كلام الشافعي السابق في النبوة.

١ - إن الله خلق الجن والإنس لعبادته.

٢ - إن الأنبياء عليهم السلام هم أصفياء الله دون خلقه وهم أهل الأمانة على وحيه وحجته.

٣ - إن إبراهيم عليه السلام خليل الله.

٤ - أن الله فضل بعض الأنبياء على بعض.

٥ - أن الناس كانوا قبل بعثة النبيﷺ في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء وهم صنفان:

أ - الصنف الأول: أهل الكتاب وهم قد حرفوا كتابهم وأعرضوا عما جاء فيه وابتدعوا لأنفسهم دينا لم يأذن به الله.

ب - الصنف الثاني: عباد الأوثان من العرب والعجم ومن نحا نحوهم.

٦ - إن الأمم قبل بعثة النبيﷺ يجمعها في الكفر أصلان عظيمان.

أ - الأصل الأول: الكفر بالله.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

ب - **الأصل الثاني**: ابتداع مالم يأذن به الله[١].

٧ - إن الأنبياء عليهم السلام جادلوا قومهم وحذورهم من عبادة غير الله وبينوا لهم أن هذه الآلهة لاتستحق العبادة فهي لاتسمع ولاتبصر ولاتغني شيئا.

٨ - إن التعصب لما عليه الآباء من أعظم ما يصد الإنسان عن قبول الحق حيث أجاب هؤلاء الكفار رسلهم بقولهم:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٢].

-رحمة الله لعباده برسالة النبيﷺ.

قال الشافعي-رحمه الله:

فلما بلغ الكتاب أجله فحق قضاء الله بإظهار دينه الذي اصطفى بعد استعلاء معصيته التي لم يرض[٣].

فتح أبواب سماواته برحمته كما لم يزل يجري- في سابق علمه عند نزول قضائه في القرون الخالية- قضاؤه[٤] فإنه تبارك وتعالى يقول: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾**[٥].

---

(١) الرسالة ٨-١٢.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الزخرف.

(٣) قال الله تعالى **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**. الآية ٢ من سورة الجمعة.

وفي الحديث(وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلابقايا من أهل الكتاب)- الحديث رواه مسلم ٤/٢١٩٧.

(٤) قضاؤه فاعل يجري.

(٥) الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

المبحث الثالث: فضائل نبينا محمد ﷺ

قال الشافعي -رحمه الله-:

فكان خيرته[١] المصطفى[٢] لوحيه المنتخب لرسالته، المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته[٣] ....

(١) الخير ضد الشر تقول منه- خرت يارجل فأنت خائر وخير وخار الله لك: أي أعطاك ماهو خير لك.
والخيرة بسكون الياء الاسم منه فأما بالفتح فهي الاسم من قولك اختاره الله.
ومحمدﷺ خيرة الله من خلقه يقال بالفتح والسكون النهاية ٢/ ٩١.

(٢) صفوة كل شيء خالصه. واستصفى الشيء واصطفاه اختاره والإصطفاء الإختيار افتعال من الصفوة ومنه: النبيﷺ صفوة الله من خلقه ومصطفاه اللسان ١٤/ ٤٦٢-٤٦٣.
وفي حديث واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم ٤/ ١٧٨٢.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ (بعثت من خير قرون آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه) رواه البخاري ٣/ ١٣٠٥ رقم ٢٣٦٤ وفي العقيدة الطحاوية (وإن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبي ورسوله المرتضى) ١٤٩.

(٣) كأنه يعنى قول الله عزوجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآيتان ١٥٦-١٥٧ سورة الأعراف.
ومن الأحاديث الدالة على هذا
حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن النبيﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) البخاري ١/ ١٢٨،
ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) مسلم ١/ ٣٧١ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ =

وختم نبوته[١] وأعم ماأرسل به مرسل قبله[٢][٣].

المرفوع ذكره مع ذكره في الأولى[٤] والشافع المشفع في الأخرى[٥][٦].

أفضل خلقه نفسا[٧] وأجمعهم لكل خلق رضيه في..........

=أنه قال(نصرت بالرعب على العدو وأوتيت جوامع الكلم وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي)مسلم١/ ٣٧١.

(١) قال الله تعالى(ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) البخاري ٣/ ١٣٠٠، ومسلم ٤/ ١٧٩١.

(٢) قال تعالى(وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)٢٨ سبأ وفي الأحاديث السابقة مايدل على هذا. وانظر: صحيح مسلم١/ ٣٧١.

(٣) الرسالة ١٢.

(٤) يشير والله أعلم إلى قوله تعالى(ورفعنا لك ذكرك)الآية ٤ من الشرح فقد روى الشافعي بسنده عن مجاهد في قوله تعالي(ورفعنا لك ذكرك) قال لاأذكر إلاذكرت معي أشهد أن لاإله إلاالله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

قال الشافعي يعنى والله أعلم: ذكره عند الإيمان بالله والأذان ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية)الرسالة١٦.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن قتادة قال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولامتشهد ولاصاحب صلاة ينادي أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله دلائل النبوة ٧/ ٦٣، وانظر: الدر المنثور ٨/ ٥٤٨-٥٥٠.

(٥) وورد ذلك في حديث الشفاعة المشهور فيه(فيأتونني فأنطلق فأستاذن على ربي فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع) الحديث رواه البخاري٦/ ٢٦٩٦ ومسلم١/ ١٧٥-١٨٧.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع).

مسلم ٤/ ١٧٨٢

(٦) الرسالة ١٢-١٣.

(٧) في صحيح مسلم باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق. =

دين ودنيا[١] وخيرهم نسبا ودارا[٢].

محمدا[٣] عبده ورسوله[٤][٥].

= وساق الإمام مسلم بسنده عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) الحديث مسلم ٤/ ١٧٨٢ وفي الترمذي ٤/ ٣٧٠ وأبي داود رقم ٤٦٧٣-(ولافخر) وسبب اقتصاره على يوم القيامة لأنه اليوم الذي تظهر فيه السيادة وفائدتها العظيمة ومن فُضِّل في ذلك اليوم ففضله في غيره من باب أولى.

(١) النصوص الدالة على حسن خلق النبي ﷺ كثيرة جدا منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية ٤من سورة القلـم، ومنها حديث أنس رضي الله عـنه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن النـاس خلقا) دلائل النـبوة للبيـهقي ١/ ٣١٢، وعن عائشـة رضي الله عنها وقـد سئلت عن خـلق رسول الله ﷺ فقلت: (ألست تقرأ القرآن قلت: بلى قالت فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن) رواه مسلم ١/ ٥١٢-وانظر محاضرة فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد في أخلاقه ﷺ.

(٢) فضل نسبه ﷺ لايخفى فهو هاشمي قرشي وهوأفضل الناس نسباً ﷺ. وفي صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم). مسلم ٤/ ١٧٨٢، وانظر زاد المعاد١/ ٧١.

(٣) محمدا خبر كان.

(٤) عبده ورسوله: يلاحظ سلامـة الإمام الشافعي من البدع وبعده عن الغلـو فى ذات النبي ﷺ فهو لم يثن عليـه إلا بما ثبت له ثم ختم ذلـك ببيان منزلته الحـقة عند الله فهو عبد الله حـتى لا يرفع عن منزلته ورسولـه حتى لاينزل عن منزلته وقـد صح عنه ﷺ(لاتطروني كماأطرت الـنصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله). البخاري.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية١٤٩: واعلم أن كمال المخلـوق في تحقيق عبوديته لله تعالى وكـلما ازداد العبد تحقيقا للعـبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهـم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجـوه وأن الخروج عنها أكمل فهو من أضل الخلق وأضلهم قال تعالى(وقالوا اتـخذا الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) ٢٦-الأنبياء إلـى غير ذلك من الآيات وذكر الله نـبيه ﷺ باسم العـبد في أشرف المقامات فـقال في ذكر الإسراء(سبحان الذي أسرى بعبده) الإسراء وقال تعالى(وأنه لما قام عبدالله يدعوه)١٩ الجن. وقال تعالى(فأوحى إلى عبده ماأوحى)١٠ النجم وقال تعالى(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) ٢٣ البقرة.

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة ولـذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام(اذهـبوا إلى محمد عبد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر) متفق عليه وقد تقدم قريبا.

فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى)أ-هـ.

(٥) الرسالة ١٣.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)،

وقال: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٢)وأم القرى، مكة وفيها قومه.

وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٣)،

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(٤)،

ثم ساق بسنده عن مجاهد في قوله﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾،قال: يقال ممن الرجال فيقال من العرب فيقال من أي العرب فيقال من قريش)(٥).

قال الشافعي(وما قال مجاهد من هذا بين في الآية مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير.

فخص جل ثناؤه قومه وعشيرته الأقربين في النذارة وعم الخلق بها يعدهم ورفع بالقرآن وذكر رسول الله ثم خص قومه إذ بعثه.

فقال﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٦).

وزعم بعض أهل العلم بالقرآن أن رسول الله ﷺ قال:(يابني عبد مناف

---

(١) ١٢٨ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

(٤) الآية ٤٤ من سورة الزخرف.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٢٥/٧٦ والبيهقي في الشعب حديث رقم ٢٢ من الشعبة الرابعة عشرة.
وانظر: الدر المنثور ٧/ ٣٨٠
وروى الطبراني في الكبير٢/٢٥٦ وابن جرير في التفسير ١١/٤٦ عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى.
قال شرف لك ولقومك
انظر الدر المنثور ٧/ ٣٨٠

(٦) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

إن الله بعثني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأنتم عشيرتي الأقربون)[١][٢].

قال الشافعي: فصلى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وصلى عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ماصلى على أحد من خلقه وزكانا وإياكم بالصلاة[٣] عليه أفضل مازكى أحدا من أمته

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله(لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في أي كتاب من كتب السنة ويظهر لي أنه من تعبير الشافعي بقوله وزعم بعض أهل العلم بالقرآن أنه لم يكن حديثا مرويا عنده بالإسناد بل هو من الأحاديث التي كانت تدور على ألسنة المفسرين كمثل الأحاديث التي تدور في كتب الفقه والأصول على ألسنة الفقهاء والأصوليين وكثير من هذه الأنواع لايعرفه أهل العلم بالحديث نعم قد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة.

قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله(وأنذر عشيرتك الأقربين) قال(يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيئا يابني عبد مناف لاأغني عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبدالمطلب لاأغني عنك من الله شيئا) الحديث واللفظ للبخاري. انظر: فتح الباري٨/ ٣٧٦،

وروى مسلم ١/ ٧٦ وغيره من حديث قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف إني نذير) الحديث وجاءت أحاديث أخرى بهذا المعنى.

انظر: الدر المنثور٥/ ٩٥ - ٩٨.

ولكن ليس في شيء منها مايوافق اللفظ الذي هناك أنه قال لهم (-وأنتم عشيرتي الأقربون) أ-هـ كلام أحمد شاكر.

انظر الرسالة انظر حاشية الصفحة ١٥.

(٢) الرسالة ١٣-١٥ وفيما سبق من كلام الشافعي رحمه الله بيان لعظم منة الله سبحانه وتعالى على عباده وعلى العرب وقريش خاصة بمبعث النبي ﷺ حين هداهم به من بعد الضلالة وأغناهم به من بعد العيلة وأعزهم به من بعد الذلة ورفعهم به من بعد المسكنة.

(٣) هذا نوع من أنواع التوسل المشروع وهو سؤال الله عزوجل بالعمل الصالح وقد دل الكتاب والسنة على مشروعية سؤال الله عزوجل بالعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾١٦ آل عمران.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ١٥٣آل عمران.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ١٢٧-البقرة.

=

بصلاته عليه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته(١).

قال الشافعي(وجزاه الله عنا أفضل ماجزى مرسلا عن من أرسل إليه فإنه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه(٢)(٣).

فلم تمسِ بنا نعمة ظهرت ولابطنت نلنا بها حظا في دين ودنيا أودفع بها عنا مكروه فيهما أو في واحد منهما إلا ومحمدﷺ سببها القائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد المنبِّه للأسباب التي تورد الهلكة القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها فصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد)(٤)(٥).

= والآيات في هذا كثيرة.
ومن السنة حديث الغار المشهور وهو في البخاري ومسلم وغيرهما وغير ذلك من الأحاديث.
أما الأنواع المشروعة الأخرى فهي.
سؤال الله بأسمائه وصفاته.
سؤال الله بدعاء الرجل الصالح الحي القادر على أن يدعو الله لك.
انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام، والتوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي.
التوسل للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني.

(١) الرسالة ١٦.

(٢) قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. آل عمران١٠٣

(٣) قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾آل عمران١١٠.

(٤) الرسالة ١٦-١٧.

(٥) يشير الشافعي رحمه الله إلى عظيم فائدة متابعة النبيﷺ فإن من جرد المتابعة له ﷺ فقد سلم من الضلال والشقاوة في الدنيا والآخرة فكل خير يحصل لنا وكل شر يدفع عنا هو بسبب متابعتنا لنبينا محمدﷺ والنصوص في وجوب الإعتصام بسنة النبيﷺ والتحذير من البدع كثيرة جدا بل قد أفردت في ذلك مصنفات ككتاب الاعتصام للشاطبي وكتب التحذير من البدع كثيرة جدا قال الله عزوجل﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ الأنعام(١٥٣) =

وروى البيهقي بسنده عن الإمام الشافعي رحمه الله قال قال الله سبحانه لنبيهﷺ:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾(١)،

ثم أنزل الله عزوجل على نبيهﷺ أن غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر- يعني قول الله عزوجل﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ②﴾(٢) يعني والله- أعلم - ماتقدم من ذنبه قبل الوحي وماتأخر أن يعصمه فلايذنب فعلم مايفعل به من رضاه عنه وأنه أول شافع وأول مشفع يوم القيامة وسيد الخلائق(٣). . .

= وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾المائدة٣.

وقالﷺ في حديث العرياض بن سارية(فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح(٢٦٧٦).

وأبوداود(٤٦٠٧) وابن ماجة(٤٢-٤٤)وأحمد٤/ ١٢٦.

(١) الآية: ٩ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية ١-٢ من سورة الفتح.

(٣) في هذه الآية دليل على أن النبيﷺ لايعلم من الغيب إلاماعلمه الله عزوجل لأن علم الغيب يختص بالله عزوجل.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ㉖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾الجن٢٦.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ㉞﴾ لقمان٣٤.

وقال تعالى مبينا حال نبينا ﷺ﴿قل لاأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولاأقول لكم إني ملك إن أتبع إلا مايوحى إلي﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾الأعراف ١٨٨ . ولكن الله يمن على من يشاء من أنبيائه فيخبرهم ببعض الأمور المغيبة كرامة لهم وتثبيتا.

ولذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها(ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: (لايعلم الغيب إلا الله)- صحيح البخاري كتاب التوحيد ٦/ ٢٦٨٧-

ومن الأمور المغيبة التي أطلعها الله لنبيهﷺ أن الله قد غفر له ماتقدم وماتأخر وهذا من إكرام الله تبارك وتعالى لنبيهﷺ ولهذا يقول عيسى عليه السلام يوم القيامة(إذهبوا إلى محمد عبد غفر له ما =

وقد(١) ظهر من كلام الإمام الشافعي تفضيله لنبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق وقد صرح بهذا كما روى ذلك البيهقي عنه حيث قال رحمه الله:

محمد رسول الله خير خلق رب العالمين.

واختلف الناس فطائفة تقول الأنبياء

وطائفة تقول الملائكة

واختلفوا في آدم ومحمد عليهما السلام أيهما أفضل

واختلفوا في مكة والمدينة أيهما أفضل

قال الشافعي: مكة خير البقاع(٢).

وهذا الذي ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله هو الذي تدل عليه الأدلة كقوله ﷺ(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)(٣).

فإن قيل كيف تجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ في الحديث الآخر(لاتفضلوني على موسى)(٤).

فالجواب- والله أعلم- يفهم من سبب ورود الحديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئا كرهه أولم يرضه قال: لاوالذي اصطفى موسى على البشر قال: فسمعه رجل من

=تقدم من ذنبه وماتأخر) وقد تقدم قريبا وفي هذا رد علي أهل البدع والخرافات ممن يزعم أن لأوليائهم قدرة على علم الغيب ابتداء وأن لهم اطلاعًا على اللوح المحفوظ،

فإذا كان هذا حال النبيﷺ وأنه لايعلم من الغيب إلا ماعلمه الله فغيره ممن هو دونه من باب أولى.

(١) البيهقي (١/ ٤٢٤).

(٢) مناقب البيهقي١/ ٤٢٢.

(٣) رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ٤/ ١٧٨٢.

(٤) رواه البخاري ٣/ ١٢٥١ رقم ٣٢٢٧،

ومسلم ٤/ ١٧٤٣ رقم ٢٣٧٣ واللفظ له.

الأنصار فلطم وجهه قال تقول والذي اصطفى موسى على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال ياأبا القاسم إن لي ذمة وعهدا وكان فلان لطم وجهي فقال رسول الله ﷺ لم لطمت وجهه قال قال يارسول الله ﷺ والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: (لاتفضلوا بين الأنبياء) الحديث .

ففهم من هذا الحديث سبب نهيه ﷺ عن المفاضلة بين الأنبياء عليهم السلام وهو أنه إذا كانت المفاضلة بين الأنبياء على وجهة التعصب أوكان من باب التفضيل بالاسم فهو منهي عنه أما إذا لم يكن كذلك فهي جائزة ويمكن أن تقول إن المفاضلة جائزة بشرطين:

الشرط الأول: أن لاتكون من التعصب والحمية.

الشرط الثاني: أن يكون تفضيل عاما بدون تخصيص نبى معين.

لأن ذلك لايشعر بتنقيص قدر نبي بعينه.

فإن قال قائل إذا كانت المفاضلة بين الأنبياء جائزة بالشروط السابقة فما معنى قول النبيﷺ(ولاأقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى).

وفي رواية(ولاينبغي لعبد إن يقول أنا خير من يونس بن متى).

وفي رواية (لايقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى)

وفي رواية(لاينبغي لنبي أن يقول أنا خير من يونس بن متى)

وفي رواية (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)

فالجواب

إن هذه الأحاديث تدل على العموم أي لاينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى.

وسبب تخصيص يونس بالذكر أنه عليه السلام لما فعل ما فعل من ذنب خشي أن يظن ظان وهو قد عبدالله ولم يرتكب ذنبا أنه خير من يونس بن متى لأنه لم يفعل أي ذنب يستوجب لوم الله له واستغفاره من ذلك الذنب لأن فضل يونس بالنبوة أعظم وأما ذنبه فقد استغفر الله منه وغفر الله(١)- والله أعلم.

وأما قوله(من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب)مع أن رسول اللهﷺ خير الرسل وأفضلهم فالجواب.

أن رسول اللهﷺ هو خير البشر ولكن المفاضلة بالاسم منهى عنها ولا يمكن أن يقوله ﷺ وهو قد نهى عنه وهذا مثل قوله تعالى﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢). مع أن الرسول اللهﷺ معصوم من الشرك فالوعد والوعيد هنا لبيان مقادير الأعمال وأن من فعل ذلك أيا كان فهو كذاب)(٣).

وقال ابن قتيبة رحمه الله:

إنه لاتناقض بين هذه الأحاديث ولااختلاف فإنه أراد بقوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة لأنه الشافع يومئذ والشهيد وأراد بقوله لاتفضلوني على يونس طريق التواضع)(٤).

فإن قال قائل فما معنى قوله ﷺ للذي قال له ياخير البرية قال ذلك إبراهيم)

ولمن قال له ياسيدنا قال: السيد الله.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية١٦٢-١٦٤.

(٢) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

(٣) فتح الباري ٦/ ٤٥٢.

(٤) تأويل مختلف الحديث ١١٦.

فالجواب:

أن هذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم ومن حرصه على أمته وخوفه عليهم وسده كل طريق قد يؤدي بهم إلى الغلو فيه ومجاوزة الحد كقوله للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقال بئس خطيب القوم أنت)وقد تقدم.

ومايقال في موسى ويونس عليهما السلام يقال في آدم وغيره من الأنبياء.

أما مسألة المفاضلةبين الأنبياء والملائكة فهي مسألة خلافية بين العلماء وهو خلاف لاطائل تحته ولاثمرة فيه ولكن سأنقل كلاما لابن أبي العز الحنفي مفيدا في هذه المسألة من غير تعرض للخلاف.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر وينسب إلى أهل النسة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعري على قولين:

منهم من يفضل الأنبياء والأولياء،

ومنهم من يقف ولايقطع في ذلك قولا.

وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة،

وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة.

ومن الناس من فصل تفصيلا آخر.

ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

قال: وقد كنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لايعني و(من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه)(١).

والشيخ-رحمه الله- أباجعفر الطحاوي- لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولاإثبات.

ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدا.

فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها على ماذكره في مآل الفتاوى فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبوحنيفة فيها بجواب وعد منها التفضيل بين الملائكة والأنبياء وهذا هو الحق.

فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين وليس لنا أن نعتقد أي-الفريقين أفضل فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصا وقد قال تعالى **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾**،

وقال تعالى **﴿وماكان ربك نسيا﴾**.

قال: (فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيا وإثباتا والحالة أولى.

ولايقال إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة.

لأن الأدلة هنا متكافئة على ماأشير إليه إن شاء الله وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم، وكان الملك خادما للنبيﷺ أو: إن بعض الملائكة خدام بني آدم يعنون الملائكة الموكلين بالبشر ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع المجانبة للأدب والتفضيل إن كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس لاشك في رده.

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/٢٠١ والترمذي ٢٣١٧ وابن ماجة رقم ٤٠٢٤.

وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء.

فإن تلك قد وجد فيها نص وهو قوله تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾.

وقال تعالى: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض**﴾

وحاصل الكلام أن هذه المسألة من فضول المسائل ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول.. والله أعلم(١).

وهذا التوقف هو الذي يفهم من كلام الإمام الشافعي بعد أن جزم بتفضيل نبينا محمدﷺ على سائر الخلق والله أعلم.

ومن تعظيم الإمام الشافعي للنبيﷺ كراهته لكل لفظ يظهر فيه عدم التعظيم فمن ذلك ماروواه البيهقي بسنده عن الإمام الشافعي قال:

يكره للرجل أن يقول: (قال الرسول ولكن يقول: قال رسول اللهﷺ تعظيما له)(٢).

ذلك والله أعلم لأن كلمة الرسول كلمة عامة تشمل كل رسول من الله أو من غيره...

أما إذا قيل رسول الله فهو وصف خاص برسل الله عليهم السلام ومن تعظيمه ﷺ وصفه بمرتبة الرسالة.

وقد روي البيهقي عن المزني قال: مارأيت من العلماء من يوجب للنبي ﷺ في كتبه مايوجبه الشافعي لحسن ذكره رسول اللهﷺ ورحمة الله عليه ورضي عنه)(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية٣٠١ - ٣١١ باختصار.

(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٢٥.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

وعن الآيات التي أوتيها النبيﷺ يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

(ماأعطى الله نبيا قط شيئا إلا وقد أعطى محمداﷺ أكثر).

قال عمرو: فقلت له: قد اعطى الله عيسى عليه السلام أكثر منه: أن يحيى الموتى.

قال الشافعي: (فالجذع الذي كان يخطب إلى جنبه قبل أن يجعل له المنبر حين حن إلى النبيﷺ يعني فهو أكثر من ذلك)(١).

وفي مناقب الرازي قال: (حنين الجذع أعظم منه لأن إحياء الخشبة أعظم من إحياء الميت)(٢).

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٢٦.

(٢) مناقب الرازي١٢٩.

وانظر مناقب ابن أبي حاتم ٨٢، والحلية ٩/ ١١٦.

الفصل الثاني

الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فتنة القبر

المبحث الثاني: حكم إهداء الأعمال للأموات

المبحث الثالث: البعث وما يتبعه



المبحث الأول: فتنة القبر وما فيه من النعيم والعذاب

الإيمان بالغيب من أعظم الواجبات على المسلم ومن الإيمان بالغيب الإيمان بكل ما جاء عن الله وجاء عن رسوله ﷺ في سؤال الملكين في القبر وفي ما يجري فيه للميت من نعيم وعذاب.

وأهل السنة والجماعة رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم يؤمنون بهذا كله كما دلت عليه النصوص.

قال الطحاوي في عقيدته: وبعذاب القبر ـ أي نؤمن ـ لمن كان له أهلا وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران[١].

وقال شارحها ابن أبي العز الحنفي:

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار.

والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول[٢].

وقد استدل أهل السنة على إثبات فتنة القبر ونعيمه بالقرآن والسنة فمن القرآن قوله تعالى ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[٣] فأخبر تعالى أنهم يعذبون يوم القيامة أشد من عذابهم السابق

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق ٣٩٩.

(٣) ٤٥ ـ ٤٦ غافر.

وهو في القبر قطعا لأن بعضهم مات ولم يعذب في الدنيا فدل على ثبوت عذاب القبر. وقال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا أو المراد به أعم من ذلك وهو أن من مات منهم عذب في قبره ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا والبرزخ.

ومن السنة:

حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه إنه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقول: أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة وقال رسول الله ﷺ فيراهما جميعا.

قال: فأما الكافر والمنافق فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان له: لادريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين)(٢).

وحديث البراء بن عازب المشهور وفيه.

(١) الآيات ٤٥ ـ ٤٧ سورة الطور.
(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز ١/ ٤٦٣.
ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها ٤/ ٢٢٠٠.

قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات.

قال: فتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان: ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له ما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول: يارب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

(أما الكافر)

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه) الحديث[١].

وقد ثبت أن النبي ﷺ أمرنا بالتعوذ من عذاب القبر وهذا يدل على ثبوته أعاذنا الله منه.

---

(١) رواه الإمام أحمد ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).
وأبو داود رقم ٤٧٥٣،
والنسائي مختصرا ٤/ ١٠١.
وابن ماجة مختصرا رقم ٤٢٦٩ وغيرهم وإسناده صحيح كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٤/ ٢٩٠ وابن القيم في الروح ٦٨ والقرطبي في التذكرة ١١٩، وانظر: أهوال القبور لابن رجب ٣٨ ـ ٣٩.

والأحاديث المصرحة بعذاب القبر ونعيمه لمن كان له أهلا كثيرة جدا، وقد أفرد بعض العلماء المؤلفات في ذلك.

عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله في فتنة القبر وعذابه ونعيمه

ورد عن الإمام الشافعي ما يثبت إيمانه بسؤال الملكين وبعذاب القبر ونعيمه. فقد روى البيهقي بسنده عن الإمام الشافعي قال: ..

وأن عذاب القبر حق ومساءلة أهل القبور حق[(١)].

وفي دعاء الشافعي رحمه الله في الصلاة على الجنازة دلالة على مذهبه في فتنة القبر وعذابه.

فإنه قال في كتاب الجنائز في دعائه للميت.

اللهم عبدك وابن عبدك خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوبه وأحبائه فيها إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه وكان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدك ورسولك وأنت أعلم به، اللهم نزل بك وأنت خير منزول به وأصبح فقيرا إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه ولقه برحمتك رضاك وقه فتنة القبر وعذابه وافسح له في قبره وجاف الأرض عن جنبيه ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتي تبعثه إلى جنتك يا أرحم الراحمين)[(٢)].

وقال في موضع آخر

(وقه عذاب القبر وكل هول يوم القيامة)[(٣)]

وفي رواية للبيهقي

(وقه عذاب القبر وكل هول دون القيامة)[(٤)]

فهذه النقول تدل على موافقة الشافعي رحمه الله لمذهب السلف في هذه المسألة وقد سبق بيان مذهب السلف في ذلك.

---

(١) الإعتقاد للبيهقي ٢٥٥ ـ ٢٢٦، ٢٦٢.
ومناقب الشافعي له ١/ ٤١٥ ـ ٤١٦،

(٢) الأم ١/ ٢٨٢ ومختصر المزني ٢٨، وبعض ألفاظه له شواهد من الحديث.

(٣) الأم ١/ ٢٧١.

(٤) مناقب الشافعي ١/ ٤١٦.

المبحث الثاني: حكم إهداء ثواب الأعمال للميت

اتفق أهل السنة والجماعة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب فيه الميت في حياته.

الثاني: أعمال البر الصالحة من الأحياء إذا عملت وتقرب بها إلى الله وأهدي ثوابها للمبت فإنها تصله إن شاء الله على خلاف بينهم في بعض العبادات[١].

القول الأول:

أن كل قربة فعلها الإنسان وجعل ثوابها لمسلم ميت جاز ونفعه ثوابه.

وهو قول الإمام أحمد وأبي حنيفة وجماعة من أصحاب الشافعي وغيرهم رحمهم الله[٢].

قالوا: الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه[٣].

القول الثاني:

أنه لا يصل للميت إلا ما نص الدليل على مشروعية إهدائه للميت وهي الدعاء والصدقة والحج والعمرة.

أما ما عداها فإنها لا تصل ولا يشرع عملها بنية الإهداء وهو المشهور من مذهب الإمام الشافعي والإمام مالك رحمهما الله[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٢.

(٢) المغني ٢/ ٥٦٧ والمجموع للنووي ١٥/ ٥٢١.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٠٩ ـ ٣٢٥).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٢.

المجموع للنووي ١٥/ ٥٢١.

أدلة الفريق الأول:

استدل الفريق الأول على وصول ثواب الدعاء والصدقة بقوله ﷺ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أوْ ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده)(١).

الدليل الثاني:

حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: (يارسول الله: إن أمي افتلتت نفسها ولم توصي وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها قال: (نعم)(٢)

الدليل الثالث:

حديث ابن عباس رضي الله عنها أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟

قال حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته أقضوا الله فالله أحق بالوفاء)(٣).

الدليل الرابع:

حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)(٤).

وقد استثنى الأحناف من هذه العبادات الصيام وقالوا يطعم عن الميت ولا يصوم عنه وحجتهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٣/ ١٢٥٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز ١/ ٤٦٧ ومسلم ٣/ ١٢٥٤،
ومسلم في كتاب الزكاة باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه ٢/ ٦٩٦.

(٣) صحيح البخاري في كتاب الإحصار وجزاء الصيد ٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧.

(٤) رواه البخاري في كتاب الصيام (٢/ ٦٩٠) رقم (١٨٥١) ومسلم (٢/ ٨٠٣).

(لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًا من حنطة)[١].

قالوا: وقد أجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت ولو كان من أجنبي ومن غير تركته وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال النبي ﷺ (الآن بردت جلدته)[٢].

وكل ذلك جار على قواعد الشرع وهو محض القياس فإن الثواب حق العامل فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية.

يوضحه أن الصوم كف النفس عن المفطرات بنية وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية[٣].

أدلة القول الثاني:

استدل أصحاب القول الثاني على وصول ثواب الدعاء والصدقة والحج بنفس أدلة الفريق الأول المتقدمة.

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ

ويلحق الميت من فعل غيره وعمله ثلاث

حج يؤدى عنه

ومال يتصدق به عنه أو يقضى.

---

(١) رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/ ١٤١. عن ابن عباس وإسناده صحيح. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٣.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٨) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وانظر أحكام الجنائز للألباني (١٦).

(٣) انظر: الطحاوية ٤٥٤، ٤٥٥. المغني لابن قدامة ٢/ ٥٦٧ الإنصاف ٢/ ٥٥٨.

ودعاء، فأما ما سوى ذلك من صلاة أو صيام فهو لفاعله دون الميت وإنما قلنا بهذا استدلالا بالسنة في الحج خاصة والعمرة مثله قياسا وذلك الواجب دون التطوع ولا يحج أحد عن أحد تطوعا لأنه عمل على البدن فأما المال: فإن الرجل يجب عليه فيما لله الحق من الزكاة وغيرها فيجزيه أن يؤدي غيره بأمره.

لأنه إنما أريد بالغرض فيه تأديته إلى أهله لا عمل على البدن وإذا عمل بأمري على ما فرض الله في مالي فقد أدي الفرض عني.

وأما الدعاء: فإن الله ندب العباد إليه وأمر رسوله ﷺ به فإذا أجاز أن يدعى للأخ حيا جاز أن يدعى له ميتا ولحقه إن شاء الله بركة ذلك مع أن الله واسع لأن يوفي الحي أجره ويدخل على الميت منفعته وكذلك كلما تطوع رجل عن رجل صدقة تطوع)[١] وقد فرق أصحاب هذا القول بين العبادات التي تصح فيها النيابة وهي العبادات المالية. وبين العبادات التي لا تصلح فيها النيابة وهي الأعمال البدنية فأجازوا الأعمال المالية لجواز النيابة فيها كذلك أجازوا العبادات التي ورد فيها النص ومنعوا ما سواها.

الراجح:

الراجح- والله أعلم- القول الثاني وهو قول الإمام الشافعي والإمام مالك ومن وافقهما، وهو التوقف على ما ورد به النص ومنع ما عداها.

وسبب الترجيح:

أن الأصل في العبادات التوقف حتى يدل الدليل على مشروعيتها وقد دل الدليل على مشروعية البعض فوجب ترك ما سواه.

---

(١) الأم ٤/ ١٢٠،
مناقب الشافعي ١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

الثاني: أنه لم يسمع في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه أن قرأ أحد القرآن ثم أهدى ثوابه للميت ولو كان خيرا لسبقونا إليه وهم أعلم الناس بدين الله ورسوله.

الثالث: أن القياس على ما دل عليه الدليل من العبادات يفتح الباب أمام المبتدعة ليدخلوا في دين الله ما شاءوا.

الرابع: أن المبتدعة في هذا الزمان ابتدعوا بعض الأمور الباطلة كاستئجار المقرئين لقراءة القرآن ونحو ذلك من البدع التي تعمل عند الجنائز وبعد الموت بأوقات معلومة وقفل هذا الباب يفوت الفرصة على هؤلاء وأمثالهم.

الخامس: أن الناس في هذا الزمان إلا من رحمه الله نسوا العبادات المشروعة التي ورد في جواز إهدائها للميت دليل صحيح وتمسكوا بما لم يرد به الدليل فالنهي عن هذه الأمور يعيد الناس إلى السنة الثابتة والله أعلم.

المبحث الثالث: البعث والحساب والجنة والنار

أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر به الله ورسوله به من أمور الآخرة كالبعث بعد الموت والحشر والحساب ومجيء الله يوم القيامة للفصل بين العباد، ويؤمنون بالميزان والصراط وبالجنة وما فيها وبالنار وما فيها نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

وهذا هو معنى الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان

قال الطحاوي في عقيدته:

(ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان)(١).

والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر قد بسطها العلماء في كتبهم وبينوا ما دلت عليه وردوا على من خالف وأَول بعض ما أخبر الله به.

وقد ورد عن الإمام الشافعي ما يدل على إيمانه بهذا كله على طريقة السلف حيث يقول:

(والبعث حق والحساب حق والجنة والنار وغير ذلك ما جاءت به السنن فظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين حق)(٢).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٠٤ ـ ٤٠٥.
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٥.

الفصل الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثاني: مراتب القضاء والقدر



المبحث الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان والذي لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

أصل هذه المسألة: أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان:

وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.

قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون(١).

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٤٩٩ ـ ٤٥٠.

المبحث الثاني: مراتب القضاء والقدر

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربع :-

الأولى: علم الله السابق للأشياء قبل حدوثها فهو سبحانه عالم بكل شيء من الموجدات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ومن ذلك علمه سبحانه لأفعال العباد قبل أن يفعلوها ودليل هذه المرتبة قوله تعالى﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾(١).

وقال تعالى ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ** ﴾(٢).

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى** ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ * فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾(٤).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب، كل شيء عنده في اللوح المحفوظ.
قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا * إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أحصيناه فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾(٦).

(١) الآية ١٢ من سورة الطلاق.
(٢) الآية ٣ من سورة سبأ.
(٣) الآية ٣٠ من سورة النجم.
(٤) الآية ٣٢ من سورة النجم.
(٥) الآية ٢٢ من سورة الحديد.
(٦) الآية ١٢ من سورة يس.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

المرتبة الثالثة:

الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَىٰ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾(٤).

قال تعالى﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(٥).

وأمثال هذا في القرآن كثير.

المرتبة الرابعة:

مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه.

وما من ذرة في السموات والأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

---

(١) الآيتان ٥٢ ـ ٥٣ من سورة القمر.

(٢) الآية ٦١ من سورة يونس.

(٣) الآية ٢٩ من سورة التكوير.

(٤) الآية ٣٥ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ١١٨ من سورة هود.

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل ﴾(١)،

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الخلاق العليم﴾(٢)،

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾(٣)،

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون ﴾(٤)،

ويدخل في ذلك الإيمان بأن الله خالق للعباد وأعمالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة بالعبد وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى أنه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا.

كما يخلق المسببات بأسبابها فهي من الله مخلوقات له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه.

كما إذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الأرض بمعنى أنه حادث منها ومن الله بمعنى أنه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض(٥).

وقال السفاريني رحمه الله:

والحاصل أن مذهب السلف ومحققي أهل السنة أن الله تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله وأن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله.

---

(١) الآية ٦٢ من سورة الزمر.

(٢) الآية ٨١ من سورة يس.

(٣) الآية ٢ من سورة الفرقان.

(٤) الآية ٩٦ من سورة الصافات.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٧٤).

والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا لـه قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ الإنسان (١).

وقال الشيخ حافظ حكمي ـ رحمه الله ـ:

وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم وهوتعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووصفهم به ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلاعلى ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله عز وجل ولا يفعلون إلابجعله إياهم فاعلين كما جمع تعالى بين ذلك في غير موضع من كتابه كقوله عز وجل ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٢) (٣)

هذا مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر وفي أفعال العباد(٤).

--عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله في القضاء والقدر.

عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله هي عين عقيدة السلف رحمهم الله

فقد روي عنه ما يدل على إثباته لمراتب القضاء والقدر ولخلق الله لأفعال العباد.

يقول رحمه الله

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ٣١٣ للسفاريني.
(٢) الآية ١٧٨ من سورة الأعراف.
(٣) معارج القبول ٢/ ٣٤٨.
(٤) راجع للزيادة شفاء العليل لابن القيم.
والمجلد الثامن مجموع الفتاوى، معارج القبول ٢/ ٣٢٦ شرح الطحاوية. ٢٤٨.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[١]، فأعلم خلقه أن المشيئة له دون خلقه،

وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء والمشيئة إرادة الله عز وجل)[٢] وفي تاريخ ابن عساكر عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: (لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء.

وذلك أنه رأى قوما يتجادلون في القدر بين يديه.

فقال الشافعي: في كتاب الله المشيئة له دون خلقه والمشيئة إرادة الله بقول الله تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾

فأعلم خلقه أن المشيئة له وكان يثبت القدر)[٣]

ومما يروى في ذلك من شعر الشافعي قوله

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن[٤]

فمن هذا النص تأخذ إثبات الشافعي رحمه الله لمراتب القدر.

المرتبة الأولى: العلم.

(١) الآية ٣٠ من سورة الإنسان.
(٢) الأم ١/ ٢٠٢ ومناقب البيهقي ١/ ٤١٢ والاعتقاد له ١٥٧.
(٣) تاريخ ابن عساكر ١٤/ب/ ٤٠٦خ.
(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤١٢ والاعتقاد له ١٦٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٤، طبقات الشافعية لابن كثير ١٤/أ خ تاريخ ابن عساكر ١٤/ ٤٠٧. ديوان الشافعي جمع محمد عفيف الزعبي ٨٣.

المرتبة الثانية: المشيئة.

المرتبة الثالثة: الخلق.

كما نأخذ منه إثبات مشيئة العباد الخاصة بهم.

وخلق الله تبارك وتعالى لأفعال العباد.

أما **المرتبة الرابعة**: وهي الكتابة في اللوح المحفوظ فاسمع إليه وهو ينشد:

الهم فضل والقضاء غالب   وكائن ماخط في اللوح

فانظر الروح وأسبابه   أليس ما كتب من الروح[١]

وعن خلق أفعال العباد يقول رحمه الله:

(الناس لم يخلقوا أعمالهم بل هي خلق من الله تعالى فعل للعباد)[٢]

وقال رحمه الله:

(إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين.

فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال للعباد وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل)[٣].

وفي إثبات إرادة الله الكونية يقول رحمه الله:

قدر الله واقع يقضي وروده

قد مضى فيك حكمة وانقضى ما يريده

فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده[٤]

---

(١) مناقب الشافعي للرازي ١٢٤.
(٢) نفس المصدر ١٢٥.
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٥.
(٤) المصدر السابق ١/ ٤١٨.

ومن المعلوم أن الإرادة تأتي على معنيين:

الأول: الإرادة الكونية القدرية وهي المشيئة والعامة ولا يشترط فيها محبة الله ورضاه لما يريده بل كل شيء داخل فيها حتى الكفر والعصيان وهذه الإرادة ليس لأحد خروج منها.

ودليلها قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلَمِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم﴾(١)،

ونحو ذلك من الآيات.

الثاني: الإرادة الدينية الشرعية

وهي خاصة بمراضي الله ومحابه وعلى مقتضاها أمر عباده ونهاهم وأدلتها قوله تعالى﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢)،

وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٣)

وهاتان الإرادتان تجتمعان في المؤمن الطائع وتنفرد الكونية في الفاجر العاصي.

فالله سبحانه دعا عباده عامة إلى مرضاته وهدى لإجابته من شاء منهم كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤)

---

(١) الآية ٤١ من سورة المائدة.
(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٢٦ من سورة النساء.
(٤) الآية ٢٥ من سورة يونس.

فعمم سبحانه الدعوة وخص الهداية بمن شاء﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1][2]

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله في مقدمة الرسالة (وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به.

وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه[3].

وقال في موضع آخر،

(فهدى بكتابه ثم على لسان نبيه ﷺ من أنعم عليه).

قال البيهقي: (يعني من أنعم عليه بالسعادة والتوفيق للطاعة دون من حرمها) فبين بهذا أن الدعوة عامة والهداية التي هي التوفيق للطاعة والعصمةعن المعصية خاصة كما قال الله عز وجل:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

وقال رحمه الله عن القدرية:

(القدرية الذين قال رسول الله ﷺ (هم مجوس هذه الأمة)[5] الذين

(١) الآية ٧ من سورة القلم.

(٢) انظر كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للشيخ حافظ حكمي (٦٦).

(٣) الرسالة للرمام الشافعي ٨.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٨/ ٤ ـ ٦ نحوه وإسناده منقطع قاله أحمد شاكر والحاكم في المستدرك ١/ ٨٥ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ووافقه الذهبي على ذلك وأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب القدر ٤/ ٢٢٢
وقال المنذري هذا منقطع أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شيء يثبت. مختصر سنن أبي داود ٧/ ٥٨، والآجري في الشريعة ١٩٠ وذكره السيوطي في الجامع بلفظ (القدرية مجوس هذه الأمة) الحديث، ورمز دك ورمز لصحته، انظر فيض القدير ٤/ ٥٣٤.
وذكره في موضع آخر بلفظ (لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر) الحديث ونسبه للإمام أحمد ورمز له ح وحسنه الشيخ الألباني. =

يقولون إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون[١].

وقال المزني سمعت الشافعي يقول:

(تدري من القدري؟ القدري الذي يقول إن الله عز وجل لم يخلق الشر حتى عمل به)[٢].

وقال رحمه الله في بيان أن إراده العبد ومشيئته تحت إرادة الله ومشيئته.

وقول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح دعاء منه إلى الصلاة ثم دعاء منه يعلمه فيه أن دعاه إلى الصلاة دعاء إلى الفلاح وينبغي لمن دعا إلى الفلاح بالصلاة.

وعلم أنه لا يأتي بطاعة الله في الصلاة ولا غيرها إلا بعون الله أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله لأنه لا حول له يصل إلى طاعة الله إلا بالله عز وجل)[٣].

وللإمام الشافعي رحمه الله ردود كثيرة على القدرية أفردتها في مبحث مستقل في الفصل الخاص بموقفه من الفرق.

والمتدبر في كلام الإمام الشافعي السابق يجد موافقته لمذهب السلف وبعده عن الألفاظ المبتدعة في القدر وهو المذهب الوسط بين القدرية النفاة والقدرية الجبرية.

والله أعلم

= انظر: صحيح الجامع ٥/ ٣٧، ٤/ ١٥٠).

وانظر: المشكاة بتحقيقه حديث رقم ١٠٧).

وقد بسط الشيخ أحمد شاكر الكلام عن هذا الحديث في تحقيقه للمسند ٨/ ٤ ـ ٦ فراجعه وانظر: النهج السديد بتخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد صفحة ٣٥٩.

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٣.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤١٧.

الفصل الرابع

عقيدته في الصحابة



عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله ونحب أصحاب النبي ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير.

وحبهم دين وإيمان وإحسان

وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[١].

وقال ابن بطة العكبري:

ثم الإيمان والمعرفة - أي من أصول الديانة - بأخير الخلق وأفضلهم منزلة عند الله عز وجل بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ.

أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو عتيق ابن أبي قحافة رضي الله عنه[٢].

وتعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمة الله عليه.

ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة

أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق ثم من بعده على هذا الترتيب والنعت[٣].

عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله وأبو عمر وذو النورين[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٦٧.

(٢) توفي رضي الله عنه في جمادى الأولى سنة ١٣هـ.

(٣) استشهد رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

(٤) استشهد رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

ثم على هـذا النعت والصفة من بـعدهم أبو الحسن علي بـن أبي طالب رضي الله عنـه. وهو الأنزع البطـين صهر رسول الله ﷺ وابـن عم خاتم النبيين صلوات الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين[١].

فبحبهم وبمعرفة فضلهم قام الدين ونمت السنة وعدلت الحجة.

قال سفيان الثوري رحمه الله:ـ

(لا تشتم السلف وادخل الجنة بسلام).

ويشهد للعشرة بالجنة بلا شك ولا استثناء وهم أصحاب حراء:

النبي ﷺ وأبو بـكر. وعمر، وعثمان، وعلـي، وطلحة،[٢] والزبير[٣]، وسعد[٤]، وسعيد[٥]، وعبد الرحمن بن عوف[٦]، وأبو عبيدة[٧].

فهؤلاء لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير

ويشهد لكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة وأن حمزة سيد الشهداء[٨].

وجعفر الطيار في الجنة[٩].

والحسن[١٠] والحسين[١١] سيدا شباب أهل الجنة.

---

(١) استشهد رضي الله عنه في رمضان سنة ٤٠هـ
والأنزع: الذي ينحسر شعرمقدم رأسه مما فوق الجبين
وفي صفة علي البطين الأنزع كان أنزع الشعر له بطن: النهاية٥/ ٤٢.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ ت ق ٣٨٣.

(٣) الزبير بن العوام القرشي الأسدي قتل سنة ٣٦هـ بعد منصرفه من الجمل ت ق ٢١٤.

(٤) سعد بن أبي وقاص أول من رمي بسهم في الإسلام ت ٥٥هـ ت ق ٢٣٢.

(٥) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ت ٥٠ أو بعدها بسنة أو سنين ت ق ٢٣٦.

(٦) عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ت ٣٢هـ التقريب ٣٤٨.

(٧) عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي الفهري من البدريين مات سنة ١٨ هـ ت ق ٢٨٨.

(٨) حمزة بن عبد المطلب القرشي الهاشمي عم النبي ﷺ استشهد في أحد سنة ٣هـ.

(٩) جعفر بن أبـي طالب الهاشمي ذو الجناحـين ابن عم رسول الله ﷺ استشهد في مـؤتة سنة ٨ هـ التقريب ١٤٠.

(١٠) الحسن بن علـي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريـحانته وقد صحبه وحـفظ عنه ت ٤٩هـ التقريب ١٦٢.

(١١) الحسين بن علي بن أبي طـالب سبط النبي ﷺ وريحانته حفظ عنه واستـشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ التقريب ١٦٦.

ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله.

ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلا رأى النبي ﷺ وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ولو أتى بأعمال الجنة أجمعين.

ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم وأولهم وآخرهم وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم والاقتداء بهديهم والاقتفاء لآثارهم وأن الحق في كل ما قالوه والصواب في كل ما فعلوه[(١)].

ومن عقائد أهل السنة في أصحاب النبي ﷺ السكوت عما شجر بينهم وأنهم مجتهدون فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد[(٢)].

قال السفاريني رحمه الله في الدرة المضية

واحذر من الخوض الذي قد يزري

بفضلهم مما جرى لو تدري

فإنه عن اجتهاد قد صدر

فاسلم أذل الله من لهم هجر

ثم قال بعد أن ذكر بعض ما جرى بينهم رضي الله عنهم.

وبالجملة فكلهم معذورون ومأجورون لا مأزورون.

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ٢٥٧ ـ ٢٦٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤٨٤).

(٣) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٣٥/ ٥١.

ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم.

ولهذا قال علماؤنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة واقراءً وسماعا وتسميعا ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم انما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفراً ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ.

ثم قال - يعني ابن حمدان - والمصيب علي ومن قالته فخطؤه معفوعنه.

قال السفاريني: وإنما نهي عن الخوض في النظم لأن الإمام أحمد كان ينكر على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ رضي الله عنه ممن ضللهم أو كفرهم وقال السكوت عما جرى بينهم[1].

قال: السفاريني

والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم.

فقد أثنى الله عليهم في عدة آيات من كتابه العزيز على أنه لو لم يرد عن الله ولاعن رسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليهامن الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين والقطع بتعديلهم والإعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم.

---

(١) انظر: السنة لعبد الله جـ ٢/ ٥٣٦ - ٥٩٢ وللإمام أحمد كتاب مطبوع في فضائل الصحابة بتحقيق (وصي الله بن محمد عباس).

هذا مذهب كافة الأمة ومن عليه المعول من الأئمة وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع ممن ضل وأضل فلاالتفات إليهم ولا معول عليهم.

ولهذا قال أبو زرعة العراقي من أجل شيوخ مسلم:

(إذارأيت الرجل يتنقص أحداًمن أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق... والحاصل أنه لا يهجر الصحابة ويعاديهم إلاعدو لله مبعود من رحمة الله خبيث زنديق. والله ولي التوفيق[١].

وأختم هذا النقل عن سلف الأمة في أصحاب النبي ﷺ يقول الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد سئل عما جرى بين الصحابة رضي الله عنه فقال (هذه دماء طهر الله منها أيدينا فلنكف عنها ألسنتنا)[٢] وفي هذا القول أدب عظيم وتعظيم عظيم لهم وسلامة لمن سلكه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

عقيدة الإمام الشافعي في أصحاب النبي ﷺ

قال الشافعي رحمه الله:

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل[٣] وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما

(١) لوامع الأنوار البهية جـ ٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٩ بتصرف.

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ٣١٤.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾الفتح.

ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنَّاهم بما آتاهم من ذلك أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به.

وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا ومن أدركنا ممن نرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا وما صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم أن اجتمعوا وقول بعضهم أن تفرقوا فهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم وإن قال واحد منهم ولا يخالفه أحد غيره أخذنا بقوله[(١)].

وفي هذا النص تعظيم عظيم للصحابة ومعرفته لحقهم ولعلو منزلتهم في الإسلام وهو ما يعتقده كل أهل السنة والجماعة.

وقال ـ رحمه الله ـ

ما أرى أن الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع عملهم).

وفي رواية الربيع بمعناه وقال: (إلا ليجزي الله عز وجل لهم الحسنات وهم أموات)[(٢)].

ولا شك أن هذا حاصل لهم بإذن الله لأن الله توعد من اغتاب المسلمين أو سبهم بالأخذ من حسناته إلى من سبهم كما في حديث المفلس وفيه (إن ـ رسول الله ﷺ سأل أصحابه عن المفلس فقالوا: المفلس فينا من لا دينار له ولا درهم فقال ﷺ المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام كأمثال الجبال ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ مناقب الرازي ١٣٦.
(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٤١.
مناقب الرازي ٤٩. تاريخ دمشق ١٤/ ٤٠٧ب.

حسنـاته وهذا من حسنـاته ثم يلقى فـي النار)[١] فإذاكان هـذا ثابتًا لـعامة المسلمين فثبوته لصفوتهم وخيرهم وأفضلهم من باب أولى.

وقال رحمه الله في فضل الخلفاء الراشدين ودرجتهم بين الصحابة أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم)[٢].

وقال رحمه الله:ـ

(التفضيل يبدأ بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي)[٣]

وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول في التفضيل

(أبو بكر وعمر وعثمان وعلي)[٤].

ومما يروى عنه في ذلك من الشعر قوله

شهدت بأن الله لا شيء غيره
وأشهد أن البعث حق وأخلص

وأن عرى الإيمان قول محسن
وفعل زكي قد يزيد وينقص

وأن أبا بكر خليفة أحمد
وكان أبو حفص على الخير يحرص

وأشهد ربي أن عثمان فاضل
وأن علياً فضله متخصص

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب البر ٤/ ١٩٩٧.
(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٣٣.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤٣٢.
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

أئـمـة قـوم يـقـتـدي بـهـداهـم
لحـي الله مـن إيـاهـم يـتـنـقـص
فـمـا لـغـواة يـشـتـمـون سـفـاهـة
ومـا لسـفـيه لا يـجـاب فـيحـرص(١)

وقد استدل رحمه الله تعالى على فضل أبي بكر رضي الله عنه وصحة خلافته بأمور منها بعض الإشارات عن النبي ﷺ التي تشير إلى خلافته من بعده بدون تصريح فقد روى رحمه الله بسنده عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

أن امرأة أتت النبي ﷺ فسألته عن شيء فأمرها أن ترجع فقالت: يارسول الله إن رجعت فلم أجدك؟ كأنها تعني الموت قال (فأتي أبا بكر)(٢)وبسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)(٣).

وقال رحمه الله (ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في

---

(١) مناقب البيهقي ١/ ٤٤١.
مناقب الرازي ٤٨. تاريخ دمشق ١٤/ ٤٠٦ / ب
(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٣٦ والحديث أخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة ٤/ ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧.
(٣) مناقب البيهقي ١/ ٤٣٧ والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٨٥ وفيه (وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه).
ورواه الترمذي ٥/ ٢٧١ في مناقب أبي بكر رضي الله عنه وقال هذا حديث حسن ورواه أبو داود والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٥ وصححه ووافقه الذهبي وذكره الألباني في صحيح الجامع ١١٥٣ ورمز لصحته.

علي وعثمـان: منهم من قدم عليا علـى عثمان ومنهم من قدم عـثمان على علي.

قال: ونحن لا نخطيء أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوه[١].

وقد تقدم قول الشافعي رحمه ومذهبه تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يرد عن أحد من السلف خلاف في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أما المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد ذهب الجمهور من السلف إلى تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما وذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديم علي على عثمان رضي الله عنـهما وينسب هذا القول إلى سفيان الثوري رحمه الله وقد سئل ما قولك في التفضيل فقال: أهل السنة من أهل الكوفة يقولون أبو بكر وعمر وعلي وعثمان.

وأهل السنة من أهل البصرة يقولون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قلت ـ أي السائل ـ فما تقول أنت؟

قال: أنا رجل كوفي[٢]

قال شيخ الإسلام: وقد رجع عن ذلك سفيان وغيره[٣]

وقال المنذري : وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوله (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم)[٤].

---

(١) مناقب البيهقي ١/ ٤٣٤.

(٢) مختصر سنن أبي داود للمنذري ٧/ ١٥٨.

(٣) مجموع الفتاوي ٤/ ٤٢٦.

(٤) مختصر سنن أبي داود ٧/ ١٨.

وبعض أهـل المدينة توقـف في عثمان وعـلي وهي إحدى الروايـتين عن مالك.

ويستدل على صحة خلافة الصديق رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

فيقول (اضطـر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فـلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس)(١)

وهذا إقرار منـه رحمة الله على أن أفضل الـناس بعد النبـي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه.

وقال ـ رحمه الله ـ:

(أجمع الناس على خلافة أبي بكر واستخلف أبو بكر عمر ثم جعل عمر الشورى إلـى ستة على أن يـولوها واحدًا منهـم فولوها عثـمان رضي الله عنهم أجمعين)(٢)

ويقول ـ رحمه الله ـ

(كان أبو بكر خليفة النبي ﷺ والعامل بعده)(٣)

وقال رحمه الله

(خلافة أبي بكر حق قضاه الله من فوق سبع سماواته)(٤)

وقد تـعجب بعـض الناس في زمـنه من تفـضيله لأبـي بكر وعمـر لأنه هاشمي وقد ظنوا أن الدين على التعصب للآباء والأجداد فقد سأله إبراهيم بن عبيد الحجي فقال: ما رأيت هاشميا قط قدم أبا بكرعلى علي غيرك.

(١) المناقب للبيهقي ١/ ٤٣٤.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ وانظر: منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٨٦.
(٣) المصدرالسابق نفس الجزء والصفحة.
(٤) سبق تخريجه.

قال: فقال الشافعي: علي ابن عمي وابن خالتي وأنا رجل من بني عبد مناف وأنت رجل من بني عبد الدار ولو كانت هذه مكرمة كنت أولى بها منك ولكن ليس الأمرعلى ما تحسب)(١) أي ليس الأمر على ما تحسب من التعصب ولكنه دين وعقيدة مبنية على النصوص الشرعية(*).

لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وأصحابه وغير هؤلاء من أئمة الإسلام.

وقد قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدار قطني (من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار) وذلك لأن بيعة عثمان رضي الله عنه حدثت بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه بالإجماع كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم(٢).

وبهذا يتبين لنا حسن اعتقاد الشافعي ـ رحمه الله ـ وحرصه على التمسك بالنصوص وبما عليه سلف الأمة وبعده عن كل تعصب إلى غير الحق.

وليس معنى هذا أنه يتنقص علياً رضي الله عنه بل إنه ينزله المنزلة اللائقة به رضي الله عنه.

فقد ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال رجل من القوم ما نفر الناس من علي بن أبي طالب إلا أنه كان لا يبالي بأحد.

فقال الشافعي مهلاً: لأنه كان فيه أربع خصال لا تكون خصلة واحدة منها في أحد إلا حق له أن لا يبالي بأحد.

---

(١) المناقب للبيهقي ١/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

(*) أما قوله ما رأيت هاشميا يفضل أبا بكر وعمرعلى علي فهو كلام باطل فقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير الناس بعدرسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر: فقال له ابنه محمد بن الحنفية: ثم أنت يا أبت فكان يقول: ما أبوك إلارجل من المسلمين). أخرجه البخاري (١٣٤٢/٣) رقم (٣٤٦٨).

إن علي بن أبي طالب كان زاهدا(١).

والزاهد لا يبالي بالدنيا ولا بأهلها.

وكان عالما والعالم لا يبالي بأحد.

وكان شجاعا والشجاع لا يبالي بأحد.

وكان شريفا والشريف لا يبالي بأحد(٢).

وقد عد الإمام الشافعي الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز خليفة خامسا للخلفاء الراشدين فقال رحمه الله:

(الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم)(٣).

وقد روى نحو هذا عن سفيان الثوري رحمه الله قال:

(من زعم أن عليا رضي الله عنه كان أحق بالولاية منهما: فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع له عمل إلى السماء)

وقال: (الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم)(٤).

وفي هذا رد أيضا على من نسب الإمام الشافعي إلى التشيع وهو رحمه الله بريء من هذه التهمة الباطلة وسيأتي إن شاء الرد المفصل على هذه الفرية.

ومن اعتقاده رحمه الله في أصحاب رسول الله ﷺ سكوته عن كل ما شجر بينهم رضي الله عنهم.

---

(١) المناقب للبيهقي ١/٤٣٩ ـ ٤٤٠.
(٢) المناقب للبيهقي ١/٤٣٩.
(٣) المصدر السابق ١/٤٤٨.
تاريخ ابن عساكر ١٤/٤٠٧/ب
(٤) مختصر سنن أبي داود للمنذري ٧/١٩.

وروى رحمه بسنده أن عمر بن عبد العزيز سئل عن قتلى صفين،

فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب لساني بها.

قال الشافعي رحمه الله معلقا على هذا القول العظيم: (هذا حسن جميل لأن سكوت الإنسان عما لايعنيه هو الصواب)(١).

وكان رحمه الله يقول للربيع: (اقبل مني ثلاثة أشياء لا تَخُضْ في أصحاب النبي ﷺ فإن خصمك النبي ﷺ يوم القيامة.

ولا تشتغل بالكلام فإني اطلعت من أهل الكلام على أمر عظيم ولا تشتغل بالنجوم فإنه يجر إلى التعطيل)(٢).

وهذا هو المذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وهم بذلك وسط بين الخوارج والرافضة.

---

(١) انظر: مناقب ابن أبي حاتم ٣١٤.
(٢) توالي التأسيس ٧٣.
سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨.



الباب الخامس

(تبرئة الإمام مما نسب إليه من مخالفة منهج السلف وموقفه من الفرق)

وفيه فصلان:

الفصل الأول: رسالة الفقه الأكبر المنسوبة للإمام الشافعي

الفصل الثاني: موقفه من الفرق



الفصل الأول

رسالة الفقه الأكبر المنسوبة للإمام الشافعي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عرض لمحتويات الرسالة.

المبحث الثاني: الحكم على ماجاء فيها.



المبحث الأول: عرض لمحتويات الرسالة

سبق في أول هذا البحث ذكر مؤلفات الإمام الشافعي رحمه الله على وجه الإجمال.

وفي هذا الفصل سأفصل الحديث عن رسالة مطبوعة منسوبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله وهي من رسائل العقيدة وفي مايلي عرض موجز لبعض محتويات هذه الرسالة واسم هذه الرسالة (الفقه الأكبر) وقد طبعت عدة طبعات أولاها عام ١٩٠٠م في مصر وقد طبعت طبعة أخرى مع الفقه الأكبر لأبي حنيفة وهي الطبعة الموجودة الآن بين أيدينا وقد طبعتها مكتبة محمد علي صبيح بالقاهرة.

وهذه الرسالة تشتمل على ثلاث غشرة ورقة من القطع الصغير وقد قسم الرسالة إلى مقدمة وثلاثة وستين فصلا.

ومما جاء في مقدمتها:

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم قال السيد الإمام أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل في أصول الدين التي لابد للمكلف من الوقوف عليها وسميناه الفقه الأكبر وأعرضنا عن بسطه قصدا للتقريب للمبتديء وبالله التوفيق.

ثم قال: اعلموا أسعدكم الله أن كل مكلف مأمور بمعرفة الله ومعنى المعرفة أن يعلم المعلوم على ما هو بحيث لا يخفى عليه شيء من صفات المعلوم وبالظن والتقليد لايحصل العلم والمعرفة.

ثم ذكر عدة فصول في تعريف العلم وبيان من هو المكلف وشروط التكليف ثم قال.

فصل(١)

واعلموا أن أول واجب على المكلف النظر والإستدلال إلى معرفة الله ومعنى النظر هو فكر القلب والتأمل في حال المنظور فيه طلبا لمعرفته وبه يتوصل إلى معرفة ما غاب عن الحس والضرورة وهو واجب في أصول الدين ثم ذكر أدلته على ذلك.

فصل(٢)

واعلموا أن خالق العالم قديم أزلي ومعناه لاأول لوجوده والدليل عليه أنه لو كان الخالق محدثا لافتقر إلى محدث آخر أحدثه وأوجده وهكذا..

فصل(٣)

واعلموا أن خالق العالم واحد لاشريك له فرد لاثاني له ومعنى الواحدانية في صفات الله تعالى أنه يستحيل عليه التجزئة والتبعيض..

فصل(٤)

واعلموا أن خالق العالم لايشبه شيئا من المخلوقات والدليل عليه أن التشبيه يوجب الاستغراق في جميع الصفات والأحكام..

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١).

ثم ذكر فصلا في عدم وصف الله بالحد ثم قال:

فصل(٥)

واعلموا أن الله تعالى ليس بجوهر ولابجسم ولاعرض ثم ذكر فصلا في استحالة الصور والتراكيب على الله ثم قال:

---

(١) سورة الشورى آية: ١١.

فصل (٦)

واعلموا أن الله لايجوز عليه اللون والكون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة ونحو ذلك لأن هذه صفات الحوادث وعلامات الصنع.

فصل (٧)

واعلموا أن الباري لامكان له والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولامكان فخلق المكان وهو بصفته الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لايجوز عليه التغير في ذاته والتبديل في صفاته وكل له مكان وله تحت متناهي الذات محدود والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك ولهذا المعنى استحال عليه الزوجة والولد لأن ذلك لايتم إلا بالمباشرة والاتصال والانفصال فكذلك الزوجة والولد في صفته تعالى محال.

فان قيل قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(١).

يقال له إن هذه الآية من المتشابه التي يحار في الجواب عنها وعن أمثالها والواجب لمن لايزيد التبحر في العلم أن يمرها كما جاءت ولايبحث عنها ولايتكلم فيها لأنه لا يأمن الوقوع في الشبه والورطة إذا لم يكن راسخا في العلم ويجب أن يعتقد في صفة الباري ماذكرناه وأنه لايحويه مكان ولايجري عليه زمان وأنه منزه عن الحدود والنهايات مستغن عن المكان والجهات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢) ويتخلص عن المهالك ولهذا زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال: الاستواء مذكور وكيفيته مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال فإن عدت إلى مسألتك أمرت بضرب رقبتك. أعاذنا الله وإياكم من التشبيه.

---

(١) سورة طه آية: ٥.

(٢) سورة الشورى آية: ١١.

فصل (٨)

واعلموا أن الباري حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام باق ببقاء وهذه صفات أزلية موجودة بذاته يعني ليست بعرض حادثة ولامحدثة لم يزل ولايزال بهذه الصفات ولايشبه ذاته ذات المخلوقين.

ثم ذكر فصلا في الرد على من قال تعدد الصفات يستلزم تعدد الذات وفصلا آخر في معاني الصفات التي أثبتها.

فصل (٩)

واعلموا أن كلام الباري سبحانه قديم أزلي موجود بذاته ليس بمخلوق ولامحدث ومن قال إنه مخلوق فهو كافر لامحالة وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا متلو في محاريبنا مسموع بأسماعنا ليس بكتابة ولاحفظ ولا قراءة ولاتلاوة ولاسمع لأن ذلك محدث عن عدم وكلام الله قديم كما أن الباري سبحانه مكتوب في كتبنا معلوم في قلوبنا مذكور بألسنتنا وليس ذات الباري سبحانه كتابه ولاذكر. ثم ذكر الأدلة على أن كلام الله قديم.

ثم ذكر فصلا في إثبات رؤية الله يوم القيامة.

ثم ذكر فصلين في إثبات المشيئة والإرادة.

فصل (١٠)

واعلموا أن الله خالق أكساب العباد ومحدثها من العدم إلى الوجود وجعلها كسبا لهم بأن خلق لهم قدرة معها، والعبد مكتسب غير خالق والباري تعالى خالق غير مكتسب ومعنى الخلق هو الإحداث من العدم إلى الوجود.

ومعنى الكسب ما تعلقت به قدرة حادثة.

ثم تحدث في عدة فصول عن أفعال العباد والإستطاعة وعن قدرة الله سبحانه وأنه فعال لما يريد وأنه لايجب عليه فعل شيء.

فصل(١١)

واعلموا أن الباري سبحانه الخالق لالدفع مضرة ولالجلب منفعة ولالسبب وعلة بل علم ما في الأزل أنه تعالى يخلقهم وأراد خلقهم فخلقهم كما علم فأي حكمة أبلغ من إيجاد المعلوم والمراد والدليل عليه أنه تعالى لوخلق الخلق لعلة لكانت العلة لاتخلو إما أن تكون قديمة أو محدثة فإن كانت قديمة وجب قدم الخلق لقدم العلة والخلق حادث وإن كانت محدثة وجب تعلقها بعلة أخرى والكلام في تلك العلة كالكلام في هذه فيؤدي ذلك إلى ما لايتناهى وذلك محال وإن استغنت هذه العلة مع كونها محدثة عن العلة فيجب استغناء جميع الحوادث عن العلة فبان بذلك بطلان العلة قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(١).

فصل(١٢)

واعلموا أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق بعد إفنائه وقالت الكرامية يعيد مثله وأما عينه فلا.

ثم تحدث عن استحالة الظلم والجور عن الله عزوجل.

ثم ذكر فصلين عن تصرف الله في ملكه كيف يشاء لااعتراض لأحد عليه وعن آجال الناس وسائر الحيوانات.

فصل(١٣)

واعلموا أن معنى الرزق عند بعض أصحابنا ماجعله الله قواماً لأبدان

(١) سورة البروج آية: ١٦.

الناس وسائر الحيوانات مما يتغذى ويكون سببا لحياتهم ومن أصحابنا من قال الرزق مايمكن الانتفاع به وكل ما ينفع الإنسان فهو رزقه من غذاء وغيره فهذا المعنى أعم من الأول ولايفترق الحال بين أن يكون من حال أو حرام ولا يأكل أحد ولاينتفع بشيء إلا بما رزقه الله وقالت المعتزلة الرزق هو الملك والحرام ليس برزق وهذا خطأ عليهم.

فصل في النبوات(١٤)

واعلموا أن الله يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم لأنه تعالى ملك الأعيان وخالقها ومخترعها ثم له تعالى أن يعرفهم الأمر والنهي على لسان رسوله من جنسهم على صورتهم فإذا بعث الله رسولا منهم يجب أن يكون الرسول مؤيداً بالمعجزة الظاهرة والعلامة الباهرة يدل على صدقه لأنه لايتميز المرسل من المرسل إليه إلا بها لتساويهما في الصورة والتركيب في الجسم.

ثم تحدث في أربعة فصول عن المعجزة وقال في الرابع منها واعلموا أن المعجزة دلالة الصادق فمحال ظهورها من الفاجر الجاهل لأن في ذلك قلب الحقائق.

ثم ذكر في عدة فصول بقية المعتقد في الأنبياء وختم ذلك بذكر عقيدته في نبينا محمد ﷺ وأنه خاتم الرسل وأفضلهم.

فصل في الإيمان (١٥)

واعلموا أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ثم الإيمان أصل وفرع.

وأصله ما إذا تركه العبد كفر كالمعرفة والتصديق واعتقاد ما يجب اعتقاده من أحكام المكلفين كما بيناه، وفرعه إذا ما تركه العبد لم يكفر ولكن يعصي في ترك البعض كالصلوات المفروضات.

والإيمان شامل لجميع ذلك لقوله عزوجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم نحو بيت المقدس.

فصل (١٦)

واعلموا أن قول أهل السنة والجماعة إنا مؤمنون إن شاء الله تعالى ليس فيه شك في الإيمان الحاصل الحاضر لهم.

وإنما الشك في الإيمان المثاب عليه فذلك منوط بالعاقبة بالاتفاق والعاقبة مغيبة علينا فالشك واقع في المغيب لافي الحاصل الموجود.

ثم ذكر فصلين عن أهل الكبائر وأنهم تحت المشيئة ثم تحدث عن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وعمن حقق الإيمان وأنه يدخل الجنة بلاحساب ولاعذاب.

ثم تحدث في خمسة فصول عن أمور الآخرة وعن عذاب القبر وذلك بذكر الأدلة على ثبوته من الكتاب والسنة وعن خلق الجنة والنار وعن أبديتهما وأنهما لاتفنيان وعن الصراط والميزان والحوض وذكر الأدلة على ذلك ثم قال: وأصل الباب في أمثلة ذلك أن ما لايستحيل وجوده من طريق العقل وقد وردت الأخبار به وجب قبوله والإيمان به والأخبار واردة وهكذا حكم سائر ما وردت به الأخبار من أهوال القيامة وصفة الجنة والنار فالإيمان بجميع ذلك واجب.

ثم ذكر فصلا في حجية الإجماع والدليل عليه من الكتاب والسنة وفصلا آخر.. وجوب السؤال عما أشكل على الإنسان من أمر دينه قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

ثم تحدث في أربعة فصول عن الخلفاء الراشدين وأنهم الأئمة المهديون

(١) سورة الأنبياء آية: ٧.

وأحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ وذكر الأدلة على صحة خلافتهم ثم تكلم في فصلين عن بعض شروط الإمامة العامة ثم تكلم عن حكم تعدد الأئمة فقال: واعلموا أن الإمام في عصر واحد لايجوز أكثر من واحد.

وقال بعضهم يجوز تخصيص كل إقليم من بلاد الإسلام بإمام وإليه ذهب بعض أصحابنا والأول أصح ثم ذكر الأدلة على ذلك.

فصل (١٧)

وختم هذه الرسالة بفصل عن أصحاب النبي ﷺ فقال:

واعلموا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أتقياء أبراراً عدولاً قد فضلوا بصحبة الرسول ومشاهدة الوحي والتنزيل قال ﷺ (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

ولايجوز الطعن فيهم ولافي واحد منهم ولايقال فيهم إلا خيرا.

ونسكت عما شجر بينهم لما قال ﷺ (إياكم وما شجر بينهم فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولانصيفه) ومن قال في واحد منهم سوءًا بجهالة أو خلاف ما يجب فيكون في لعنة الله ورسوله ﷺ لأنه قال: (من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين) أ هـ.[1].

هذا عرض موجز لمحتويات هذه الرسالة المنسوبة للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ لخصتها في سبعة عشر فصلا وذكرت باقيها على وجه الإجمال بين الفصول.

---

(١) سيأتي الحكم على هذه الأحاديث.

المبحث الثاني: الحكم على ماجاء فيها

أمَّا عن صحة نسبة الكتاب إلى الإمام الشافعي فالمتدبر في هذه الرسالة يجزم بعدم صحة هذه النسبة وأن هذه الرسالة لم يكتبها الشافعي ولم يطلع عليها بل ولم تكتب في زمانه بل بعده بسنين وإليك الأدلة على ذلك.

الأول: على وجه الإجمال:

أن عموم ماجاء في هذه الرسالة يشبه إلى وجه كبير ما كتبه علماء الكلام في عقائدهم كالأشاعرة ونحوهم حتى إنها موافقة لبعض عبارات بعضهم وليس فيها من عبارات أهل الحديث والشافعي ـ رحمه الله ـ واحد منهم إلا الشيء القليل ويلاحظ كذلك على كاتبها عدم علمه بالحديث حيث ذكر بعض الأحاديث الضعيفة جدا والشافعي رحمه الله من علماء الحديث ومن العالمين بصحيح الحديث وضعيفه ولايمكن أن يذكر هذه الأحاديث الضعيفة في هذه الأبواب المهمة مع وجود غيرها وهو صحيح، كذلك ترتيب هذه الرسالة موافق لترتيب كتب الكلام المؤلفة بعد عصر الإمام الشافعي مما يدل على أن صاحبها متأثر بعلماء الكلام أو هو واحد منهم أخذ بعض ما أثر عن الإمام الشافعي في العقيدة وخلطه بشيء من علم الكلام، والشافعي رحمه الله بريء منه.

أما الرد المفصل فهو من عدة وجوه:

الأول: أن جميع من كتب عن الإمام الشافعي كابن أبي حاتم والبيهقي والرازي وابن حجر وغيرهم وأصحاب الفهارس كتاريخ التراث العربي والأدب العربي وغيرهما لم يذكروا هذه الرسالة ضمن مؤلفات الإمام الشافعي رحمه الله مع حرصهم الواضح على تتبع ما كتبه حتى إنهم عدوا بعض الكتب وهي في عداد المفقود ولو سمعوا بهذه الرسالة لفرحوا بها وخاصة الرازي، فماجاء في هذه الرسالة موافق لكثير من عقيدته الأشعرية

ولايمكن أن يسمع بها ويغفل ذكرها بل هي أعظم دليل عنده على بعد الشافعي عن التشبيه والحشو الذي ينسبه الرازي ـ لأهل السنة والجماعة وهم منه براء وهذا أعظم دليل على عدم صحة هذه النسبة إليه.

الوجه الثاني

أن صاحب الرسالة يستخدم ألفاظا وعبارات لايعرفها السلف ولم يسمعوا بها ولم يكتبوها في كتبهم والشافعي رحمه الله واحد منهم فالمتدبر لكلامه يجده خاليا من هذه العبارات وهذه الطرق في الإستدلال كلفظ الجوهر والعرض ودليل الممكن والواجب ونحوها من عبارات المتكلمين التي نجزم بعد تتبعنا لكلام الإمام الشافعي رحمه الله أنه لم يتلفظ بها وهو من الحريصين على اتباع منهج السلف فكيف يتركهم في هذا الأمر المهم. انظر قوله عن معرفة الله في المقدمة تجده مطابقا لكلام أهل الكلام.

وانظر كلامه في الفصل (رقم١) عن أول واجب على المكلف نجده من مذهب أهل الكلام.

قال صاحب جوهرة التوحيد

فكل من كلف شرعا وجبا عليه أن يعرف ما قد وجبا
لله والجائز والممتنعا ومثل ذا لرسله فاستمعا
إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

* * *

واجزم بأن أول مايجب معرفة وفيه خلف منتصب[1]

وهذا أمر مشهور في كتبهم وليس هو مذهب أهل السنة والجماعة والشافعي رحمه الله واحد منهم بل من أعظم أئمتهم بل مذهبهم أن أول مايجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) جوهرة التوحيد ٨.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عزوجل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢).

وقال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)(٣).

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك.

ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا باتفاق المسلمين ووجوبه يسبق وجوب الصلاة.

لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك(٤).

---

(١) سورة النحل آية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٢٥.

(٣) الحديث متفق عليه فقد رواه البخاري في كتاب الزكاة ٢/ ٥٠٧ ومسلم جـ١/ ٥١ ـ ٥٣ وقال السيوطي هذا حديث متواتر فيض القدير ٢/ ١٨٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٧٧ ـ ٧٨.

وقال القرطبي: لو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقا بالذم.

إحداهما: قول بعضهم إن أول واجب الشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر وإليه أشار الإمام بقوله ركبت البحر(١)(٢).

ثانيهما: قول جماعة منهم إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والأبحاث التي حرورها لم يصح إيمانه.

حتى لقد أورد على بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك. فقال لاتشنع علي بكثرة أهل النار.

قال: وقد رد بعض من لم يقل بهما على من قال بهما بطريق الرد النظري وهو خطأ منه فإن القائل بالمسألتين كافر شرعا لجعله الشك في الله واجبا ومعظم المسلمين كفارا حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة.

وقال القرطبي أيضا في شرحه لحديث معاذ لما بعثه النبي ﷺ إلي نحو أهل(٣) اليمن وعلى هذا فلايكون في حديث معاذ حجة لمن تمسك به من المتكلمين على أن أول واجب على كل المكلف معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان.

بل هو حجة لمن يقول إن أول الواجبات التلفظ بكلمتي الشهادة مصدقا بهما.

وقد اختلف المتكلمون في أول الواجبات على أقوال كثيرة منها ما شيع ذكره.

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٥٠.

(٢) يقصد قول إمام الحرمين ركبت البحر وخضت بما نهيت عنه والآن إن لم يتداركني ربي فالويل لي.

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/ ٣٤٧ فتح الباري ومسلم جـ١/ ٥٠.

ومنها ما ظهر ضعفه.

والذي عليه أئمة الفتوى وبهم نقتدي كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة السلف أن أول الواجبات على المكلف الإيمان التصديقي الجزمي الذي لاريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وماجاءت به الرسل على ما تقرر في حديث جبريل[١].

وبهذا التفصيل يجزم بخطأ هذا المذهب وهو من الأدلة على موافقة الشافعي رحمه الله لمذهب السلف في أول ما يجب على المكلف وأن ما نسب إليه فى هذه الرسالة من موافقة أهل الكلام غير صحيح[٢]. وتدبر قوله في الفصل رقم (٢) إن خالق العالم قديم أزلي والدليل عليه أنه لو كان الخالق محدثًا لافتقر إلى محدث آخر أحدثه وأوجده فهو يدل على عدم صحة نسبة الكتاب إلى الشافعي فإن هذا الدليل هو دليل المتكلمين.

قال الباقلاني: ولايجوز أن يكون فاعل المحدثات محدثا بل يجب أن يكون قديما والدليل على ذلك أنه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث لأن غيره من الحوادث إنما احتاج إلى محدث من حيث كونه محدثا..)[٣].

أما أهل السنة والجماعة فإنهم لم يتكلموا بمسألة العرض والجوهر ولم يحتاجوا إلى إقامة الأدلة على وجود الله واكتفوا بوجود ذلك في الفطر وقد تقدم ذلك في الكلام على وجود الله.

الوجه الثالث:

ذكر في الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس كلامًا عن ذات الله يوافق تماماً كلام أهل الكلام وهو بعيد كل البعد عن كلام الشافعي رحمه

(١) المفهم جـ١/ ٥٥/ ب مخطوط.
(٢) وانظر للزيادة في المسألة فتح الباري ١٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٥.
(٣) تمهيد الأوائل (٤٥).

الله وقد سبق ذكر ماروي عنه في باب العقيدة ولم نجد كلمة واحدة فيما صح عنه من هذا الكلام مما يدل على خطأ نسبة الكتاب إلى الشافعي رحمه الله.

الوجه الرابع:

توقفه في الفصل السابع عن وصف الله بالاستواء وزعمه أن قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] من المتشابه وقد سبق قول الشافعي رحمه الله في إثبات صفة الاستواء لله عزوجل.

الوجه الخامس:

تحدث في الفصل الثامن عن الصفات الواجبة لله وذكر تسع صفات وهي عين الصفات التي يثبتها الأشاعرة ومن سلك سبيلهم أما الشافعي فالثابت عنه رحمه الله إثبات جميع ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسول ﷺ وقد سبق كلامه في هذا.

الوجه السادس:

ذكر مذهبه في صفة كلام الله عزوجل وهو يشبه إلى حد كبير مذهب أهل الكلام من الأشاعرة ونحوهم وليس هو مذهب أهل السنة والجماعة وقد سبق تفصيل مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله عزوجل.

الوجه السابع:

تحدث عن خلق أفعال العباد وسماها كسبا وهذه التسمية اشتهر بها الأشاعرة أما أهل السنة والجماعة فيسمونها كما سماها الله عزوجل أفعالا أما القول بالكسب فهو مذهب الأشاعرة وليس هو مذهب السلف وقد بينت مذهب الشافعي في أفعال العباد في الكلام على عقيدته في القضاء والقدر.

---

(١) سورة طه آية: ٥.

الوجه الثامن:

أنكر أن يكون خلق الله تبارك وتعالى الخلق لحكمة وهو خلاف واضح لما دل عليه الكتاب والسنة من أن الله خلق الخلق لحكمة عظيمة وهي عبادته سبحانه وحده لاشريك له قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(*).

وقد ثبت عن الشافعي رحمه الله القول بهذا وأن الله خلق الخلق ليعبدوه وقد مر وهو مخالف لما ذهب إليه كاتب هذه الرسالة[١].

الوجه التاسع:

ذكر فرقة الكرامية بالاسم وفرقة الكرامية ظهرت بعد الإمام الشافعي رحمه الله مما يدل على أن كاتب الرسالة بعد الإمام الشافعي.

والكرامية فرقة معروفة منسوبة إلى محمد بن كرام السجستاني المتكلم، قال عنه ابن حجر ساقط الحديث على بدعته وذكر بعض أقواله في العقيدة وكانت وفاته سنة ٢٥٥هـ أي بعد الشافعي رحمه الله بإحدى وخمسين سنة[٢] وهذا من أعظم الأدلة على تأخر كاتب الرسالة عن زمن الإمام الشافعي.

الوجه العاشر:

تكرر في الرسالة قوله قال بعض أصحابنا وقوله ومن أصحابنا ونحوها وهذا دليل على أن الكاتب من متأخري الشافعية فهذه عباراتهم كما هو بَيِنٌ في كتبهم.

---

(١) راجع للزيادة كتاب الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى للدكتور محمد بن ربيع هادي. وانظر قول الشافعي في ذلك صفحة (٢٠٤).

(٢) اللسان ٥/ ٣٥٣ العبر ١/ ٣٦٦.

(*) سورة الذاريات آية: ٥٦.

الوجه الحادي عشر:

تحدث في الفصل الرابع عشر عن النبوات على طريقة أهل الكلام وزعم أن الدليل على صدق نبوتهم المعجزات وأنها واجبة على الله لأنه لايتميز الصادق من الكاذب إلا بها وأشار في نهاية هذا الفصل والذي بعده عن عدم ظهورها على أيدي الكاذبين وكأنه يوافق مذهب المعتزلة المنكرين لخرق العادة لغير الأنبياء ولاشك أن المعجزة من أدلة صدق الأنبياء لكنها ليست كل الأدلة قال ابن أبي العز الحنفي:

والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات لكن كثيرا منهم لايعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات وأثبت ذلك بطرق مضطربة.

والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك.

ولاريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولايلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما والتميز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة وما أحسن ما قاله حسان رضي الله عنه:

لو لم يكن فيه آيات مبينة

كانت بديهته تأتيك بالخبر[1]

وبهذا يتضح مخالفة ما في هذا الفصل لمذهب أهل السنة والجماعة مما يدل على أن كاتبها ليس الإمام الشافعي.

تحدث في الفصل الخامس عشر عن الإيمان وعرفه بتعريف أهل السنة له

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٥٠.

ثم ختم هذه الرسالة ببيان فضل الصحابة رضي الله عنهم وهذا حسن ولكنه احتج بأحاديث ضعيفة مع وجود الصحيح في فضلهم مما يدل على جهل كاتبها بالأحاديث الصحيحة والضعيفة وحاشا الشافعي عن ذلك وهو ناصر السنة في زمنه ومن هذه الأحاديث:

(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)

وهو حديث موضوع ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم(١).

والحديث الثاني قوله:

(إياكم وماشجر بينهم فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولانصيفه).

وهو عمل عجيب فأول الحديث لم أجده في مظانه والذي يظهر لي أنه مركب وآخره صحيح متفق عليه ولفظه (لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه)(٢).

الحديث الثالث:

(من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين).

ولم أجده بهذا اللفظ وإنما بلفظ آخر عند الطبراني ولفظه (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)(٣). فهذه الأدلة واضحة في خطأ نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الشافعي وأن مؤلفه أحد متأخري الشافعية والشافعي بريء منه(٤).

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ١/ ٧٨ رقم ٥٨.
(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣/ ١٣٤٣) ومسلم (٤/ ١٩٦٧).
(٣) انظر: صحيح الجامع ٥/ ٢٩٩ رقم ١٦١ ورمز لحسنه.
(٤) وانظر للزيادة.
الشافعي وعلم الكلام.
علم العقيدة عند الشافعي وأحمد.



الفصل الثاني

موقفه من الفرق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القدرية المعتزلة.

المبحث الثاني: الرافضة.

المبحث الثالث: الصوفية.



المبحث الأول: القدرية المعتزلة

تنسب هذه الفرقة إلى واصل بن عطاء(١) الغزال وعمرو بن عبيد بن باب(٢).

وقد قيل إنهما صحبا الحسن البصري رحمه الله مدة ثم خالفاه في مسألة مرتكب الكبيرة فزعما أنه بمنزلة بين المنزلتين وأنه لامؤمن ولاكافر.

فطردهما الحسن البصري عن مجلسه فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة.

فقيل لهما ولأتباعهما (معتزلة) لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لامؤمن ولاكافر.

ومن عقائدهم.

نفيهم عن الله جميع الصفات الثابتة له في القرآن والسنة، إنكارهم رؤية الله عزوجل بالأبصار يوم القيامة، زعمهم أن القرآن مخلوق، نفيهم لعلم الله السابق للحوادث قبل وقوعها وهم القدرية الأولى(٣) وقولهم بأن الله

---

(١) واصل بن عطاء البصري المتكلم ولد بالمدينة سنة ثمانين ومات في سنة ١٣١ قال عنه المسعودي (هو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين كان يجلس في سوق الغزالين فلقب لذلك بالغزال الميزان ٦/ ٢١٤ البدء والتاريخ ٥/ ١٤٢.

(٢) عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي القدري قال ابن قتيبة كان يرى رأي القدر ويدعو إليه واعتزل الحسن هو وأصحاب له فسمو المعتزلة وقال الذهبي صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلي) ت سنة ١٤٢. العبر ١/ ١٩٣. المعارف ٤٨٣.

(٣) القدرية الأولى منكرة العلم وأول من أظهر هذا القول معبد الجهني وهو معبد بن خالد الجهني أول من تكلم بالقدر قال أبوحاتم قدم المدينة فأفسد فيها ناسا وقال الأوزاعي أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر ثم أخذ غيلان عن معبد ـ العبر ١/ ١٢ تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٥.

غير خالق لأفعال العباد[١] وهم القدرية الثانية الذين أثبتوا العلم ونفوا مرتبة الخلق وغير ذلك من العقائد الفاسدة.

وقد سار على هذه العقيدة الفاسدة أقوام بعد هؤلاء منهم بشر المريسي[٢].

موقف الإمام الشافعي من هذه الفرقة:

قال البويطي سألت الشافعي

أصلي خلف الرافضي؟

قال: لاتصلي خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجيء.

قلت: صفهم لنا.

قال: من قال الإيمان قول فهو مرجيء.

ومن قال: إن أبابكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي.

ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري؟[٣].

وقال الربيع بن سليمان عن الشافعي، (إنه كان يكره الصلاة خلف القدري)[٤].

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ٢٠، ١١٤ ـ ٢٠١، وصحيح مسلم الحديث الأول حديث يحيي بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن وفيه (إنه ظهر أناس من قبلنا يقرأون القرآن ويتغفرون العلم يقولون لا قدر وإن الأمر أنف) صحيح مسلم (١/ ٣٦).

(٢) بشر بن غيات المريسي مبتدع ضال تفقه أول أمره على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ثم جرد القول بخلق القرآن.

حدث البويطي قال سمعت الشافعي يقول: ناظرت بشرا المريسي في القرعة فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين فقال هذا قمار فأتيت أبا البختري القاضي فحكيت له ذلك فقال: يا أبا عبدالله شاهد آخر وأصلبه مات سنة ٢١٨ الميزان رقم ١٢١٤.

(٣)المصدر السابق ٣١.

(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤١٣.

وقال المزني قال لي الشافعي (تدري من القدري؟ القدري الذي يقول إن الله عزوجل لم يخلق الشر حتى عمل به)(١).

وقال المزني أيضا سمعت الشافعي يقول:

القدرية الذين قال رسول الله ﷺ: (هم مجوس هذه الأمة الذين يقولون إن الله لايعلم المعاصي حتى تكون)(٢) وقد نص الإمام الشافعي وأحمد على تكفير من أنكر العلم القديم وقال غير واحد من السلف (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا فقد كفروا)(٣).

وقال الربيع:

انحدر علينا الشافعي من درجته وهم يتجادلون في القدر فقال: إما أن تقوموا عنا أو تجاورونا بخير، فلأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء(٤).

وقد ناظر الإمام الشافعي رحمه الله بعض أفراد هذه الطائفة وكفرهم لما أظهروا مخالفة الكتاب والسنة.

قال الربيع: لما كلم الشافعي حفص الفرد(٥) فقال حفص: القرآن مخلوق. قال الشافعي: كفرت بالله العظيم(٦).

ويبين عن مخالفته لهم في كل شيء حتى في قول لا إله إلا الله.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤١٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤١٣ والحديث تقدم.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤٦٠ وانظر: آداب الشافعي ومناقبه ١٨٤.

(٥) حفص الفرد تقدمت ترجمته.

(٦) المناقب ١/ ٤٠٧، ٤٥٦.

قال الجارودي: ذكر الشافعي إبراهيم بن علية[١] فقال: أنا مخالف له في كل شيء وفي قوله لا إله إلا الله لست أقول كما يقول:

أنا أقول: (لا إله إلا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب وذاك يقول الذي خلق كلاما أسمعه موسى من وراء حجاب)[٢] وقال عبدالله بن صالح كاتب الليث.

كنا عند الشافعي في مجلسه فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن إسماعيل بن علية وكان من غلمان أبي بكر الأصم وكان مجلسه بمصر عند باب الضوال فلما قرأناه عليه جعل يحتج بإبطاله فكتبنا ما قاله ابن علية وذهبنا به إلي الشافعي فنقضه الشافعي وتكلم بإبطال ما قاله ابن علية وقال ابن علية ضال قد جلس عند باب الضوال يضل الناس[٣].

ودخل حفص الفرد على الشافعي فكلمه ثم خرج إلينا الشافعي فقال لنا: لأن يلقى الله العبد بذنوب مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه وكان يقول. بخلق القرآن[٤].

ولما حضرت الشافعي ـ رحمه الله ـ الوفاة فأغمي عليه ثم أفاق ـ فجعل يسأله رجل رجل فيقول من أنا فيقول أنت فلان بن فلان.

فقال له حفص الفرد من أنا فقال: أنت حفص الفرد لاحفظك الله إلا أن تتوب[٥].

---

(١) إبراهيم بن إسماعيل بن علية جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن ت ٢١٨ هـ اللسان ١/ ٣٤ وقد ذكر كلام الشافعي عنه.

(٢) مناقب البيهقي ١/ ٤٠٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤٥٧.

(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤٥٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ٤٧٠.

هذا موقف الإمام الشافعي من هذه الفرقة وهو موقف ثبت عليه - رحمه الله - حتي مات .كما سبق وأختم هذا الموقف برواية عن الإمام الشافعي في تكفير هؤلاء ففي السنن الكبري عـن علي بن سهل الرملي أنه قال: سألت الشـافعي عـن القرآن فقـال لي: كلام الـله غيـر مخلوق قـلت فمـن قال بالمخلوق فما هو عندك.

قال: كافر

فقلت للشافعي رحمه الله، من لقيت من أستاذيك قالوا ماقلت.

قال: مالقيت أحـدا منهم إلا قال: من قال في القرآن مخـلوق فهو كافر عندهم[1].

(١) السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٦.

المبحث الثاني: الرافضة

أصل مذهب الرفض التشيع لعلي رضي الله عنه وتفضيله على عثمان رضي الله عنه وهو مذهب أهل الكوفة وقد سبق ذلك ولم يكن يتعرض هؤلاء المفضلة لعثمان رضي الله عنه بسوء ولا لغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومن غير شك في صحة خلافة الخلفاء من قبله.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

وتواتر عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، هذا متفق عليه بين قدماء الشيعة، وكلهم كانوا يفضلون أبابكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان حين صار لهذا شيعة ولهذا شيعة، وأما أبوبكر وعمر فلم يكن أحد يتشيع لهما بل جميع الأمة كانت متفقة عليهما حتى الخوارج[1].

ثم تطورت الشيعة بسبب تأثرها ببعض الدعوات الخارجية ومن هذه المؤثرات ظهور عبدالله بن سبأ اليهودي[2]، الذي ادعى الإسلام وتشيع لعلي وآل البيت وغالى في محبته وإليه تنسب السبئية.

قال البغدادي: السبئية: أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأحرق

---

(١) النبوات ١٣٢ لابن تيمية.

(٢) عبدالله بن سبأ اليهودي الضال المضل رأس الفتنة وموقدها ومؤجج نارها وجامع حطبها، من أشتات الناس ورذالهم، أسلم في عهد عثمان لإفساد الإسلام. قال الشعبي: إن عبدالله بن سبأ يهودي من أهل الحيرة أظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا وأن عليا رضي الله عنه وصي محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء. الفرق بين الفرق ـ ٢٢٥، ٢٣٥، الملل ١/ ١٤٦.

قوما منهم في حفرتين. ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن. . . وزعم بعض السبئية أن عليا في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين(١).

ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف زيدية، وإمامية، وكيسانية وغلاة.

وافترقت الزيدية فرقا، والإمامية فرقا، والغلاة فرقا كل فرقة منها تكفر سائرها(٢).

ثم تنوعت الفرق وتعددت ودخل إلى الإسلام كل مجرم أثيم تحت شعار التشيع فظهرت الباطنية وفرقها كالنصيرية والدروز والفاطميين والإسماعيليين كلها دخلت من باب التشيع.

قال الغزالي عن هذه الفرق ظاهرها الرفض وباطنها الكفر المحض(٣) وقال الذهبي رحمه الله:

والقوم من أكذب الناس في النقليات، وأجهل الناس في العقليات.

ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف وقد دخل على الدين منهم من الفساد مالايحصيه إلا رب العباد والنصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا، والكفار والمرتدة بطريقهم وصلوا، فاستولوا على بلاد المسلمين وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام.

قال: وسئل الإمام مالك رضي الله عنه عن الرافضة فقال: لاتكلمهم ولا تروعنهم فإنهم يكذبون.

وقال حرملة سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

---

(١) الفرق بين الفرق ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) الفرق بين الفرق ٢١.

(٣) فضائح الباطنية.

(لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة).

وقال يزيد بن هارون: «يكتب عن كل مبتدع ـ إذا لم يكن داعية ـ إلا الرافضة فإنهم يكذبون.

وقال شريك (أهل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا).

وقال الأعمش: (أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين).

قال: وعمدتهم في العقليات اليوم على كتب المعتزلة فوافقوهم في القدر وسلب الصفات[١] على ما عندهم من عقائد مشهورة في القرآن ـ والصحابة وفي أم المؤمنين وغير ذلك[٢].

موقف الشافعي رحمه الله من الرافضة:

قال أبوحاتم سمعت يونس بن عبدالأعلى يقول: سمعت الشافعي يقول أجيز شهادة أهل الأهواء كلهم إلا الرافضة فإنهم يشهد بعضهم لبعض[٣].

وقال يونس بن عبد الأعلى أيضا سمعت الشافعي إذا ذكر الرافضة عابهم أشد العيب فيقول شر عصابة[٤].

وقال حرملة سمعت الشافعي يقول (لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة)[٥]. ومن فقهه رحمه الله أنه تدبر حال المبتدعة فوجد الجامع لهم التشيع مما يدل على فساد هذا المذهب الضال.

قال رحمه الله: ما كلمت رجلا في بدعة قط إلا كان يتشيع[٦].

(١) المنتقى من منهاج الإعتدال ٢١ ـ ٢٥ بتصرف وانظر: منهاج السنة. ١/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) انظر في عقائدهم الفاسدة مختصر التحفة الإثني عشرية والخطوط العريضة.
(٣) آداب الشافعي ومناقبه ١٨٩ ومناقب البيهقي ١/ ٤٦٨ والسنن الكبرى ١٠/ ٢٩.
(٤) مناقب البيهقي ١/ ٤٦٨.
(٥) آداب الشافعي ١٨٧ ومناقب البيهقي ١/ ٤٦٨ والسنن الكبرى ١٠/ ٢٠٨.
(٦) آداب الشافعي ١٨٦ ومناقب البيهقي ١/ ٤٦٨.

وقال السبكي: قال الشافعي في الرافضي يحضر الوقعة: (لايعطى من الفيء شيئا لأن الله تعالى ذكر آية الفيء ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾(١) فمن لم يقل بها لم يستحق)(٢) وقد روي عن الامام مالك رحمه الله نحو هذا.

قال القرطبي: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظا من الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والإستغفار لهم وأن من سبهم أو واحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًا أنه لاحق له في الفيء روي ذلك عن مالك وغيره قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾(٣).

ولعل الإمام الشافعي رحمه الله أخذ هذا القول عن الإمام مالك فهو شيخه كما هو معلوم. والله أعلم.

ومع هذا الوضوح في عقيدة الإمام الشافعي وبعده عن مذهب الشيعة الرافضة وتبديعه لهم ورده لشهادتهم ومنعه من الصلاة خلفهم نجد من يتهم الإمام بالتشيع وهذا من أعجب العجب فمن صدرت منه كل هذه الأقوال في حق الشيعة كيف يتهم بالتشيع وقد مر بنا موقفه من الصحابة عموما وموقفه من الخلفاء الراشدين وموافقته لأهل السنة فى ترتيب الخلفاء فكيف ينسب إلى التشيع.

قال البيهقي: ومما حكي عن أبي داود السجستاني أن أحمد بن حنبل أُخبر أن يحيي بن معين ينسب الشافعي إلى التشيع فقال له أحمد: تقول هذا

(١) سورة الحشر آية: ١٠.
(٢) الطبقات ٢/ ١١٧.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢.

لإمام المسلمين قال يحيى: إنى نظرت في كتابه في قتال أهل البغي فإذا قد احتج من أوله إلى آخره بعلي رضي الله عنه فقال أحمد: عجبا لك فيمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي وأول من ابتلي من هذه الأمة بقتال أهل البغي علي بن أبي طالب وهو الذي سن قتالهم وأحكامهم ليس عن النبي ﷺ ولاعن الخلفاء غيره فيه سنة فيمن كان يستن فخجل يحيي من ذلك(١).

وروى البيهقي بسنده عن أبي عبدالله أحمد بن حنبل وسئل عن محمد بن إدريس الشافعي قال أحمد: لقدمن الله علينا به لقد كنا تعلمنا كلام القوم وكتبنا كتبهم حتى قدم علينا الشافعي فلما سمعنا كلامه علمنا أنه أعلم من غيره وقد جالسناه الأيام والليالي فما رأينا معه إلا كل خير رحمة الله عليه فقال له رجل: يا أبا عبدالله فإن يحيى بن معين وأبا عبيد لايرضيانه: يعني في نسبتهما إياه إلى التشيع فقال أحمد ما أدري ما يقولان والله ما رأينا منه إلا خيرا ولاسمعنا إلا خيرا ثم قال أحمد لمن حوله: (إعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم وحرمه قرناؤه وأشكاله حسدوه فرموه بما ليس فيه. وبئست الخصلة في أهل العلم)(٢).

وقد فرح بهذه الكلمة من يخالف الإمام يحيى بن معين فأعمل لسانه في الطعن به زاعمًا الدفاع عن الإمام الشافعي فقال: إن يحيى بن معين كان شديد الحسد للشافعي وكان يلوم أحمد بن حنبل على تعظيمه الشافعي وكان أحمد بن حنبل يلومه على ذلك الحسد.

قال: وقد طعنوا في يحيى بن معين بسبب كثرة طعنه في الناس وقالوا في حقه شعرا.

---

(١) مناقب البيهقي ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ومناقب الرازي ١٤٣.
(٢) مناقب البيهقي ٢/ ٢٥٩.

ولابـن مـعـين فـي الـرجـال مـقـالـة
سـيـسـأل عـنـهـا والمـلـيـك شـهـيـد
فـإن يـك حـقـا قـولـه فـهـو غـيـبـة
وإن يـك زورا فـالـقـصـاص شـديـد[1]

---

(١) مناقب الرازي ١٤٣.

والأبيات لبكر بن حماد في أبيات له نقلها ابن عبد البر رحمه الله في جامعه ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٧.

وقال: قد رد هذا القول على بكر بن حماد جماعة نظما فمن ذلك قول أبي الأصابع (كذا هو فى «جامع بيان العلم» وهو خطأ والصواب أبو الأصبغ)عبدالسلام بن يزيد بن غياث الأشبيلي ومنها:

ولابـن مـعـين في الـذي قـال أسوة ... ورأي مـصـيـب لـلـصـواب سـديـد
وأجـر بـه يـعـلـي الإلـه محـلـه ... ويـنـزلـه فـي الخلـد حيـث يـريـد
يـنـاضـل عـن قـول الـنـبـي ... ويطـرد الأباطيـل عن أحواضـه ويذود
وجـلـة أهل الـعـلـم قـالـوا بقـولـه ... ومـا هـي فـي شـيء أتـاه فـريـد
ولـو لم يـقـم أهـل الحديـث بديـنـنـا ... فـمـن كـان يـروي علـمـه ويـفـيـد
هـم ورثـوا عـلـم الـنـبـوة واحـتـووا ... مـن الـفـضـل ما عـنـه الأنـام رقـود
وهم كـمـصـابـيـح الدجى يـهـتدى بـهـم ... ومـالـهـم بـعـد المـمـات خمـود

وقال أبوعلي بن ملولة القيرواني يعارض بكر بن حماد.

ولابـن مـعين فـي الـرجـال مقـالـة ... تـقـدمـه فـيـهـا شـريـك ومـالـك
فـإن يـك مـا قالاه سـهـلا وواسـعـا ... فـقد سـهـلـت لابن المعين المسالـك
وإن يـك زورا مـنـهـم أو نميـمـة ... فـما مـنـهـم فـي الـقـول إلا مشـارك

وقال أحمد بن عصفور يعارض بكر بن حماد

أجل إن حـكـم الله فـي الخلق سـابق ... ومـا لامـريء عـمـا يحـم محـيـد
هـو الرب لاتـخـفـى عـلـيـه خـفـيـة ... عـلـيـم بمـا تخـفـي الصـدور شـهـيـد
جرت بـقـضـاياه المـقاديـر في الـورى ... فـمـقـرب مـن خـيـرهـا وبـعـيـد
أيـا قادحـا فـي الـعـلـم زيـد عـمـائـه ... رويـدا بمـا تـبـدى بـه وتـعـيـد
جـعـلـت شـيـاطـين الحـديـث مريـدة ... ألا إن شـيـطـان الـغـلال مـريـد
وجرحـت بالتـكـذيب من كـان صـادقا ... فـقـولـك مـردود وأنـت عـنـيـد
ذوو الـعـلـم في الـدنـيا نجـوم هداية ... إذا غـاب نجـم لاح بـعـد جـديـد
بـهـم عز ديـن الـلـه طرا وهـم لـه ... مـعـاقـل مـن أعـدائـه وجـنـود

وهذا طعن من الرازي في يحيى بن معين لايسلم له ومن المعلوم أن كلام يحيى بن معين في الرجال ليس بدافع الحسد ولا البغضاء وإنما بدافع الحرص على سنة النبي ﷺ وهو ليس كالغيبة وليس هذا موضع بسطه، أما كلام يحيى بن معين في الشافعي رحمهما الله فإن كان ثبت عنه فإنه محمول على ما سمع من موافقته لمذهب الشيعة في بعض المسائل.

قال شيخ الإسلام: والشافعي يستحب التسطيح لما روي من الأمر بتسوية القبور فرأى أن التسوية هي التسطيح ثم إن بعض أصحابه قال: إن هذا شعار الرافضة فيكره ذلك فخالفه جمهور الأصحاب وقالوا: بل هو المستحب وإن فعلته الرافضة.

وكذلك الجهر بالبسملة هو مذهب الرافضة وبعض الناس تكلم في الشافعي بسببها وبسبب القنوت ونسبه إلى قول الرافضة والقدرية لأن المعروف في العراق أن الجهر كان من شعار الرافضة وأن القنوت في الفجر كان من شعار القدرية الرافضة حتى إن سفيان الثوري وغيره من الأئمة يذكرون في عقائدهم ترك الجهر بالبسملة لأنه كان عندهم من شعار الرافضة.

كما يذكرون المسح على الخفين لأن تركه كان من شعار الرافضة ومع هذا فالشافعي لما رأى أن هذا هو السنة كان ذلك مذهبه وإن وافق قول الرافضة[1].

فهذا شيخ الإسلام يرى أن التهمة ألصقت بالشافعي بسبب موافقته للرافضة في بعض المسائل.

وبعض العلماء يذهب إلى عدم ثبوت هذه التهمة من ابن معين للشافعي

(١) منهاج السنة النبوية ٤/ ١٥٠ ـ ١٥١.

قال ابن حجر قال الحاكم: تتبعنا التواريخ وسواد الحكايات عن يحيى بن معين فلم نجد فى رواية واحد منهم طعنا على الشافعي[١].

وقال ابن عبدالبر: وقد كان عبدالله الأمير بن عبدالرحمن بن محمد الناصر يقول: إن ابن وضاح كذب على ابن معين في حكايته عنه أنه سأله عن الشافعي فقال ليس بثقة وزعم عبدالله أنه رأى أصل ابن وضاح الذي كتبه بالمشرق وفيه سألت يحيى بن معين عن الشافعي فقال هو ثقة قال وكان ابن وضاح يقول ليس بثقة فكان عبدالله يحمل على ابن وضاح في ذلك وكان خالد بن سعد يقول: إنما سأله ابن وضاح عن إبراهيم بن محمد الشافعي ولم يسأله عن محمد بن إدريس الفقيه)[٢] ومما يشهد لهذا القول ورود روايات كثيرة في توثيق الشافعي عن ابن معين فمنها قوله (لو كان الكذب له مطلقا لكانت مروءته تمنعه أن يكذب)[٣] وقوله ليس به بأس.

وقوله صدوق لابأس به[٤].

وإذا قال ابن معين لابأس به فهو ثقة[٥].

وقد رَدَّ ابن عبد البر هذا كله وقال: هذا عندي تخرص وتكلم على الهوى، وقد صح عن ابن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي على ما قدمت له حتى نهاه أحمد بن حنبل وقال له لم ترعيناك قط مثل الشافعي.

وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظرائهما من الأئمة إلا كما قال الأعمش:

كناطح صخرةً يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(١) التهذيب ٩/ ٣١.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٦٠.
(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٣.
(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٢.
(٥) الكفاية ٦٠.

أو كما قال الحسين بن حميد

يـا نـاطح الجـبـل الـعالـي لـيـكلـمـه
أشفق علـى الرأس لاتشفق علـى الجبل

قال وقد جمع الناس فضائلهم وعنوا بـسيرهم وأخبارهم فمن قرأ فضائل مالك وفضائل الـشافعي وفضائل أبي حنيـفة بعد فضائل الصحابـة والتابعين وعنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهـم كان ذلك راكبا نفعنا الله بحب جميعهم ومن لم يحفظ من أخبارهـم إلا ما بدر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغـضب والشهوات دون أن يعي بفضائلهـم حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عـن الطريق جعلنا الله وإياك ممن يسمـع القول فيتبع أحسنه(١).

وممن اتهم الشافعي بالتشيع العجلي

قال ابن كـثير بعد ذكر بـعض النصوص من عـقيدة الإمام الشافـعي في الخلفاء وفيها موافقته لأهل السنـة في ذلك فهذه أسانيد صحيحة، ونصوص صريحة عـن الإمام أبي عبداللـه الشافعي في مـذهب أهل السنة والجـماعة سلفا وخلفا.

فتبين بهـذا خطأ قول أحمد بن عبداللـه العجلي في الشافعـي إنه شيعي وهذا القول من العجلي مجازفة بـلاعلم وإنما غره في ذلك ما قدمناه من أن أهل اليمـن لما رموه في جملـة أولئك القرشيـين وحمل معهم إلـى الرشيد وكان فيهم تشيع اعتقد من لايعلم أن الشافعي إذ ذاك على مذهبهم.

وإلا فالإمام الشـافعي أعظم محـلا وأجل قدرا من أن يرى رأى الشـيعة الفرقة المخذولة والطائفة المرذولة وهـو ذو الفهم التام والذكاء الزايد والحفظ

---

(١) جامع بيان العلم وفضلة ٢/ ١٦٠ ـ ١٦٢ بتصرف.

الخارق والفكر الصحيح والعقل الرجيح ثم ذكر الأدلة على متابعته لمذهب السلف في الصحابة وقد مرت في عقيدته هناك.

ثم ذكر الأبيات الموهمة لتشيعه وهي

يا راكبا قف بالمحصب من منى
واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى
فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي[١]

ثم قال: قلت ـ ليس برفض حب آل محمد وكل أهل السنة يحبون آل محمد ﷺ ويجب عليهم ذلك كما يجب عليهم حب أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ومع حب الآل يقدم أبابكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي كما نص عليه الشافعي وأئمة الإسلام[٢].

وكما رد ابن كثير رحمه الله هذه التهمة فقد ردها الذهبي حيث يقول: من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفتر لايدري ما يقول.

وقال: لو كان شيعيًا وحاشاه من ذلك لما قال الخلفاء الراشدون خمسة بدأ بالصديق وختم بعمر بن عبدالعزيز[٣].

ومما يشهد على سلامته من عقيدة الشيعة غير ماسبق رده على زعم

(١) مناقب البيهقي ١٢/ ٧١ ومناقب الرازي ٥١ وتاريخ ابن عساكر ٤٠٧، وطبقات السبكي ١/ ٢٩٩ والانتقاء ٩٠ ـ ٩١.
(٢) طبقات ابن كثير ١٤.
(٣) السير ٥٨ ـ ٥٩ والخبر في مناقب البيهقي ١/ ٤٤٨ وتاريخ دمشق ١/ ١٩١.

الرافضة أن النبي نص على إمامة علي رضي الله عنه بقوله (من كنت مولاه فعلي مولاه)[١] فقال يعني بذلك ولاء الإسلام وذلك قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٢].

وبهذا يتبين لنا براءة الإمام مما اتهم به من التشيع وبعده عن ذلك وموافقته لمذهب أهل السنة والجماعة ولعل هذه التهمة حدثت في حياة الإمام الشافعي ولذلك نراه يدافع عن نفسه ويبين سبب اتهامه بهذه التهمة وأنه لايوجب الإتهام بها.

إذا نحن فضلنا عليا فإننا
روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
فلازلت ذا رفض ونصب كليهما
أدين به حتى أوسد بالقبر

ومعلوم أن مراده من تفضيل علي ذكر فضائله والرواية عنه وليس تفضيله على الشيخين فليس هذا مذهبه بل مذهبه أن من فضل عليا ـ عليهما فهو رافضي كما سبق.

وقد نقل الرازي هذه التهمة عن بعض الروافض وهو أنهم نسبوا إليه بعض الأبيات يزعمون بها أنه منهم ورد عليها. والروافض كما هو معلوم أكذب الناس كما ثبت عن الأئمة في أول هذا المبحث وهذه كافية في الرد عليهم[٤]؟ وأختم هذا المبحث بكلام نفيس للذهبي قال:

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٨٤ وإسناده صحيح، انظر صحيح الجامع رقم ٦٣٩٩ وانظر مشكل الآثار للطحاوي ٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩.
(٢) سورة محمد آية: ١١.
(٣) مناقب الرازي ١٤٣.
(٤) المصدر السابق ١٤٠ ـ ١٤٢ وانظر الديوان ٧٢.

فأما ماتنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك ـ القدح في الصحابة والعلماء ـ فلا تعرج عليه ولاكرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء فدأب الروافض رواية الأباطيل أوْرَدُّ ما في الصحاح والمسانيد ومتى إفاقة من به سكران؟ ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم في بعض وتحاربوا وجرت أمور لايمكن شرحها فلا فائدة في بثها ووقع في كتب التاريخ وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة والعاقل خصم نفسه ومن حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه ولحوم العلماء مسمومه وما نقل من ذلك لتبيين غلط العالم وكثرة وهمه أو نقص حفظه فليس من هذا النمط بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف.

وإما مَنا فبحمد الله ثَبْتٌ في الحديث حافظ لما وعى عديم الغلط موصوف بالإتقان متين الديانة فمن نال منه بجهل وهوى ممن علم أنه منافس له فقد ظلم نفسه ومقته العلماء ولاح لكل حافظ تحامله وجر الناس برجله ومن أثنى عليه واعترف بإمامته وإتقانه وهم أهل العقد والحل قديما وحديثا فقد أصابوا وأجملوا وهدوا ووفقوا..

قال الإمام: سحنون، لم يكن في الشافعي بدعة. فصدق والله فرحم الله الشافعي وأين مثل الشافعي والله في صدقه وشرفه ونبله وسعة علمه وفرط ذكائه ونصره للحق وكثرة مناقبه رحمه الله تعالى(١).

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ بتصرف.

المبحث الثالث: الصوفية

اختلف الباحثون في التصوف في أصل اشتقاقه على أقوال كثيرة جدا ومنها: أن كلمة صوفي منسوبة إلى الصفة وهي الموضع الذي ينزل به فقراء المهاجرين إذا وصلوا المدينة(١).

ومنهم من زعم أنها مشتقة من الصفاء وهو أن الصوفي صافي الروح والسريرة واستشهدوا له بقول أبي الفتح البستي

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافي فصوفي حتى سمي الصوفي(٢)

ومنهم من ينسبهم إلى رجل جاهلي اسمه صوفة بن بشر بن طابخة وإليه تنسب قبيلة كانت تجاور الحرم في الجاهلية ينسب إليها النساك(٣).

ومنهم من ينسبها إلى الصف وهو الصف الأول في الصلاة، أو أنهم في الصف المقدم بين يدي الله(٤).

ومنهم من نسبهم إلى لبس الصوف، وقد رجح شيخ الإسلام هذا القول ورد على غيره بأنه لايستقيم مع اللغة.

---

(١) الرسالة القشيرية ٢١٧.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٣٦٩ والقشيرية ٢١٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٦.
(٤) القشيرية ٢١٧ ومجموع الفتاوى ١١/ ٦.

فلو نسبوا إلى أهل الصفة لقيل صفي[١].

ولونسبوا إلى الصفاء لكان حقه أن يقال صفائية ولو كان مقصورا لقيل صفوية[٢].

أما النسبة إلى صوفة فهو وإن استقام في اللغة إلا أنه ضعيف لأنهم غير مشهورين ولامعروفين عند أكثر النساك ولأنه لونسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لايعرف هذه القبيلة ولايرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لاوجود لها في الإسلام[٣].

ومن نسبها إلى الصف فهو مخطيء قال: ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له كان حقه أن يقال صفية[٤] ثم ذكر سبب ترجيحه نسبة الصوفي إلى الصوف فقال فإنه أول ماظهرت الصوفية من البصرة وأول من بني دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد وعبدالواخد من - أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية قال: وقد روى أبوالشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه: أن قوما يفضلون لباس الصوف فقال: إن قوما يتخيرون الصوف يقولون إنهم يتشبهون بالمسيح بن مريم وهدي نبينا أحب إلينا وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره أو كلامًا نحوا من هذا[٥].

---

(١) المصدر السابق ١٠/ ٣٦٩.

(٢) قال ابن الجوزي: وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة - وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا. ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفي تلبيس إبليس ٢٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ١١/ ٦ - ٧.

أما عن بداية ظهور هذه الفرقة فيقول شيخ الإسلام: أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك.

وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري[١].

وقال ابن الجوزي: كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها.

والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد.

ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب[٢].

قال: وهذا الإسم ظهر للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة.

وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق.

إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة.

قال: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم.

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٥.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٢١).

فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبسه عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لايضجع وهؤلاء كانت - مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لايدري ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.

وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الإختصاص بالمرقعة والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة.

ثم مازال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا حتى سموه - التصوف - علم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان به.

فكأنهم تخيلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة.

ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالإتحاد.

ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا. ثم ذكر عقائدهم وأحوالهم وحكاياتهم في مبحث نفيس جدا[١].

ومذهب الحلول هو الذي يزعم أصحابه أن الله تعالى حال بخلقه وهم فريقان.

فريق يقول بالحلول الخاص في بعض أفراد البشر وهو المعروف عند الوثنيين كالبوذيين وغيرهم وانتقل مع غيره من العقائد إلى النصارى حيث زعموا أن اللاهوت وهو الله حل في الناسوت وهو عيسى ثم أدخله إلى الإسلام عبدالله بن سبأ اليهودي الذي قال إن الله حل في علي رضي الله عنه وقد مر[٢] أن عليا رضي الله عنه حرقهم في النار وقد اختلفت مقالات الرافضة بعد. ذلك كل يزعم أن الله حل في إمامه ثم دخل إلى الصوفية بواسطة الحسين بن منصور الحلاج الذي يزعم أن الله حل فيه وكان يرى أن الإنسان إذا بلغ درجة من الصفاء والمحبة والرياضة والمجاهدة فإنه يكون أهلا لأن يحل الله فيه ومن شعره في ذلك.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

وقد أجمع علماء بلده على ردته وقد قتل لعنه الله سنة ٣٠٩هـ[٣].

وأما الفريق الثاني من القائلين بالحلول، فيرون أن الله عزوجل حال بذاته في كل جزء من أجزاء العالم بحيث لايخلو منه مكان.

---

(١) تلبيس إبليس ٢٣١ ـ ٢٣٦ بتصرف.

(٢) انظر صفحة (٤٨٤).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٤١ ـ ١٥٤).

ويشبهونه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا ـ بالهواء الذي يملأ الخلاء ومع ذلك لايراه أحد.

ومنهم من يقول: إن هذا العالم جسم كبير والله عزوجل هو الروح الكامنة في هذا الجسم المدبرة له فهو سار في جميع أجزائه كحلول الروح في البدن الإنساني والحيواني.

وفى هؤلاء يقول ابن القيم رحمه الله:

وأتى فريق ثم قال وجدته
بالذات موجودا بكل مكان
هو كالهواء بعينه لاعينه
ملأ الخلاء ولا يرى بعيان
والقوم ما صانوه عن بئر ولا
قبر ولاحش ولا أعطان
بل منهم من قد رأى تشبيهه
بالروح داخل هذه الأبدان(١)

أما أهل الإتحاد أو وحدة الوجود فهم القائلون: إن الله هو هذا الوجود بعينه وعيان وإنه ليس هناك لاموجود واحد وإنما يغلط اللسان فيقول موجودان.

قال ابن القيم أيضا:

فأتى فريق ثم قال وجدته
هذا الوجود بعينه وعيان

(١) النونية لابن القيم ١/ ٦٦.

مـــا ثـــم مـــوجـــود ســـواه وإنمـــا

غـلـط الـلـسـان فـقـال مـوجـودان[١]

والمتدبر لـطرق الصوفية وأحـوالهم وكتبهم وغـاياتهم في السـير في هذا الطريق يجدهم يدندنون حول هذيـن المذهبين الحلول والإتحاد قال أبوطالب المكي:

وحقيقة علم الـتوحيد باطن المعرفة وهو سبق المـعروف إلى من به تعرف بصفة مخصوصة بحبيب مقرب مـخصوص ولايسع معرفة الكافة وإفشاء سر الربوبية كفر.

وقال بعض العارفين من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من إحياء غيره.

وقال بعضهم للربوبية سر لوظهر لبـطلت النبوة وللنبوة سر لوكشف بطل العلـم وللعلماء بـالله سر لو أظهـره الله تعالـى لبطلت الأحكـام. فقوام الإيمان واستقامـة الشرع بكتم السرية وقع الـتدبير وعليه انتظـم الأمر والنهي والله غالب على أمره[٢].

ويقسم الغزالي التوحيد إلى أربع مراتب.

الأولى: وهي أن يقـول الإنسان بلسـانه لا إله إلا اللـه وقلبه غافـل عنه أومنكر له كتوحيد المنافقين.

الثانية: أن يصدق بمعنى الـلفظ قلبه كما صدق به عمـوم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

الثالثة: أن يشاهد ذلـك بطريق الكشـف بواسطة نور الحق وهـو مقام المقربـين وذلك، بأن يرى أشيـاء كثيرة ولكـنه يراها عـلى كثرتهـا صادرة عن

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥٩.

(٢) قوت القلوب ٢/ ٩٠.

الواحد القهار فالشاهد موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا ولايرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا.

الرابعة: أن لايرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الغناء في التوحيد.

والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد[١].

اللهم إننا نبرأ إليك مما يقول هؤلاء ونسألك الثبات على دينك حتى نلقاك.

هذا توحيد الصوفية وهذه هي الغاية القصوى عندهم وكأن الله لم يرسل رسلا ولم ينزل كتبا بل تركنا هملا نتخبط ونلفق بين الفلسفه اليونانية والزهد الهندي وزبالة أفكارهم ونخرج للناس دينًا نسميه شهود حقيقة التوحيد من أفشى سره كفر نعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٢].

موقف الإمام الشافعي رحمه الله من التصوف والصوفية.

روى البيهقي بسنده عن يونس بن عبدالأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلا تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق[٣].

وعن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: مارأيت صوفيا عاقلا قط إلا مسلم[٤] الخواص[٥].

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) وانظر: للزيادة في معرفة هذه المذاهب مجموع الفتاوى ٢/ ١٣٤، التصوف لإحسان إلهي ظهير، حقيقة الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

(٣) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٧.

(٤) لم أجد من اسمه مسلم ولعله مسلم بن ميمون فهو معاصر للشافعي، حدث عن مالك وغيره بقي إلى ما بعد سنة ٢١٣هـ، وقال أبوحاتم، أدركته وكان مرجئا لايكتب حديثه السير ٨/ ١٧٩.

(٥) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٧.

وقال: (أس التصوف الكسل)(١).

ويقول في وصف الصوفي: لايكون الصوفي صوفيا حتى يكون فيه أربع خصال: كسول أكول. شؤوم، كثير الفضول(٢).

وقال عن بعض أعمالهم: خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن(٣).

قال ابن الجوزي:

وقد ذكر أبو منصور الأزهري: المغيرة: قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عزوجل تغبيرا كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة لهذا المعنى.

وقال الزجاج: سمو مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.

وبإسناده إلى الشافعي قال الغناء لهو مكروه ويشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. قال: وكان الشافعي يكره التغبير قال: وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضي الله عنهم ينكرون السماع وأما قدماؤهم فلايعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الإنكار منهم أبوالطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبوالقاسم الحريري.

---

(١) الحلية ٩/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٣ وتلبيس إبليس ٣٢٩ والحلية ٩/ ١٤٦، علق السبكي على قول الشافعي هذا فقال: ما ذكره الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه من إحداث ـ الزنادقة من كلام إمام خبير بأصول الإسلام فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدع إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي ـ والفارابي وابن سينا وأمثالهم) رسالة في معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي ضمن الرسائل المنيرية.

ومنهم القاضى أبوبكر محمد بن مظفر الشامي أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك الأنماطي عنه قال: لايجوز الغناء ولاسماعه ولا الضرب بالقضيب قال: ومن أضاف إلى الشافعي هذا فقد كذب عليه وقد نص الشافعي في كتاب أدب القضاء: على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

قال ابن الجوزي قلت: فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه.

وقال الفقهاء من أصحابنا: لاتقبل شهادة المغني والرقاص[1]. والمتدبر لكلام الشافعي يعرف مراد الإمام رحمه الله وأنه كان ينهى عن السماع في اللهو واللعب وأن ما أجازه منه فهو الحداء والشعر وهذا لم يقل أحد من العلماء بتحريمه أما سماع الصوفية وهو السماع على سبيل التعبد والتقرب به إلى الله فقوله فيه واضح حيث سمى من يفعله زنديقا كما مر وبين أنه ما أحدث إلا لصد الناس عن كتاب الله.

قال رحمه الله (في الرجل يغني فيتخذ صناعته يؤتى ويأتي له ويكون منسوبا إليه مشهورا به والمرأة لاتجوز شهادة واحد منهما وذلك أنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل وأنه من صنع هذا كان منسوبا إلى السفه وسقاطة المروءة ومن رضي بهذا لنفسه كان مستحقا وإن لم يكن محرما بين التحريم ولو كان لا ينسب نفسه إليه وكان إنما يعرف بأنه يطرب في الحال فيترنم فيها ولايأتى لذلك ولايؤتى عليه ولايرضى به لم يسقط هذا شهادته وكذلك المرأة.

وقال: في الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنيين وكان يجمع عليهما ويغشى لذلك فهذا سفه ترد به شهادته وهو فى الجارية أكثر من قبل أن فيه سفها ودياثة وإن كان لايجمع عليها ولايغشى لهما كرهت ذلك له ولم يكن فيه ماترد به شهادته.

---

(١) تلبيس إبليس ٣٢٩ ـ ٣٣٠ بتصرف.

قال: وهذا الرجل يغشى بيوت الغناء ويخشاه المغنون إن كان لذلك مدمنا وكان لذلك مستعلنا عليه مشهودا عليه فهي بمنزلة سفه ترد به شهادته وإن كان ذلك يقل منه لم ترد به شهادته لما وصفت من أن ذلك ليس بحرام بين.

فأما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلابأس به قل أو كثر وكذلك استماع الشعر.

ثم روى بسنده عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: (أردفني رسول الله ﷺ فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال: هيه فأنشدته بيتا فقال هيه فأنشدته. مائة بيت)[١].

قال: وسمع رسول الله ﷺ الحداء والرجز[٢] وأمر ابن رواحة في سفره فقال حرك القوم فاندفع يرتجز.

وأدرك رسول الله ﷺ ركبا من بني تميم معهم حاد فأمرهم أن يحدوا وقال إن حادينا قدونـي من آخر الليل قالوا يارسول الله: نحن أول العرب حداء بالإبل قال: وكيف ذلك؟ قالوا: كانت العرب يغير بعضها على بعض فاغار رجل منا فاستاق إبلا فتبددت فغضب على غلامه فضربه بالعصا فأصاب يده فقال الغلام: وايداه وايداه قال: فجعلت الإبل تجتمع قال: فقال هكذا فافعل.

قال: والنبي ﷺ يضحك فقال: ممن أنتم قالوا نحن من مضر فقال النبي ﷺ ونحن من مضر فانتسب تلك الليلة حتى بلغ في النسبة إلى مضر[٣].

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٧ وجاء في بعض روايات الحديث قال النبي ﷺ (إن كاد ليسلم).

(٢) انظر صحيح البخارى ٥/ ٢٢٧٧ ومسلم ٣/ ١٤٣٠.

(٣) الأم (٦/ ٢٠٩).

وقال الشافعي رحمه الله: فالحداء مثل الكلام والحديث المحسن باللفظ وإذا كان هذا هكذا في الشعر كان تحسين الصوت بذكر الله والقرآن أولى أن يكون محبوبا فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال (ما أذن الله لشيء أذنه لنبي حسن الترنم بالقرآن)(١).

وأنه سمع عبدالله بن قيس يقرأ فقال (لقد أوتي هذا من مزامير آل داود)(٢).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى.. ولابأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه ماكان وأحب ما يقرأ إلى حدرا وتحزينا(٣)(*).

فمجموع كلام الشافعي رحمه الله يدل على أنه يقسم السماع إلى عدة أقسام:

القسم الأول: سماع الصوفية ومايفعلونه معه من التغبير فهذا محرم وعنده أن أول من أحدثه الزنادقة لصد الناس عن القرآن.

القسم الثاني: سماع اللهومن المغنين والمغنيات فهذا عنده يدور بين التحريم والكراهة وعلى ذلك رتب قبول الشهادة من ردها كما مر(٤).

القسم الثالث: سماع الشعر والحداء الملحن فهذا عنده مباح وقد ذكر الأدلة على ذلك.

القسم الرابع: تحسين القرآن بالصوت والتغني به فهذا عنده مشروع

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن ٤/ ١٦١٨ ومسلم صفحة ١/ ٥٤٥.
(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن ٤/ ١٩٢٥ ومسلم ١/ ٥٤٦.
(٣) الأم ٦/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٤) انظر: أدلة تحريم الغناء في إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢٣٨ وفي تلبيس إبليس لابن الجوزي ٣٣٠.
(*) الحدر القراءة السريعة من غير هذا ولا إخلال والتحزين القراءة بحزن وخشوع. انظر القرطبي ١/ (١٠ ـ ١٧).

وذكر الأدلة على ذلك وليس فيه مايدل على جواز هذه الإجتماعات المنكرة وبهذا يتبين أنه ليس في كلامه ما يدل على جواز سماع الصوفية بل فيه ما يدل على تحريمه.

وقال يونس بن عبدالأعلى سألت الشافعي عن إباحة أهل المدينة السماع فقال الشافعي؟ لا أعلم أحدًا من علماء الحجاز كره السماع إلا ماكان منه في الأوصاف.

وأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح[1].

وهذا يدل على مراد الشافعي إباحة السماع وهو الحداء وتلحين الأشعار ولاشك أنه بدون الآلات ولا اختلاط لما سبق وهو بعيد كل البعد عن سماع الصوفية أما ما رواه البيهقي من استماع الشافعي وهو في الطريق لجارية تغني فهو واضح البطلان لمخالفته التامة.

لما ثبت عن الإمام الشافعي من كراهة هذا أو تحريمه وأنه لايفعله إلا السفهاء بل رد شهادة المدمن لذلك فكيف يفعله وهو الإمام القدوة وقد فصل شيخ الإسلام رحمه الله مسألة السماع تفصيلاً مفيدًا أوجزه لأهميته فيما يلي:

وهو جواب لسؤال ونصه: سئل شيخ الإسلام عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق وشرب الخمر وغير ذلك ثم إن شيخا من المشايخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعا يجتمعون فيه بهذه النية وهو بدف بلاصلاصل وغناء المغني بشعر مباح بغير شبابة فلما فعل هذا تاب منهم جماعة.. فهل يباح له هذا لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لايمكنه دعوتهم إلا بهذا.

---

(١) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٨.

فاجاب: الحمدلله رب العالمين أصل الجواب هذه المسألة وما أشبهها: أن يعلم أن اللـه بعث محمدا ﷺ بالهـدى ودين الحق ليظهره علـى الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنه أكمل له ولأمته الدين كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾(١) وأنه بـشر بالسعـادة لمن أطاعه والشقـاوة لمن عصاه ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(٢).

وقال ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(٣).

وأمر الخلـق أن يردوا ما تنازعوا فـيه من دينهم إلـى ما بعثه به كـما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(٤).

وأخبر أنه يدعو إلى الله إلى صـراطه المستقيم كما قال ﴿وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٥).

وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عـن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾(٦).

وقد أمر اللـه الرسول ﷺ بكل معـروف ونهى عن كل منـكر وأحل كل

(١) سورة المائدة آية: ٣.
(٢) سورة النساء آية: ٦٩.
(٣) سورة الجن آية: ٢٣.
(٤) سورة النساء آية: ٥٩.
(٥) سورة الشورى آية: ٥٢.
(٦) سورة الأعراف آية: ١٥٦.

طيب وحرم كل خبيث وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: (مابعث الله نبيا إلاكان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شرما يعلمه لهم).

وشواهد هذا الأصل العظيم من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في كتبهم وكان السلف كمالك وغيره يقولون (السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. وقال الزهري، كان من مضى من علمائنا يقولون: الإعتصام بالسنة نجاة.

إذا عرف هذا فمعلوم إنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتوب به العاصين لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله ﷺ وإلا فإنه لو كان مابعث الله به الرسول ﷺ لايكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصا محتاجا تتمة وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب والأعمال الفاسدة نهى الله عنها.

وهكذا مايراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبا على ضرره لم يهمله الشارع فإنه ﷺ حكيم لايهمل مصالح الدين ولايفوت المؤمنين مايقربهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعون على الكبائر فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي يدل على أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة أو عاجز عنها فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هوشر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية فلايجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله نبيه

مايتوب به العصاة فإنه قد علم بالإضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لايحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ماذكر من الإجتماع البدعي.

وإلا فمن المعلوم أن القرآن هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(١).

وبهذا السماع هدى الله العباد وأصلح لهم أمر المعاش والمعاد وبه بعث النبي ﷺ وعليه كان يجتمع السلف الصالح ولم يكن في السلف الأول سماع يجتمع عليه أهل الخير إلا هذا لا بالحجاز ولابالیمن ولا بالشام ولابمصر ولا بالعراق وخراسان والمغرب وإنما حدث السماع المبتدع بعد ذلك.

وقد شرع الله تعالى السماع للمسلمين في المغرب والعشاء والفجر قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٢).

وبهذا مدح عبدالله بن رواحة النبي ﷺ حيث قال: وفينا رسول الله يتلو كتابه: إذا انشق معروف من الفجر ساطع وأحوال هذا السماع مذكورة في كتاب الله من وجل القلوب ودمع العيون واقشعرار الجلود وإنما حدث سماع الأبيات بعد هذه القرون فأنكره الأئمة حتى قال الشافعي رحمه الله: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يزعمون أنه يرقق القلوب يصدون به الناس عن القرآن وسئل الإمام أحمد عنه فقال: محدث فقيل له: أنجلس معهم فقال لايجلس معهم. والتغبير هو الضرب بالقضيب على جلودهم من أمثل أنواع السماع وقد كرهه الأئمة فكيف بغيره والأئمة والمشايخ الكبار لم يحضروا هذا السماع المحدث ثم قسم السماع إلى قسمين.

---

(١) الآية ٥٨ مريم.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

القسم الأول: سماع اللهو واللعب وبين حكمه.

القسم الثاني: من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتخذه دينا وإذا نهي عنه كان كمن نهي عن دينه ورأى أنه قد انقطع عن الله وحرم نصيبه من الله إذا تركه فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين ولايقول أحد من أئمة المسلمين: إن اتخاذ هذا دينا وطريقا إلى الله تعالى أمر مباح بل من جعل هذا دينا وطريقا إلى الله تعالى فهو ضال مفتر مخالف لإجماع المسلمين.

فمن فعل ماليس بواجب ولامستحب على أنه من جنس الواجب أو المستحب فهو ضال مبتدع وفعله على هذا الوجه حرام بلاريب لاسيما كثير من هؤلاءالذين يتخذون هذا السماع المحدث طريقا يقدمونه على سماع القرآن وجدا وذوقا وربما قدموه عليه اعتقادا فتجدهم يسمعون القرآن بقلوب لاهية وألسن لاغية وحركات مضطربة وأصوات لاتقبل عليه قلوبهم ولاترتاح إليه نفوسهم فإذا سمعوا المكاء والتصدية(*) أصغت القلوب واتصل المحبوب بالمحب وخشعت الأصوات وسكنت الحركات فلاسعلة ولا عطاس ولا لفظ ولا صياح وإن قرءوا شيئاً من القرآن أو سمعوه كان على وجه التكلف والسخرة كما لايسمع الإنسان مالاحاجة له به ولافائدة له فيه حتى إذا ماسمعوا مزمار الشيطان أحبوا ذلك وأقبلوا عليه وعكفت عليه قلوبهم فهؤلاء جند الشيطان وأعداء الرحمن وحالهم أشبه بحال أعداء الله فإن المؤمن يحب ماأحبه الله تعالى ويبغض ماأبغضه الله تعالى وهم بالعكس ولهذا يحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب مافعلوه من مزامير الشيطان فيهم من يطير في الهواء والشيطان طائر به ومنهم من يصرع الحاضرين

(*) المكاء: الصفير المفردات(٤٧١).

التصدية: قيل الغناء وقيل التصفيق(المفردات ٢٧٨).

وشيطانه يصرعهم. وفيهم من يحضر طعاما وإداماً ويملأ الإبريق من الهواء والشياطين فعلت ذلك فيحسب الجاهلون أن هذه من كرامات أولياء الله المتقين وإنما هي من جنس أحوال الكهنة والسحرة وأمثالهم من الشياطين ومن يميز الأحوال الرحمانية والنفسانية والشيطانية لايشتبه عليه الحق من الباطل[1].

وبهذا يتبين أن ماعليه الصوفية من سماع وأحوال إنما هي من أحوال الشياطين التي تصدهم عن ذكر الله.

قال ابن القيم رحمه الله في وصف سماعهم:

تلي الكتاب فأطرقوا لاخيفة
لكنه إطراق ساه لاهي
وأتى الغناء فالحمير تناهقوا
والله مارقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن
فمتى رأيت عبادة بملاهي[2]

وأختم هذا المبحث بحكاية عجيبة توضح لك دين القوم وفهمهم فعن علي بن بحر الوراق قال:

كان الشافعي رحمه الله رجلا عطرا وذلك أنه كان به باسور وكان يجيء

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٢٠-٦٣٥ باختصار.

(٢) إغاثة اللهفان(١/ ٢٢٥).

وماأشبه الليلة بالبارحة فقد فتن أقوام في هذا الزمان بالسماع واتخذوه دينا وأصلا من أصول الدعوة وأشغلوا الشباب عن القرآن والعلم مع مافيه من مجالسة المردان وسماع أصواتهم المكسرة نسأل الله الهداية للجميع وانظر للزيادة البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد جمع وتأليف، عبدالله بن عبدالرحمن السليماني.

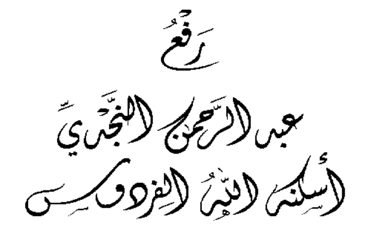
غلامه كل غداة بغالية فيمسح بها الإسطوانه التي يجلس عليها وكان إلى جنبه إنسان من الصوفية وكان يسمى الشافعي البطال يقول هذا البطال وهذا البطال قال: فلما كان ذات يوم عمد إلى شاربه فوضع فيه قذراً ثم جاء إلى حلقة الشافعي فلما شم الشافعي الرائحة أنكر فقال فتشوا نعالكم فقالوا: مانرى شيئا ياأبا عبدالله. قال فيشم بعضكم بعضا فوجدوا ذلك الرجل فقالوا: ياأبا عبدالله هذا فقال ماحملك على هذا قال رأيت تجبرك فأردت أن أتواضع لله.

فقال خذوه فاذهبوا به إلى عبدالواحد وكان على الشرطة فقولوا له يقول لك أبوعبدالله: اعتقل هذا إلى أن ينصرف قال فلما انصرف دخل عليه فدعا به فضربه ثلاثين درة أوأربعين درة فقال هذا بما تخطيت المسجد بالقذر.

وصليت على غير طهارة(١).

وسواء صحت هذه الحكاية أم لافأمثالها كثير عندهم وقد ملأوا بها كتبهم ويعدونها من كراماتهم بل وفيها أسوأ من هذه الحكاية بكثير(٢).

والمهم إن التصوف طريقة مبتدعة ماعرفها السلف بل نهوا عنها وحذروا مما هم فيه كما ذكر ذلك الشافعي وغيره من السلف، وإن الخير كله في اتباع النبي ﷺ وإن الشر كله في مخالفته بابتداع مالم يأذن به الله.



---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي(٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) انظر: كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبدالرؤوف القاسم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات والرسالات وعلى آله وأصحابه.

وبعد...

فإني في نهاية هذا البحث المتواضع أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم علي بإكمال هذا البحث من غير حول مني ولا قوة وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفعني به وينفع به المسلمين وقد حرصت في بحثي هذا على الإختصار والبعد عن التوسع والتركيز على عقيدة الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وإظهارها على قدر المستطاع وأذكر هنا بعض النتائج والأمور التي توصلت إليها من خلال بحثي وجمعي لعقيدة الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ فمن هذه الأمور التي توصلت إليها:

الأول ـ تعظيم الإمام الشافعي رحمه الله للكتاب والسنة واعتماده عليهما في كل أمور الدين بما في ذلك مسائل العقيدة.

الثاني ـ أن من منهجه الأخذ بظاهر الكتاب والسنة وبعده عن أساليب أهل الكلام.

الثالث ـ مع أن الإمام الشافعي حجة في اللغة لم يرد عنه أنه أول بعض النصوص أوردها بحجة المجاز كما يدعي ذلك من يرد الصفات.

الرابع ـ تعظيم الإمام الشافعي لسنة النبي ـ ﷺ ـ واحتجاجه بها وأنها مساوية للقرآن في التشريع.

الخامس ـ الإحتجاج بخبر الواحد العدل الثابت في العقيدة.

السادس ـ ذم الإمام الشافعي لعلم الكلام وأهلـه والتحذير منه والنهي عن مجالـسة أهله وأمره أصحـابه بهجرهم وقـد حاول بعض المتكـلمة حصر ذم الشافعي لعلم الكلام في كلام المعتزلة والقدرية والرافضة وقد رددت علـيه وبينت شـمول الذم لكـل من اتخذ علـم الكلام منهجا في إثبات العقيدة وبينت الفرق بين علم الكلام البدعي وعلم التوحيد الشرعي.

السابع ـ كراهة الإمام الشافعي للخوض فـي أمور العقيدة خوفا من الوقوع في الزلل والخـطأ لخطورة هذه المبـاحث وأمره أصحابه بـالإيمان بما ورد في النصوص والسكوت عما سكت الشارع عنه.(١)

الثامن ـ بين الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ منزلـة العقل بالنسبة للشرع وأنه تابع للشرع وشبهه بالعين التي لـها حد وتقف عنده فكذلك العقل له حد يقف عنده.

التاسع ـ يعتقد الإمام الشافعى أن الإيمان قول وعـمل ونية وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وذكر الأدلة على ذلك ورد على من خالف مذهب السلف وأقام المناظرات للدفاع عن عقيدة السلف في ذلك.

العاشر ـ يرى الإمام أن مرتكـب الكبيرة من أمة النـبى ـ ﷺ إذا مات مصراً عليهـا أنه تحت المشيئة إن شـاء الله عفا عنه وإن شـاء عذبه إلا أنه لايخلد في النار.

الحادي عشر ـ بين الإمام الشافعي التوحيد الـذي بعث الله الرسل من أجله وخلق الجن والإنس لتحقيقه وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) الكراهة إذا كان الخوض في هذه المسائل على طريـقة أهل الكلام أو بلا علم أو مجاراة لأهل الكلام فى أصولهم أما إذا كانت على طريقة السلف فـلا كراهة فإن الامام قد سبق كلامه الكثير في أصول العقيدة.

الثاني عشر - حرص الإمام الشافعي على حماية هذا التوحيد ولذلك شدد النهي عما يخالفه كالبناء على القبور واتخاذها مساجد ونهى عن الحلف بغير الله وعن قول مطرنا بنوء كذا وكذا ونحو هذا مما يقدح في كمال التوحيد.

الثالث عشر - ذكر الشافعي الأدلة على وجود الله وسلك في هذا الباب منهج السلف ولم يعرج على طريقة المتكلمين مما يدل على حسن اعتقاده وصلاح منهج السلف للإستدلال في هذه الأبواب المهمة.

الرابع عشر - في باب أسماء الله وصفاته أثبت الشافعي جميع أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به من غير تشبيه ولا تكييف ومن غير تأويل ولا تمثيل على طريقة السلف واحتج لذلك بنصوص من الكتاب والسنة وقد روي عنه إثبات بعض الصفات بأدلتها كصفة العلو والإستواء والوجه والضحك واليدين ومالم يذكره بالإسم فقد قال كل ما يثبت عن الله وعن رسوله فأنا قائل به وإن لم يبلغني ويلاحظ في باب الأسماء والصفات خلو الكلام الإمام الشافعي من طرق أهل الكلام وعباراتهم وشبهاتهم.

الخامس عشر - تحدث في باب النبوات عن حاجة الناس إلى بعثة الرسل وعن حالة الناس قبل بعثة نبينا محمد ﷺ وأنهم يجمعهم أصلان:

الأول - الكفر بالله.

الثاني - إبتداع مالم يأذن به الله.

ثم تحدث عن وجوب الإيمان بالرسل ومكانة نبينا محمد ﷺ بين الأنبياء وقرر أنه أفضلهم عليهم السلام.

السادس عشر - عظم الشافعي الصحابة - رضـي الله عنهم - ورفع مكانهم وأنزلهم المنزلـة اللائقة بهم ورد على من تنـقصهم وسار في إثبات خلافة الخلفـاء الراشدين على منهج السـلف حيث بدأ بأبي بكر ثم عمر ثم عثمـان ثم علي رضي الله عنهم وهو يرى أن خامسهم عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله.

السابع عشر - يؤمن الشافعي بجميع مـاثبت فى النصوص من أمور الآخرة كعذاب الـقبر ونعـيمه والبـعث والحساب والحـوض والميزان والجنة والنار وما يتعلق بذلك.

الثامن عشر - وفي باب القضاء والقدر قرر الشافعي - رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة وأثـبت مشيئة الله ومشيئة الـعباد وذكر مراتب القضاء والـقدر الأربعة المشهـورة ورد على الجبرية والـقدرية النفاة.

التاسع عشر - اتضح لنا عدم الرسالة المنسوبة للإمام الشافعى المسماة بالفقه الأكبر وأنها من تألـيف بعض متكلمة الشافعـية المتأخرين عن زمن الإمام الشافعي.

العشـــرون - يرى الشافعـي أن الميت لا يلحقه من عـمل الحي إلا مادلت النصوص عليه فلذلك لا يجـيز غير ذلك من الأعمال كقراءة القرآن ونحوها من الأعمال البدنية التي لاتجوز النيابة فيها.

الحادي والعشرون: عرفنا موقف الإمام الشافعـي من الفرق التي ظهرت في عصره كالـصوفية والقدرية والـشيعة واتضح لـنا براءة الإمام

الشافعي من تهمة التشيع وأن هذا لايصح أبدا وكيف يصح وهو قد شنَّع على الشيعة أشد تشنيع كمامر.

هذه أهم الأمور التي توصلت إليها من خلال بحثي ودراستي ـ لعقيدة هذا الإمام رحمه الله وإنى إذ أكتب هذا أعترف ـ بتقصيري عن إعطاء هذا الموضوع حقه وذلك لطوله واشتماله على جميع مسائل العقيدة والتى تصلح كل مسألة منها لبحث مستقل لكني أرجو أن أكون وفقت لإظهار عقيدة هذا الإمام ولو ببعض الإختصار ومالا يدرك جله لا يترك كله.

وإني إذ أختم هذا البحث لأوجه كلمة إلى كل من انتسب الى هذا الإمام أن يتقوا الله تعالى في إمامهم ولا ينسبوا شيئا من عقائدهم إلى الإمام الشافعي من غير تثبيت فى نسبتها إليه كالذين يؤلفون المختصرات في العقيدة وينسبونها إلى الإمام الشافعي وهو بريء منها.

كما أدعوهم إلى تدبر عقيدة هذا الإمام وغيره من أئمة السلف وأن يتابعوهم فهم خير من يقتدى به خاصة في هذ الأمور المهمة فإن في ذلك السلامة والنجاة في الدنيا والآخرة.

فرحم الله السلف ما أعمق فهمهم وأدق فقههم وأقل تكلفهم ورحم الله الإمام الشافعي ـ وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وحشرنا وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين...

والحمد لله أولا وأخيرا...

الفهارس

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات

الآيـــة	رقم الصفحة
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	٦٧
أيحسب الإنسان أن يترك سدى	٨٢
اتبع ما أوحى إليك من ربك	٩٣
آلركتب أنزلنه لتخرج الناس من الظلمات	٨٦
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	٨٩
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله	٩٢
اتبع ما أوحي إليك من ربك	٩٣
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	١٢١
إن عندكم من سلطان بهذا	١٢٣
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	١٣٢
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٦٢
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت	١٦٩
إلا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمن	١٧٣
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	١٧٣
إن الله لا يغفر أن يشرك به	١٩٨-١٩٩-٢١٥
أفنجعل المسلمين كالمجرمين	٢٠٥
إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك	٢٠٦
إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا	٢٠٨
أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب	٢٢٧
أيحسب الإنسنُ أن يترك سدى	٢٤١

ادعوهم لآبائهم هو أقسط ٢٥٤
أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل ٢٨٨
إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ٢٨٨
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ٣٠٩
أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده من يرزقكم ٣١٠
ألم تر أن الله خلق السموات والأرض ٣٠٩
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ٣٠٩
إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ٣١١
ألم نجعل الأرض مهادا ٣١١
إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ٣١٢-٣٢٢
أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ٣٤٣
إليه يصعد الكلم الطيب ٣٤٣
إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ٣٤٣
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض ٣٤٨
الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ٣٤٨
الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ٣٤٨
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ٣٦٠
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ٣٦٧
أو من تحت أرجلكم ٣٧٠
أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس ٣٧٠
أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ٣٧٧
ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ٣٧٨
إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان ٣٨٠

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ٣٩٣
إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون ٣٩٣
إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم ٣٩٥
إنا وجدنا آباءنا على أمة ٣٩٦
إن الله عنده علم الساعة ٤٠٦
إنَّا فتحنا لك فتحا مبينا ٤٠٦
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ٤٣٠
إن ربك واسع المغفرة ٤٣٠
الله خالق كل شيء ٤٣٢
إذا تتلى عليهم آيات الرحمن ٥١١

***

بديع السموات والأرض ١٣٢

***

تعرج الملائكة والروح إليه ٣٤٣
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ٣٥٩-٤١٢
تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ٣٧٦

***

ثم استوى على العرش ٣٤٨
ثم جعلنك على شريعة من الأمر ٩٣
ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا ٣٨٢
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا ٨٠
الحمد لله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ٣٣١الحاشية
الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما ٣٤٨

الذين يقولون ربنا إننا آمنا ٤٠٤الحاشية
ذلك بأن الله ولي الذين آمنوا ٤٩٤
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ٨٩
رب المشرقين ورب المغربين ١٦٤
الرحمن على العرش استوى ٣٥١_٤٧٢
ربنا آمنا بما أنزلت ٤٠٤الحاشية

***

سبح اسم ربك الأعلى ٣٤٣_٢٦٧
سنريهم آياتنا في الآفاق ٣١١
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ٤٠٢الحاشية

***

عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ٢٨٨
علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ٤٠٦الحاشية
عالم الغيب لا يعزب ٤٣٠

***

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ٥٦ _ ٨١
فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ٨٠
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ٨٨
فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي ١٨٨الحاشية
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ١٨٨الحاشية
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر ٩٢
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم ١٠٢
فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم ١٦٨

فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين	١٧٤
فبشر عباد	١٧٤
فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب	١٧٦
فتحرير رقبة مؤمنة	١٩٠
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة	٢٠٦
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٢٠٧
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة	٢٠٧
فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى	٢٠٧
فمن يكفر بالطغوت ويؤمن الله فقد استمسك	٢٣٩
فقال أنا ربكم الأعلى	٢٦٧
فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة	٢٧٢
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٢٨٦
فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون	٣٠٣
فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى	٣٠٤
فلينظر الإنسان إلى طعامه	٣١١
فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين	٣١٣
فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا	٣١٤
فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن	٣٥٩
فأينما تولوا فثم وجه الله	٣٧١
فويل للذين يكتبون الكتاب	٣٩٤
فأوحى إلى عبده ما أوحى	٤٠٢الحاشية
فذرهم حتى يلاقوا يومهم	٤١٨
فمن يرد الله أن يهديه يشرح	٤٣٦
فعال لما يريد	٤٦٣

فاسألوا أهل الذكر ٤٦٥
فإن تنازعتم في شيء ٥٠٩

***

قل ماكنت بدعا من الرسل ١٣٢
قولوا آمنا بالله ١٧٤
قد أفلح المؤمنون ١٧٥
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ١٧٥
قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ١٨٦ـ١٨٩ـ١٩٣
قل من يرزقكم من السماء والأرض ٢٣٤
قل يا أيها الكافرون ٢٤١
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ٢٨٧
قل لله الشفاعة جميعا ٢٨٨
قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات ٣٠٣
قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض ٣٠٩
قل فأت به إن كنت من الصادقين ٣١٥
قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ٣٢٧ـ٣٦٧
قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا ٣٧٠
قل ما كنت بدعا من الرسل ٤٠٦
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ٤٠٦الحاشية

***

كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك ١٠٣
كلوا وتمتعتوا قليلا إنكم مجرمون ٢٠٨
كان الناس أمة واحدة فبعث ٢٤٢
كل شيء هالك إلا وجهه ٣٦٩

كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥
كان الناس أمة واحدة فبعث الله	٣٩٣-٣٩٩
كنتم خير أمة أخرجت للناس	٤٠٥

***

للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم	٥٣
لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا	٨٧-٩٠
لاتجعلوا دعاء الرسول	٩٢
ليس كمثله شيء وهو السميع العليم	١١٣-٣٢٧
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب	١٦٩
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.	١٨٣
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه	٢٣٥
لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض	٢٨٧
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	٣٨٣
لا تذرن آلهتكم	٣٩٦
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	٤٠٣
لتنذر أم القرى ومن حولها	٤٠٣
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير	٤٣٠

***

محمد رسول الله والذين معه أشداء على	٥٣-٦٢
من يطع الرسول فقد أطاع الله	٩٢-١٠١
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل	١٦٤
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها	٢٧٨
من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه	٢٨٥
ما من شفيع إلا من بعد إذنه	٢٨٥

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ٢٨٦
من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ٢٨٩
مالكم لا ترجون للهِ وقارا ٣٢١ الحاشية
ممن ينقلب على عقبيه ٣٨٠
ماكان محمد أبا أحد ٤٠١ الحاشية
مامكروا وحاق بآل فرعون ٤١٧
ما أصاب من مصيبة ٤٣٠
من يهد الله فهو المهتدي ٤٣٣

***

هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله ٦٠
هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ٩٠ ـ ١٠٠
هو الذى خلق السموات والأرض ٣٤٩
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ٥٤
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ٥٤ ـ ٤٨٧
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ٦٢
واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض ٦٦
ولا تطع من أغفلنا قبله عن ذكرنا ٦٦
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ٦٧
ولا تكونوا كالذين تفرقوا ٦٧
وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض ٦٨
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ٨٠ ـ ٩١
وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ٨١ـ٤٠٥ حاشية
وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع ٨٢
ولا تقولنّ لشيء إنى فاعل ذلك غدا ٨٢

وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٨٤
وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين	٨٤
وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم	٨٦
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى	٨٦
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى	٨٦
واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم	٩٠
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك	٩٠
وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله	٩٠-١٠١
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم	٩٢
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة	٩٤
وإنك لتهدى الى صراط مستتقيم	٩٥
وما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	١٠٣
ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك	١٠٣
ونهى النفس عن الهوى	١٣١
ولئن اتبعت أهواءهم	١٣٢
ويزداد الذين ءامنوا إيمانا	١٦٨-١٧٠
وما كان الله ليضيع إيمنكم	١٧٧
وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	١٦٥
وزدناهم هدى	١٦٨
واذا ما أنزلت سورة فمنهم	١٦٩
وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه	١٧٤
وقولوا للناس حسنا	١٧٤
وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم	١٧٤
وإما ينسينّك الشيطان	١٧٤

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	١٧٥
وإذا مروا باللغو مروا كراما	١٧٥
والذين هم للزكاة فاعلون	١٧٥
ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر	١٧٥
والذين هم لفروجهم حافظون	١٧٥
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم	١٧٦
ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق	١٧٦
وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا	١٧٦
وما كان ليضيع إيمانكم إن الله بالناس	١٧٧
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول	١٧٧
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه	١٨٥
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	١٩٨_٢٠١
ولكن كذب وتولى	٢٠٧
وأقيموا الصلاة	٢٠٨
وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون	٢٠٨
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان	٢١٩
وجاءوا بسحر عظيم	٢١٩
ومن شر النفاثات في العقد	٢١٩
وما كفر سليمان ولكن	٢١٩_٢٢١
ومايعلمان من أحد حتى يقولا	٢١٩_٢٢١
ولا يفلح الساحر حيث أتى	٢٢١
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٢٢٨
ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	٢٢٨
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر	٦٦

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ٤٠٢الحاشية
وأنذر عشيرتك الأقربين ٤٠٣
وإنه لذكر لك ولقومك ٤٠٣
ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ٤٠٦الحاشية
وما كان ربك نسيا ٤١١
وكل شيء أحصيناه ٤٣٠
وكل شيء فعلوه في الزبر ٤٣١
وما تكون في شأن ٤٣١
وما تشاءون إلا أن يشاء الله ٤٣١
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٤٣١
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ٤٣١
وهو الخلاق العليم ٤٣٢

والله خلقكم وما تعملون ٤٣٢
ومن يرد الله فتنته فلن تملك ٤٣٦
والله يدعو إلى دار السلام ٤٣٦_٤٣٧
ومن يطع الله والرسول ٩٢_٥٠٩
ومن يعص الله ورسوله فإن له ٥٠٩
وإنك لتهدي ٥٠٩
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٣١٢_٣١٩الحاشية
ومن آياته خلق السموات والأرض ٣٢٠ الحاشية
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ٣٢١ الحاشية
وإلهكم إله واحد ٣٢٢
ولله الأسماء الحسنى ٣٣٤

وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا	٣٤١
وكلم الله موسى تكليما	٣٥٩
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه	٣٥٩
وإن أحد من المشركين استجارك فأجره	٣٦٠
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له	٣٦١
وإذ يرفع إبراهيم القواعد	٤٠٤الحاشية
واعتصموا بحبل الله جميعا	٤٠٥الحاشية
وأن هذا صراطي	٤٠٥الحاشية
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض	٤١٢
وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان	٥١١
وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٢٨_٣٩٢_٤٦٩
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا	٢٢٨
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٢٢٨
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا	٢٣٥
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٢٤١
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون	٢٤١
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى	٢٧٧
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء	٢٨٠
وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين	٢٨٢
وكم من ملك في السموات لا تغنى شفعتهم	٢٨٥
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى	٢٨٥
والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا	٢٨٦
ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم	٢٨٦
واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا	٢٨٦

وما لهم فيهما من شرك	٢٨٧
وماله منهم من ظهير	٢٨٧
واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا	٢٨٨
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة	٢٨٨
ويعبدون من دون الله مالا يضرهم	٢٩٠
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم	٣١٠
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم	٣٦٧
وما قدروا الله حق قدره	٣٦٨
ولا تدع مع الله إلها آخر لا اله إلا هو	٣٦٩
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	٣٧٠_٣٧١
ولتصنع على عيني	٣٧٦
واصنع الفلك بأعيننا	٣٧٦
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	٣٧٧
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا	٣٧٧
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم	٣٧٧
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم	٣٨٠_٣٨٢
وجوه يومئذ ناضرة	٣٨٣
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب	٣٨٤
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه	٣٩١
ولقد أرسنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا	٣٩١
واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان	٣٩٣
وإن منهم لفريقا يلوون	٣٩٤
وقالت اليهود عزير	٣٩٤
وكفى به إثما مبينا	٣٩٤

واذكر في الكتاب إبراهيم ٣٩٦
واتل عليهم نبأ إبراهيم ٣٩٦
واذكروا نعمة الله عليكم ٣٩٧
ورحمتي وسعت كل شيء ٤٠٠الحاشية
وما أرسلناك إلا كافة للناس ٤٠١الحاشية
ورفعنا لك ذكرك ٤٠١الحاشية
وإنك لعلى خلق عظيم ٤٠٢الحاشية
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ٤٠٢الحاشية
وأنه لما قام عبدالله يدعوه ٤٠٢الحاشية
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ٩٣
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ١٧٦
يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ٢٠٢
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم ٢٠٣
يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ٢٠٦
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ٢٤٢
يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ٢٨٩
يا آيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ٣٠٣
يا آيها الناس ضرب مثل فا ستمعوا له ٣٠٩
يخافون ربهم من فوقهم ٣٤٣
ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت ٣٦٧
اليوم أكملت لكم دينكم ٤٠٦ـ٤١١ـ الحاشية
يريد الله بكم اليسر ٤٣٦
يريد الله ليبين لكم ٤٣٦

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ٥٠٩
ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ٨٣
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب ٨٨ الحاشية
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ٩١
يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين ٩٣

* * *

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا	٦٣
أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله	٦٦
أين الله	٨٩-١٩٠
إن الله فرض عليكم صيام رمضان	١٣٥
الإيمان بضع وسبعون شعبة	١٦٩
أن تسلم قلبك لله	١٨٨
ألا وإن في الجسد مضغة	١٨٩
أتشهدين أن لا إله إلا الله	١٩٢
إنك امرؤ فيك جاهلية	١٩٨
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ	٢٠٢
إنه قد صدق	٢٠٣
إنه قد شهد	٢٠٣
إن بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة	٢٠٩
إذا جئت فصل مع الناس	٢١٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	٢١٤-٢٤٠
أليس يشهد أن لا إله إلا الله	٢١٤
أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة	٢١٥
أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني	٢١٩
إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	٢٣٦
أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح	٢٤٤-٢٥٨
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل	٣٤٤

استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت ٢٤٥
إذا مات أحد من إخوانكم ٢٤٦
أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ٢٥٥
ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ٢٥٨
ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ٢٦٦
أفلح- وأبيه إن صدق ٢٦٨
أما وأبيك لتنبأنه ٢٦٨
أقروا الطير على مكناتها ٢٧٤
إنما ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه ٢٧٥
أربع في أمتي من أمر الجاهلية ٢٧٦
اسكت فبئس الخطيب أنت ٢٨١
أمثلان. قل ماشاء الله ثم شئت ٢٨٢
أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ٢٩١
أمر أن يسترقى من العين ٢٩٣
استرقوا لها فإن بها النظرة ٢٩٣
اعرضوا عليَّ رقاكم ٢٩٣
إن الرقى والتمائم والتولة شرك ٢٩٤-٢٩٩
أذهب البأس رب الناس ٣٠٠
أن تجعل لله ندا وهو خلقك ٣٠٣
إن لله تسعة وتسعين اسما ٣٣٥
أسألك بكل اسم هو لك ٣٣٥
إن الله لما قضى الخلق كتب عنده ٣٤٩
إن في الجنة مائة درجة ٣٤٩
اعتقها فإنها مؤمنة ٣٥٣

أين ربك ٣٥٣
إحتج آدم وموسى ٣٥٨
أعوذ بوجهك ٣٧٠
اختصمت الجنة والنار ٣٧١
إن آخر من يدخل الجنة ٣٧٢
إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ٣٧٤
إن الله لايخفى عليكم ٣٧٨
إنكم سترون ربكم عيانا ٣٨٣
الإيمان أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ٣٩٣
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ٤٠٠الحاشية
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ٤٠١الحاشية
إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ٤٠٠الحاشية
ان العبد إذا وضع في قبره ٤١٨
أعوذ بالله من عذاب القبر ٤١٩
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ٤٢٢
الآن بردت جلدته ٤٢٣
اقتدوا بالذين من بعدى ٤٤٨
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ٤٦٦-٤٧٥
إياكم وما شجر بينهم ٤٦٦-٤٧٥

. . . .

بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ٣٠١
بنى الإسلام على خمس ٢٣٨
تركت فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا ٥٦
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ٢٨٣

ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويبشرهم ٣٧٤
جنتان من فضة ٣٧٠
حجى عنها ٤٢٢
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ٥٥
خمس صلوات كتبهن الله ٢١٥
دخل الجنة وأبيه إن صدق ٢٦٨
رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ٢١٠
زينوا القرآن بأصواتكم ٣٦٥
سمع رسول الله الحداء والرجز ٥٠٦
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ٢٩١
الطيرة شرك ٢٧٣
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ٢٠٩
فمن وفى منكم فأجره على الله ١٩٩
فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد ٢٣٨
فضحك رسول الله ﷺ ٣٧٥
فضلت على الأنبياء بست ١٤٠٠الحاشية
فأتي أبا بكر ٤٤٨
قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم ٣٤٢
كل بدعة ضلالة ١٣٥
كان ينفث على نفسه في المرض ٢٩٣
كل مولود يولد على الفطرة ٣٠٥
لعنة الله على اليهود والنصارى ٢٤٤
لعن الله زوارات القبور . . . ٢٦٤
لكل نبي دعوة مستجابة ٢٩١

لم يتوكل من استرقى أو اكتوى ٢٩٤
من سعادة المرء أن يشبه أباه ١٩
فهو منهومان لايشبعان ٢٨
من نسي الصلاة عليَّ ١١١
مارأيت من ناقصات عقل ودين ١٦٩
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ١٦٩
ما من عبد قال لا إله إلا الله ١٩٩
من أصاب منكم من هذه القاذورات ٢٠٢
ما هذا يا حاطب ٢٠٣
من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ٢٠٩
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ٢١٠
ما منعك أن تصلي ألست برجل مسلم ٢١٠
من شهد أن لا إله إلا الله ٢١٥
من اصطبح كل يوم تمرات عجوة ٢٢٠
من حلف بالأمانه فليس منا ٢٦٦
من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ٢٦٦
من حلف فقال في حلفه باللات والعزى ٢٦٦
من يطع الله ورسوله فقد رشد ٢٨١
من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي ٢٩١
من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه ٢٩٥
ما منكم إلا وسيكلمه ربه ٣٦١
ما من قلب إلا وهو بين أصبعين ٣٧٤
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ٣٧٩
مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ٤٠١الحاشية

من مات وعليه صيام صام عنه وليه ٤٢٢
المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام ٤٤٦
من سب أصحابي فقد سبني ٤٧٥
ما أذن الله لشيء أذنه لنبي حسن الترنم بالقرآن ٥٠٧
ما بعث الله نبينا إلا كان حقا عليه أن يدل أمته ٥١٠

....

نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ١١٤
نهى أن تبنى أو تجصص ٢٥٦
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ٢٦٣
نصرت بالرعب على العدو ٤٠٠ الحاشية
نعم ٤٢٢

....

هذا أخي وأنا أخوه ٢٠
هل تدرون ماذا قال ربكم ٢٧٧
هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ٢٩٤
هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ٣٨٣
هم مجوس هذه الأمة ٤٣٧
هل معك شيء من شعر أمية بن الصلت ٥٠٦
وما يدريك لعل الحدود نزلت كفارة للذنوب ٢٠٢ الحاشية
ورب الكعبة ٢٨٤

....

لا تسبوا أصحابي ٦٣ ـ ٤٧٥
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ١١٥
لا تأتوا الكهان ١٩١

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ١٩٩

لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٢١٤

لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم ٢٦٨

لاعدوى ولا طيرة ٢٧٣

لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا ٢٩٥

لاتسبوا الدهر ٣٤١

لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ٤٠٢الحاشية

لا تفضلوني على موسى ٤٠٧

لا تفضلوا بين الأنبياء ٤٠٨

لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ٤٠٨

لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى ٤٠٨

لاينبغى لنبي أن يقول أنا خير من يونس بن متى ٤٠٨

من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ٤٠٨

لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ٤٢٢

. . . .

يا عدي ابن حاتم ألق هذا الوثن ١٢١

يا عبد الرحمن إني لـما كنت حيث رأيتني ١٦١

يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ٢٣٧

ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة ٣٥٥

يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك ٣٦٠

يضحك الله إلى رجلين ٣٧٢

يا بني عبد مناف إن الله بعثني ٤٠٣

فهرس الآثار

الاعتصام بالسنة نجاة — الزهري ٥١٠
اعلموا رحمكم الله أن الرجل من أهل العلم — أحمد ٤٨٨
أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر — أحمد ٦٢
إذا لقيت أولئك فأخبرهم.. — ابن عمر ٦٤
إني وجدت أهل الكلام — أبوحنيفة ٧٤
أهل الكلام بئس القوم — مالك ٧٥
إلى الله إلى كتاب الله جل وعلا — عطاء ٨٠
أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله — أحمد بن حنبل ١٢٨
إذا لقيت هؤلاء ـ القدرية ـ — ابن عمر ١٣٧
الإيمان يزيد وينقص — عمير بن حبيب ١٦٧
الإيمان يزداد وينقص — ابن عباس وأبو هريرة ١٦٧
أنا مؤمن فقال ابن مسعود أفانت من أهل الجنة — ابن مسعود ١٨٣
أن لا تدع تمثالا إلا طمسته — علي بن أبي طالب ٢٥٥
أجاد ما أقرى المجدح البارحة — عن عمر بن الخطاب ٢٨١
أرقيها بكتاب الله — أبو بكر ٢٩٧
استواؤه معقول وكيفيته مجهولة — مالك ٣٥١

***

تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه. — ابن عباس ٥٦
السنة كسفينة نوح من ركبهانجا — مالك ٥١٠

***

العلم بالكلام هو الجهل — أبو يوسف ٧٥

كان بين نوح وآدم عشرة قرون ابن عباس ٢٤٢
كم بقي من نوء الثريا عمر بن الخطاب ٢٧٨
كان عبد الله إذا جاء من حاجة زينب امرأة عبد الله ابن مسعود٢٩٩

***

لا يفلح صاحب كلام أبدا الإمام أحمد ٧٥
لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم أبو قلابة ١٣٧
لا تجالسوا أصحاب الأهواء ابن سيرين والحسن ١٣٨
لا تجالس صاحب بدعة الحسن ١٣٨
لم يكن أصحاب رسول الله عبد الله بن شقيق ٢١١
لو منعوني عقالا أبو بكر ٢١٤
لا تشتم السلف وادخل الجنة بسلام سفيان الثوري ٤٤٢

***

من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه سفيان الثوري ٦٦
من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ابن مسعود ١٢٨
ما أدركت أحد إلا على الاستثناء يحيى بن سعيد ١٨٣
نؤمن بها ونصدق بها.. يحيى بن سعيد٦٢
نعمت البدعة هذه عمر بن الخطاب ١٣٤

***

هلموا نزداد إيمانا عمر بن الخطاب١٦٧
هذه أسماء رجال صالحين ابن عباس ٢٤٢

***

يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم حذيفة ١٢٨
يقال ممن الرجال فيقال من العرب مجاهد ٤٠٣

فهرس الأعلام المترجم له

رقم الصفحة

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ٣٠
إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي ٤١
إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن الزهري ٤٢
إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم ٤٥
إبراهيم بن إسماعيل بن علية جهمي ٣٦٤
أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي ٣٦٩

***

بشر بن غياث المريسي ٤٨٠

***

جعفر بن أبي طالب الهاشمي ٤٤٢

***

الحسين بن علي الكرابيس ١١٠
حرملة بن يحيى بن عمران التجيبي ١٥٨
حفص الفرد ١٥٩
الحسن بن محمد بن الصياح الزعفراني ١٩٢
حمزة بن عبد المطلب القرشي ٤٤٢
الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٤٢
الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٤٢
الربيع بن سليمان ٤٥-١٥٩

***

سفيان بن عيينة ٤١

***

سعد بن أبي وقاص ٤٤٢
سعيد بن زيد ٤٤٢

***

طلحة بن عبيد الله التميمي ٤٤٢

***

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ٢٨
عطاء بن أبي رباح ٢٩
عبد الرحمن بن أبي بكر ٤١
عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي ٤٢
عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ١٥٨
عبد الرحمن بن عوف القرشي ٤٤٢
عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي ٤٤٢
عمرو بن عبيد البصري ٤٧٩
عبد الله بن سبأ اليهودي ٤٨٤
مسلم بن خالد المخزومي ٤٢
مالك بن أنس ٤٢
محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ٤٢
مطرف بن مازن الصنعاني ٤٢
محمد بن الحسن الشيباني ٤٣
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أيمن
محمد بن إدريس بن مهران العطفاني الحنظلي أبو حاتم ١٥٨
مصلاق الإباضي ١٥٩
معمر بن المثنى التيمي ٣٥٢
معبد بن خالد الجهني ٤٧٩

مسلم بن ميمون ٥٠٣
محمد بن عبد الملك الكرجي أبو الحسن ٣٦٩
هشام بن يوسف الصنعاني ٤٢
وكيع بن الجراح الرؤاسي ٤٣
واصل بن عطاء البصري ٤٧٩

. . . .

يوسف بن يحيى المصري البويطي ٤٦
يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف) ٣٠

فهرس المراجع

١ - آداب الشافعي ومناقبه
الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي
تحقيق الدكتور عبد الغني عبد الخالق.
٢ ـ الإباضية ـ الدكتور صابر طعيمة، دار الجيل ١٤٠٦هـ.
٣ ـ إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطله والجهمية
ابن القيم الجوزية.
٤ ـ الأحكام في أصول الأحكام
سيف الدين علي بن محمد الآمدي
دار الفكر ١٤٠١هـ
٥ ـ أحكام القرآن للشافعي
جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
٦ ـ إحياء علوم الدين
أبو حامد الغزالي
مؤسسة الحلبي ١٣٨٧
٧ ـ اختصار علوم الحديث وشرحه الباعث الحثيث
للحافظ ابن كثير شرحه أحمد شاكر، دار التراث، طـ ٣، ١٣٩٩هـ.
٨ ـ أخبار الآحاد في الحديث النبوي
الشيخ عبد الله بن جبرين ـ الرياض
٩ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول
محمد بن علي الشوكاني
دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

١٠ ـ الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد
د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.
الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الرياض ـ ١٤١٠هـ.

١١ ـ إرواء الغليل
محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي طـ ١/١٣٩٩.

١٢ ـ الأسماء والصفات
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
دار الكتب العلمية طـ ١ ـ ١٤٠٥.

١٣ ـ أصول مذهب الإمام أحمد
د/ عبد الله التركي طـ ٣، ١٤١٠ مؤسسة الرسالة

١٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة
للحافظ ابن حجر
دار إحياء التراث العربي مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

١٥ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

١٦ ـ الاعتصام
أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي
مكتبة الرياض الحديثة

١٧ ـ الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

أبو بكر ـ أحمد بن الحسين البيهقي

تحقيق أحمد عصام الكاتب. دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ط ١، ١٤٠١هـ

١٨ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين

ابن قيم الجوزية

مطابع الإسلام ـ القاهرة ١٤٠٠هـ

١٩ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

ابن قيم الجوزية

تحقيق محمد حامد الفقي

مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ القاهرة

٢٠ ـ إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

شيخ الإسلام ابن تيمية.

تحقيق د/ ناصر بن عبد الكريم العقل

شركة العبيكان ط ١/ ١٤٠٤ هـ الرياض

٢١ ـ الأم

الإمام الشافعي

دار المعرفة ـ بيروت

٢٢ ـ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضيه التأويل

محمد السيد الجليند

الرئاسة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٩٣هـ.

٢٣ ـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع
جلال الدين السيوطي
تحقيق ـ مشهور حسن سلمان
دارابن القيم طـ ١/ ١٤١٠هـ.
٢٤ ـ الأنساب
أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني
تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
الناشر محمد أمين دبح ـ بيروت طـ ٢ ـ ١٤٠٠هـ.
٢٥ ـ الإيمان
شيخ الإسلام ابن تيمية
المكتب الإسلامي طـ ٣ ـ ١٤٠١هـ.
٢٦ ـ الإيمان
أبو عبيد القاسم بن سلام
تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني
نشر دار الأرقم ـ الكويت.
٢٧ ـ الإيمان
أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي
تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني
نشر دار الأرقم ـ الكويت.
٢٨ ـ الإيمان
ابن منده
تحقيق الدكتور/ علي ناصر فقيهي ـ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤٠١هـ.

٢٩ ـ الباعث على إنكار البدع
أبو شامة
تصحيح محمد فؤاد الطرابلسي
دار الأصفهاني جدة
٣٠ ـ البدع والنهي عنها
محمد بن وضاح القرطبي
ط ٢ دار الرائد ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ.
٣١ ـ البداية والنهاية
ابن كثير
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ
٣٢ ـ بيان تلبيس الجهمية
ابن تيمية
تصحيح وتكميل وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
مطبعة الحكومة مكة المكرمة ط ـ ١ ـ ١٣٩١هـ.
٣٣ ـ تاريخ دمشق
ابن عساكر مخطوط
٣٤ ـ تبيين كذب المفتري
ابن عساكر
دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٩هـ.
٣٥ ـ تحرير المقالة في شرح الرسالة
مخطوط في مكتبة الجامعة الإسلامية.
المدينة المنورة.

٣٦ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي
أبو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري
اشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف
قام بنشره محمد عبد المحسن الكتبي طـ٢/ ١٣٨٣هـ.
٣٧ ـ تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي السيوطي
حققه عبد الوهاب عبد اللطيف طـ ٢/ ١٣٩٩.
دار إحياء السنة النبوية
٣٨ ـ تذكرة الحفاظ
الذهبي
دار إحياء التراث العربي
٣٩ ـ الترغيب والترهيب
المنذري
تحقيق مصطفى محمد عمارة ـ دار الفكر ١٤٠١هـ.
٤٠ ـ تطهير الإعتقاد
الصنعاني
٤١ ـ تعظيم قدر الصلاة
للإمام محمد بن نصر المروزي
تحقيق / د ـ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي
الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة طـ ١/ ١٤٠٦هـ.
٤٢ ـ تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
مطبعة البابي الحلبي ـ ط٣ ـ ١٣٨٨هـ.

٤٣ ـ تفسير البغوي المسمى معامل التنزيل
أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي
إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك
ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت ط ١/ ١٤٠٦هـ.

٤٤ ـ تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن
أبو عبيد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
اعاد طبعه دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦٧.
توزيع دار الباز مكة المكرمة

٤٥ ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل ابن كثير دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ

٤٦ ـ تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
نشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ـ ١٤٠٤هـ.

٤٧ ـ تقريب التهذيب
الحافظ ابن حجر
تحقيق محمد عوامة
دار الرشيد سوريا ـ حلب ـ ط ١/ ١٤٠٦هـ.

٤٨ ـ تلبيس إبليس
ابن الجوزي
محمد محمود الإستانبولي ١٣٩٦هـ.

٤٩ ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير
الحافظ ابن حجر
عنى بتصحيحه السيد عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٤هـ.
٥٠ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
الطابع وزارة الأوقاف المغربية تحقيق جماعة من العلماء
٥١ـ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل
القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني
تحقيق عماد الدين أحمد حيدر
مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ ١٤٠٧هـ.
٥٢ ـ تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران أحمد ابن حجر آل بوطامي آل بنعلي علي القطري ١٣٩٩هـ ط ٢ مطابع قطر الوطنية ـ الدوحة قطر.
٥٣ ـ تهذيب الأسماء واللغات
أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووي
إدارة الطباعة المنيرية.
٥٤ ـ تهذيب الكمال
المزي مخطوط
٥٥ ـ تهذيب مدارج السالكين لابن القيم
هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي
وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف
بدولة الإمارات العربية المتحدة

٥٦ ـ تهذيب التهذيب
الحافظ ابن حجر
مصور عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٦هـ.
٥٧ ـ التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل
إمام الأئمة ابن خزيمة.
دراسة وتحقيق/ د ـ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان
دار الرشد ـ الرياض ـ ٧ط ١ ـ ١٤٠٨ـ.
٥٨ ـ التوحيد
عبد المجيد الزنداني ط٣ ـ ١٤٠٨ هـ ـ دار المجتمع جدة
٥٩ ـ توالى التأسيس لمعالي محمد بن إدريس
الحافظ ابن حجر
حققه ابو الفداء عبد الله القاضي
دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٦هـ.
٦٠ ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم
ابن رجب الحنبلي.
٦١ ـ جامع بيان العلم وفضله
ابن عبد البر ١٣٩٨ مكتبة الباز مكة المكرمة
٦٢ ـ جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام
ابن قيم الجوزية
٦٣ ـ جماع العلم
الإمام الشافعي
تحقيق أحمد شاكر

٦٤ ـ جوهرة التوحد
إبراهيم اللقاني
مطبعة مصطفي البابي الحلبي مصر.
٦٥ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
ابن قيم الجوزية
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ، ١٤٠٣هـ.
٦٦ ـ خاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد الشيخ علي الصعيدي.
دار المعرفة ـ بيروت
٦٧ ـ الحجة في بيان الحجة وشرح عقيدة أهل السنة
الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني
تحقيق د/ محمد بن ربيع مدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم.
دار الراية الرياض طـ١، ١٤١١هـ
٦٨ ـ حليه الأولياء وطبقات الأصفياء
أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
دار الكتاب العربي ـ بيروت ط٣، ١٤٠٠هـ.
٦٩ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور
السيوطي
دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
٧٠ ـ درء تعارض العقل والنقل
شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق د/ محمد رشاد سالم

طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ط ١، ١٤٠١هـ.

٧١ ـ دراسة حديث نصر الله امرءا سمع مقالتي.

الشيخ عبد المحسن العباد. طبع في مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ط١، ١٤٠١هـ.

٧٢ ـ الدر الثمين والمورد العذب المعين

محمد أحمد ميارة المالكي

المكتبة التجارية الكبرى

توزيع دار الفكر بيروت.

٧٣ ـ دعوة التوحيد

محمد خليل هراس ط١

٧٤ ـ دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض

عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف.

دار طيبة الرياض ١٤٠٩هـ.

٧٥ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية.

تحقيق د. محمد السيد الجليند

مؤسسه علوم القرآن ـ دمشق ـ بيروت ط ٢، ١٤٠٤هـ.

٧٦ ـ ديوان الإمام الشافعي

جمع محمد عفيف الزغبي

مكتبة المعرفة ط٣، ١٣٩٢هـ.

٧٧ ـ الرسالة

الإمام الشافعي

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط ٢ ١٣٩٩ .
مكتبة دار التراث بالقاهرة
٧٨ ـ الرسالة القشيرية
أبو القاسم عبد الكريم القشيري
تحقيق د. عبد الحليم محمود ود/ محمد بن الشريف
الناشر دار الكتب الحديثة القاهرة
٧٩ ـ رد الانتقاد
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ط١ .
٨٠ ـ روضة الطالبين
أبوزكريا يحيى بن شرف النووي المكتب الإسلامي.
٨١ ـ روضة الناظر وجنة المناظر
موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي
دار الكتاب العربي ـ بيروت ط ١، ١٤٠١هـ.
٨٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد
ابن قيم الجوزية
تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادرالأرناؤوط
مؤسسة الرسالة ط١، ١٣٩٩هـ.
٨٣ ـ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي
٨٤ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة
محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي

٨٥ ـ سنن الترمذي

الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي

حققه عبد الرحمن محمد عثمان

دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ.

٨٦ ـ سنن أبي داود

راجعه محمد محيي الدين عبد الحميد

دار الباز مكة المكرمة

٨٧ ـ سنن ابن ماجة

بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

دار الفكر بيروت.

٨٨ ـ سنن النسائي

شرح السيوطي

حاشية السندي

دار الكتاب العربي ـ بيروت

٨٩ ـ سنن الدارمي

تحقيق عبد الله هاشم اليماني

شركة الطباعة الفنية المتحدة

٩٠ ـ سنن الدارقطني

تحقيق عبد الله هاشم اليماني

دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة ١٣٨٦

٩١ـ السنن الكبرى
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
توزيع دار الباز مكة المكرمة
٩٢ ـ السنن والمبتدعات
محمد بن عبد السلام بن خضر الشقيري
دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٥هـ.
٩٣ـ السنة
عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل
تحقيق ودراسة: د/ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني
دار ابن القيم ـ الدمام طـ١، ١٤٠٦هـ.
٩٤ ـ السنة
أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال
دراسة وتحقيق د/ عطية الزهراني
دار الراية الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
٩٥ ـ سير أعلام النبلاء
للحافظ الذهبي
تحقيق شعيب الارناؤوط وجماعة
مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٢هـ.
٩٦ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الالكائي

تحقيق د/ أحمد بن سعد الغامدي
دار طيبة الرياض
٩٧ ـ شرح السنة
أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي
تحقيق شعيب الأرناؤوط
المكتب الإسلامي دمشق ١٤٠٠هـ.
٩٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية
ابن أبي العز الحنفي
خرج أحاديثها محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ط٧.
٩٩ ـ الشريعة
الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجري
تحقيق محمد حامد الفقي
الناشر حديث أكادمي باكستان ط١، ١٤٠٣هـ.
١٠٠ ـ شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير.
أبو العباسي أحمد بن عبد العزيز الفتوحي
تحقيق محمد حامد الفقي
مكتبة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ.
١٠١ ـ شرح مسلم
النووي
دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

١٠٢ ـ شرح مسلم المسمى المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم أبو العباس أحمد بن أبي حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ـ مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية ٢٣٤٣.

١٠٣ ـ شرح موطأ الإمام مالك

محمد الزرقاني

مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩.

١٠٤ ـ شرح نونية ابن القيم

محمد خليل هراس

الفاروق الحديثة ١٤٠٤هـ.

١٠٥ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري

الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ط١.

١٠٦ ـ شرح البخاري

ابن بطال مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية.

١٠٧ ـ شرح حديث النزول

شيخ الإسلام ابن تيمية

ضمن مجموع الفتاوى

١٠٨ ـ شرح العقيدة الأصفهانية

شيخ الإسلام ابن تيمية

دار الكتب الإسلامية ١٣٨٥هـ

١٠٩ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم مكتبة دار التراث.

١١٠ ـ شعب الإيمان
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
رسائل ماجستير مكتبة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية
١١١ ـ صحيح البخاري الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
ضبطه ورقمه وعنى به د/ مصطفي ديب البغا
دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ.
١١٢ ـ صحيح مسلم
الإمام مسلم بن الحجاج القشيري
ترتيب أحمد فؤاد عبد الباقي
١١٣ ـ صحيح الجامع الصغير
محمد ناصر الدين الإسلامي
المكتب الإسلامي
١١٤ ـ صحيح الترغيب والترهيب
محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي
١١٥ ـ الصفات الإلهية
الدكتور محمد أمان الجامي
الجامعة الإسلامية ١٤٠٨هـ.
١١٦ ـ صفة الصفوة
ابن الجوزي
توزيع مكتبة الباز مكة المكرمة ط٢ ١٣٩٩هـ.

١١٧ ـ الصلاة وحكم تاركها
ابن القيم
تحقيق تيسير زعيتر
المكتب الإسلامي ط٢، ١٤٠٥هـ.
١١٨ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
ابن القيم
حققه/ د. علي بن محمد الدخيل الله
دار العاصمة الرياض ط١، ١٤٠٨.
١١٩ ـ الصواعق المنزلة
ابن القيم
حققه د/ علي بن ناصر فقيهي ود/ أحمد بن عطيه الغامدي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٢٠ ـ صون المنطق والكلام عن متن المنطق والكلام
السيوطي، علق عليه علي سامي النشار
دار الكتب العلمية.
١٢١ ـ ضعيف الجامع الصغير
محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي
١٢٢ ـ طبقات الحنابلة
القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلي
دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٣ ـ طبقات الشافعية

السبكي

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي طـ١، ١٣٨٤هـ

١٢٤ ـ طبقات الشافعية

أبو بكر بن أحمد بن محمد أمين قاضي شهبة.

بعناية د/ الحافظ عبد الحليم عبد الحليم خان.

مكتبة مدينة العلم مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٢٥ ـ طبقات الشافعية

جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي

تحقيق عبد الله الجبوري، دار العلوم ١٤٠١هـ.

١٢٦ - طبقات الشافعية

ابن كثير مخطوط

١٢٧ - العلم

ابن أبي خيثمة

تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

نشر دار الأرقم الكويت

١٢٨ - العقيده الإسلامية بين السلف والمعتزلة

محمد أحمد خفاجي

مطبعة الإمامة

١٢٩ - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين

رضا نعسان
توزيع الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض
١٣٠ - عقيدة المسلمين
الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ط٣/ ١٤٠٩هـ.
١٣١ - عقيدة أصحاب الحديث
الصابوني
ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.
١٣٢ - عقيدة الحافظ عبدالغني المقدسي
تحقيق عبدالله بن محمد البصيري ط١/ ١٤١١هـ.
١٣٣ - العقيدة السلفية في كلام رب البرية.
عبدالله بن يوسف الجديع ط١، ١٤٠٨
١٣٤ - عون المعبود شرح سنن أبي داود-أبوالطيب العظيم أبادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية.
تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان
محمد عبدالمحسن الكتبي ط٢، ١٣٨٨هـ.
١٣٥ - غاية النهاية في طبقات القراء
شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد الجزري
دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ١٤٠٠ هـ.
١٣٦ - فتح الباري
الحافظ ابن حجر
المكتبه السلفية

١٣٧ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
الرئاسه العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٠٣
١٣٨ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني
أحمد عبدالرحمن البنا
دار الشهاب القاهرة.
١٣٩ - الفرق بين الفرق
عبدالقاهر بن طاهر البغدادي
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد
دار المعرفة-بيروت.
١٤٠ - الفصل في الملل والأهواء والنحل
ابن حزم
دار الفكر- بيروت
١٤١ - فضل علم السلف على علم الخلف
الإمام ابن رجب ضمن مجموعة رسائل الدار السلفية
١٤٢ - فضل الصلاة على النبىﷺ
إسماعيل القاضي
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي
١٤٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير
المناوي

دار الفكر ط ٢ ١٣٩١هـ.

١٤٤ - القاموس المحيط

الفيروز أبادي

مؤسسه الرسالة ط١.

١٤٥ - قوت القلوب

أبوطالب المكي

دارصادر

١٤٦ - قواعد المنهج السلفي

د/ مصطفى حلمي

دار الأنصار ط-١-١٣٩٦

١٤٧ - القواعد المثلى

محمد الصالح العثيمين

١٤٨ - القول البديع في الصلاة على الشفيع

شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي

دار الكتب العلمية بيروت ط٣، ١٣٩٧.

١٤٩ - الكامل فى ضعفاء الرجال

أبوأحمد عبدالله بن عدي الجرجاني

دار الكفر ط- ١-١٤٠٤هـ.

١٥٠ - كشف الخفاء ومزيل الالتباس

العجلوني

تحقيق أحمد القلاش مكتبة التراث الإسلامي.
١٥١ - كشف الشبهات
الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.
١٥٢ - الكفاية في علم الرواية
الخطيب البغدادي
مراجعة عبدالحليم محمد عبدالحليم
دار الكتب الحديثة ط٢
١٥٣ - لسان الميزان
الحافظ ابن حجر
دار الفكر
١٥٤ - لسان العرب
ابن منظور
دار صادر
١٥٥ - لمحات في أصول الحديث
د/ محمد أديب صالح
المكتب الإسلامي ط ٣، ١٣٩٩
١٥٦ - لوامع الأنوار البهية
محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي
مطبعة المدني
١٥٧ - المبسوط
أبوبكر محمد بن أحمد السرخسي
إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان ١٤٠٧هـ.

١٥٨ - المجموع شرح المهذب
أبوزكريا محيى الدين بن شرف النووى
دار الفكر
١٥٩ - مجموع فتاوى ابن تيمية
جمعه عبدالرحمن بن قاسم
توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحـوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.
١٦٠ - مجموعه القصائد المفيدة
الطبعة الأولى الرياض.
١٦١ - مجموعة الرسائل المنيرية
إدارة الطباعة المنيرية
توزيع دار الباز مكة المكرمة.
١٦٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي
بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر
دار الكتاب العربى ط٣،١٤٠٢هـ.
١٦٣ - محاضرات في السلفية
محمد لبيب
مكتبة العلم- القاهرة ط ٢، ١٤١٠هـ.
١٦٤ - المحلى

على بن أحمد بن حزم
مكتبة الجمهورية العربية مصر ١٣٨٧ .
١٦٥ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم
اختصار محمد الموصلى
مكتبة الرياض الحديثة
١٦٦ - مختصر المزني لكتاب الأم للشافعي
المزني
دار المعرفة .
١٦٧ - مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي
اختصره وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
المكتبة الإسلامية ط ١، ١٤٠١هـ .
١٦٨ - مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعه معالم السنن للخطابى وتهذيب ابن القيم
تحقيق الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض .
١٦٩ - مدارج السالكين
ابن قيم الجوزية
تحقيق- محمد حامد الفقي
مطبعة السنة النبوية ١٣٧٥هـ .
١٧٠ - مذكرة في أصول الفقه .
الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي .
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١٧١ - المستدرك على الصحيحين
أبوعبدالله الحاكم النيسابوري
دار الكتاب العربي بيروت.
١٧٢ - مسند الإمام أحمد
المكتب الإسلامي
١٧٣ - مسند أبي يعلى الموصلي
تحقيق حسن سليم أسد
دار المأمون للتراث ط ١، ١٤٠٤هـ.
١٧٤ - المسودة في أصول الفقه لآل تيمية.
تحقيق محيي الدين عبدالحميد
مطبعه المدني القاهرة ١٣٨٤هـ.
١٧٥ - مشكل الآثار
الحافظ أبوجعفر أحمد بن محمد الطحاوي
طبع الهند ١٣٣١هـ.
١٧٦ - مشكاة المصابيح
محمدبن عبدالله الخطيب التبريزي
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامى ١٣٨٢.
١٧٧ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي
أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي
المكتبة العلمية-بيروت.

١٧٨ - المصنف في الأحاديث والآثار
أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة.
حققه عبدالخالق الأفغاني
الدار السلفية بالهند ط ٢ ١٣٩٩هـ.
١٧٩ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة
أحمد الكناني البوصيري
تحقيق محمد المتقي الكشناوي
دار العربية للطباعة بيروت ط ١-٢-١٤٠٢هـ.
١٨٠- معجم البلدان
ياقوت بن عبدالله الحموي
دار صادر ١٤٠٤هـ.
١٨١ - المعجم الكبير
للحافظ أبي القاسم الطبراني
حققه حمدي عبدالمجيد السلفي
مطبعة الأمة-بغداد.
١٨٢- المعجم الوسيط
لجنة بإشراف مجمع اللغة العربية
دار الدعوة.
١٨٣ - معالم الإنطلاقة الكبرى
أحمد عبدالهادي المصري
دار طيبة الرياض ط١، ١٤٠٨هـ.

١٨٤ - معالم السنن
أبوسليمان الخطابي
المكتبة العلمية- بيروت-ط٢-١٤٠١هـ.
١٨٥ - معارج القبول
الشيخ حافظ الحكمي
المطبعة السلفية
١٨٦ - المغني
أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي
طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض .
١٨٧ - المغني
لابن قدامة
تحقيق د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح الحلو هجر للطباعة والنشر ط١، ١٤٠٦.
١٨٨ - المفردات في غريب القرآن
الراغب الأصفهاني
تحقيق محمد سيد كيلاني
مطبعة البابي الحلبي ١٣٨١هـ.
١٨٩ - مفتاح دار السعادة
ابن القَيم
توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية الرياض

١٩٠- مفيد العلوم ومبيد الهموم

القزويني

١٩١ - مفتاح الجنة

السيوطي- الجامعة الاسلامية

١٩٢ - المفسرون بين التأويل والإثبات

محمد بن عبدالرحمن المغراوي

دارطيبة الرياض ١٧-٥-١٤٠٥هـ.

١٩٣ - مقدمة ابن خلدون

ابن خلدون ط١

١٩٤ - الملل والنحل

أبوالفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني

مطبوع بهاش الفصل لابن حزم

١٩٥ - مناقب الشافعي

أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي

تحقيق أحمد صقر

دار التراث ط١/١٣٩١هـ

١٩٦ - مناقب الشافعي

الفخر الرازي

تحقيق أحمد حجازي السقا

مكتبة الكليات الأزهرية ط١ ١٤٠٦هـ.

١٩٧ - منهاج السنة
شيخ الإسلام ابن تيمية
د/ محمد رشاد سالم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط١.
١٩٨ - منهج السلف في العقيدة
د/ صالح بن سعد السحيمي١٤٠٩
١٩٩- منهج الأشاعرة في العقيدة
د/ سفر الحوالي
مجلة الجامعة الإسلامية
٢٠٠- المنتقى شرح موطأ مالك
أبوالوليد سليمان بن خلف الباجي
مطبعة السعادة ط١/ ١٣٣١
٢٠١ - المنتقى من منهاج الإعتدال
الذهبي
الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية الرياض
٢٠٢ - منهاج الأدلة
ابن رشد ط٢
٢٠٣ - موطأ الإمام مالك
صححه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي
دار إحياء الكتب العربية

٢٠٤ - الموافقات في أصول الأحكام
أبواسحاق بن موسى الشاطبي
دار الفكر
٢٠٥ - المواقف في علم الكلام
عبدالرحمن بن أحمد الإيجي
عالم الكتب- بيروت.
٢٠٦ - ميزان الإعتدال
الذهبي
تحقيق علي محمد البجاوي
دار المعرفة- بيروت ط١، ١٣٨٢هـ.
٢٠٧ - نخبة الفكر
الحافظ ابن حجر
شرح الشيخ حماد بن محمد الأنصاري
دارالعدوي ط١.
٢٠٨ - النبوات
شيخ الإسلام ابن تيمية
دار الكتب العلمية بيروت-١٤٠٢هـ.
٢٠٩ - النصيحة
الواسطي
المكتب الإسلامي

٢١٠ - النهاية في غريب الحديث
ابن الأثير الجزري
المكتبة الإسلامية.
٢١١ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج
محمد بن أبي العباس أحمد الرملي
البابي الحلبي ١٣٨٦.
٢١٢ - النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد
جاسم الفهيد الدوسري
دار الخلفاء ط١/ ١٤٠٤هـ.
٢١٣ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار
محمد بن علي الشوكاني
دار الجيلي ١٣٩٣
٢١٤ - هذه مفاهيمنا
صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ط١
٢١٥ - وفيات الأعيان
ابن خلكان
حققه در إحسان عياش
دار صادر
٢١٦ - الوافي بالوفيات
صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ألمانيا ط٢.



فهرس الموضوعات

الصفحة

الباب الأول ــــــــ ١٥
الفصل الأول: ترجمة الإمام الشافعي ــــــــ ١٧
المبحث الأول: اسمه ونسبه ــــــــ ١٩
لقبه ــــــــ ٢٠
المبحث الثاني: مولده ونشأته ــــــــ ٢١
طلبه للعلم ــــــــ ٢٣
المبحث الثالث: رحلاته في طلب العلم ــــــــ ٢٥
رحلته إلى المدينة ولقاؤه بالإمام مالك ــــــــ ٢٦
رحلته إلى اليمن ــــــــ ٢٨
محنته ــــــــ ٣٠
لقاؤه بمحمد بن الحسن ــــــــ ٣٣
رجوعه إلى مكة ــــــــ ٣٤
رحلته الثانيه إلى العراق ــــــــ ٣٦
رحلته إلى مصر ــــــــ ٣٧
وفاته ــــــــ ٣٩
المبحث الرابع: شيوخه ــــــــ ٤١
لقاؤه بالإمام أحمد ــــــــ ٤٣
المبحث الخامس: تلاميذه ــــــــ ٤٥
المبحث السادس: كتبه ــــــــ ٤٨
الفصل الثاني: أصول الشافعي في إثبات العقيدة ــــــــ ٥١

المبحث الأول: منهج السلف فى إثبات العقيدة ـــــــ ٥٣
تعريف كلمة السلف ـــــــ ٥٣
القاعدة الأولى: تحكيم الكتاب والسنة ـــــــ ٥٦
الأمر الأول: تقديم النقل على العقل ـــــــ ٥٧
الأمر الثاني: عدم التأويل ـــــــ ٥٩
الأمر الثالث: عدم التفريق بين الكتاب والسنة ـــــــ ٦١
القاعدة الثانية: تعظيم قول الصحابة رضي الله عنهم ـــــــ ٦٢
الأدلة على دقة فهم الصحابة ـــــــ ٦٣
القاعدة الثالثة: حفظ العقول عن تكلف البحث ـــــــ ٦٤
القاعدة الرابعة: التحذير من البدع وأهلها ـــــــ ٦٥
القاعدة الخامسة: الحرص على جماعة المسلمين ـــــــ ٦٧
المبحث الثاني: منهج المتكلمين ـــــــ ٦٩
تعريف علم الكلام ـــــــ ٦٩
الأصل الأول: تقديم العقل على النقل ـــــــ ٧٠
الأصل الثاني: تأويل النصوص ـــــــ ٧٣
موقف السلف من علم الكلام ـــــــ ٧٤
المبحث الثالث: أصول الشافعي في إثبات العقيدة ـــــــ ٨٠
الأصل الأول: الالتزام بالكتاب والسنة ـــــــ ٨٠
مكانة السنة عند الإمام الشافعي
وردّه على من أنكر حجيتها ـــــــ ٨٦
تعقيب لأحمد شاكر على الإمام الشافعي ـــــــ ٨٨
أقسام مَنْ رَدَّ السنة ـــــــ ٩٩
الأصل الثاني: خبر الآحاد ومكانته عند الإمام الشافعي ـــــــ ١٠٦

شروط قبول الحديث عند الشافعي ـــــــــــ ١٠٨
مايفيده خبر الواحد ـــــــــــ ١٠٩
العمل بخبر الواحد ـــــــــــ ١١٢
مسألة عظيمة في خبر الواحد تدل على عظم فقه
الإمام الشافعي ـــــــــــ ١١٩
حكم مَنْ رَدَّ خبر الآحاد ـــــــــــ ١٢٠
موقف الإمام الشافعي من التقليد ـــــــــــ ١٢١
الأصل الثالث: تعظيمه لفهم الصحابة ـــــــــــ ١٢٧
الأصل الرابع: مجانبة أهل الأهواء والبدع والكلام وذمهم ـــــــــــ ١٣١
تقسيم الإمام الشافعي للبدع وبيان
أنه لايصلح مستمسكا لأهل البدع ـــــــــــ ١٣٣
رأى الإمام الشافعي في شهادة أهل الأهواء والبدع ـ ١٣٦
هجر المبتدع عند الإمام الشافعي ـــــــــــ ١٣٧
حكم علم الكلام عند الإمام الشافعي رحمه الله ـــ ١٤٠
الرد على من تأول ذم الإمام الشافعي لعلم الكلام ـ ١٤٢

* * *

الباب الثاني: عقيدته في الإيمان ومنهجه في إثباتها ـــــــــــ ١٥١
الفصل الأول: حقيقة الإيمان ودخول الأعمال في مسماه ـــــــــــ ١٥٣
خلاصة عقيدة الإمام الشافعي في مسمى الإيمان ـــــ ١٦٥
الفصل الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه ـــــــــــ ١٦٧
الفصل الثالث: الاستثناء في الإيمان وعلاقته بالإسلام ـــــــــــ ١٨١
المبحث الأول: الاستثناء في الإيمان ـــــــــــ ١٨٣
المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان ـــــــــــ ١٨٦

الفصل الرابع : حكم مرتكب الكبيرة ——— ١٩٧
المبحث الأول: حكم الكبائر دون الشرك ——— ١٩٩
المبحث الثاني: حكم تارك الصلاة من غير جحود لوجوبها ——— ٢٠٦
القول الأول ——— ٢٠٧
القول الثاني ——— ٢١٤
القول الراجح ——— ٢١٨
المبحث الثالث: حكم السحر والساحر ——— ٢٢١

* * *

الباب الثالث: عقيدته في التوحيد ومنهجه في إثباتها ——— ٢٢٥
الفصل الأول : توحيد الألوهية ——— ٢٢٧
المبحث الأول:تعريف التوحيد ——— ٢٢٩
بعض من ضل في تعريف التوحيد ——— ٢٣١
حقيقه التوحيد الذي دعا النبيﷺ أمته إليه ——— ٢٣٨
تعريف التوحيد عند الإمام الشافعي ——— ٢٤١
المبحث الثاني: الحكمة من خلق الجن والإنس ——— ٢٤٣
المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالقبور ——— ٢٤٤
المسألة الأولى: حكم رفع القبور ——— ٢٤٤
حكم التلقين بعد الدفن ——— ٢٤٨
المسألة الثانية: تسوية القبر ——— ٢٥٧
المسألة الثالثة: البناء على القبور وتجصيصها ——— ٢٥٨
المسألة الرابعة: بناء المساجد على القبور ——— ٢٥٩
زيارة القبور ——— ٢٦٤
المبحث الرابع: الحلف بغير الله ——— ٢٦٨

المبحث الخامس: التطير ـــــــــ ٢٧٣
المبحث السادس:الاستسقاء بالأنواء ـــــــــ ٢٧٨
المبحث السابع: بعض الألفاظ التى تقدح فى كمال التوحيد ـــــــــ ٢٨٣
المبحث الثامن: الشفاعة ـــــــــ ٢٨٧
المبحث التاسع: الرقى ـــــــــ ٢٩٥
أقوال العلماء في حكم رقية أهل الكتاب للمسلمين ـــــــــ ٢٩٨
الفصل الثاني: توحيد الربوبية ـــــــــ ٣٠٣
تمهيد ـــــــــ ٣٠٥
المبحث الأول: طريقة السلف في الاستدلال على وجود الله ـــــــــ ٣٠٧
الدليل الأول: الفطرة ـــــــــ ٣٠٧
الدليل الثاني: الآيات الكونية وغيرها ـــــــــ ٣٠٩
دليل العناية ـــــــــ ٣١٢
دلالة المعجزة ـــــــــ ٣١٤
المبحث الثاني: طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله ـــــــــ ٣١٧
المبحث الثالث: طريقة الشافعي في الاستدلال على وجود الله ـــــــــ ٣٢١
الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات ـــــــــ ٣٢٧
تمهيد: عقيدة السلف في الإسماء والصفات ـــــــــ ٣٢٩
المبحث الأول : مجمل عقيدة الإمام فى الأسماء والصفات ـــــــــ ٣٣٢
المبحث الثاني : مفصل عقيدته في أسماء الله ـــــــــ ٣٣٦
أنواع الإلحاد فى أسماء الله ـــــــــ ٣٣٧
مسألة الاسم والمسمى ـــــــــ ٣٤٠
مسألة : الدهر هل هو من أسماء الله؟ ـــــــــ ٣٤٣

المبحث الثالث: مفصل عقيدته في صفات الله ____ ٣٤٥
الصفة الأولى: العلو ____ ٣٤٥
الصفة الثانية: الاستواء ____ ٣٥٠
الصفة الثالثة: النزول ____ ٣٥٦
الصفة الرابعة: كلام الله ____ ٣٥٨
الصفة الخامسة: اليد ____ ٣٦٩
الصفة السادسة: الوجه ____ ٣٧١
الصفة السابعة: القدم ____ ٣٧٣
الصفة الثامنة: الضحك ____ ٣٧٤
الصفة التاسعة: الأصابع ____ ٣٧٦
الصفة العاشرة: العين ____ ٣٧٨
الصفة الحادية عشرة: العلم ____ ٣٨٠
الصفة الثانية عشرة: الرؤية ____ ٣٨٤

* * *

الباب الرابع: بقية المعتقد ومنهجه في إثباته ____ ٣٨٩
الفصل الأول: الإيمان بالأنبياء ٣٩١
المبحث الاول: معنى الإيمان بالأنبياء ____ ٣٩٣
المبحث الثاني: حالة الناس قبل بعثة النبي ﷺ وحاجتهم إلى بعثته ٣٩٧
المبحث الثالث: فضائل نبينا ﷺ ____ ٤٠١
فضل النبي ﷺ على الخلق ____ ٤٠٨
الفصل الثاني: الإيمان باليوم الآخر ____ ٤١٥
المبحث الأول: فتنة القبر ____ ٤١٧
المبحث الثاني: حكم إهداء ثواب الأعمال للأموات ____ ٤٢١

المبحث الثالث: البعث والحساب والجنة والنار ـــــــ ٤٢٦
الفصل الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر ـــــــ ٤٢٧
المبحث الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر ـــــــ ٤٢٩
المبحث الثاني: مراتب القضاء والقدر ـــــــ ٤٣٠
الفصل الرابع: عقيدته في الصحابة ـــــــ ٤٣٩
عقيدة أهل السنة فى أصحاب النبى ﷺ ـــــــ ٤٤١
عقيدة الإمام الشافعى في أصحاب النبي ﷺ ـــــــ ٤٤٥

* * *

الباب الخامس: تبرئة الإمام مما نسب إليه ـــــــ ٤٥٥
الفصل الأول: رسالة الفقه الأكبر المنسوبة للإمام الشافعي ـــــــ ٤٥٧
عرض لمحتويات الرسالة ـــــــ ٤٥٩
المبحث الثاني: الحكم على صحة ما جاء في الرسالة ـــــــ ٤٦٧
الفصل الثاني: موقفه من الفرق ـــــــ ٤٧٧
المبحث الأول: القدرية المعتزلة ـــــــ ٤٧٩
المبحث الثاني: الرافضة ـــــــ ٤٨٤
الرد على من اتهم الإمام الشافعي بالتشيع ـــــــ ٤٨٧
المبحث الثالث: الصوفية ـــــــ ٤٩٦
تقسيم الإمام الشافعي للسماع ـــــــ ٥٠٧

* * *

الخاتمة ـــــــ ٥١٥

* * *

الفهارس ـــــــ ٥٢١
١ - فهرس الآيات ـــــــ ٥٢٣

٢ - فهرس الأحاديث ٥٣٨
٣ - فهرس الآثار ٥٤٥
٤ - فهرس الأعلام ٥٤٧
٥ - فهرس المراجع ٥٥٠
٦ - فهرس الموضوعات ٥٨٣

* * *

